الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي
(٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م)

إعداد

رشا خليل أحمد علي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد خريسات

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريـــــخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠١٠

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنيــــة

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (الحياة الاجتماعيـــة فـــي مصر خـــلال العـــصر الأيـــوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) وأجيزت بتاريخ ٣/٥/٢٠١٠

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة	التوقيـــــــــــع
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، مشرفاً أستاذ – تاريخ إسلامي	....
الدكتور صالح موسى درادكة، عضواً أستاذ – تاريخ إسلامي	....
الدكتور عصام مصطفى عقلة، عضواً أستاذ مشارك – تاريخ إسلامي	....
الدكتور أحمد محمد الجوارنة، عضواً أستاذ مشارك – تاريخ/ مغول(جامعة اليرموك)	....

الإهـــــداء

إلى ... والديّ الكريمين

ثمرة من ثمار حبهما وتضحياتهما

وإلى .... صغيرتي الغالية " ليـــــان "

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحثـــــة

شكر وتقدير

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمـــد خريسات لتوليه مهام الإشراف على هذه الرسالة والذي جاد علي بتوجيهاته وإرشاداته وقدم كل عون ومساعدة فله مني كل التقدير والاحترام.

كما أتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة وإلى كل من أسدى إليّ يدا في إخراج هذا العمـــل، سائلة المولى عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

الباحثـــــــة

فهرس المحتويات

قائمة الاختصارات والرموز

ت: توفي

ج: جزء

ص: صفحة

ط: طبعة

ع: عدد

ق: قسم

م: مجلد أو ميلادي (حسب ما يقتضيه السياق)

هـ: هجري

p: page

vol: volume

الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي
(567-648هـ/1171-1250م)

إعداد
رشا خليل أحمد علي
المشرف
الأستاذ الدكتور محمد خريسات

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الحياة الاجتماعية في العصر الأيوبي، وتكونت هذه الدراسة من تمهيد وأربعة فصول.

ناقش الفصل الأول موضوع الفئات الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، فبدأ بالحديث عن الطبقة الخاصة التي تشمل فئة السلاطين والأمراء الذين كانوا بصورة أساسية من الأيوبيين الذين حلوا محل الخلفاء الفاطميين، وفئة علماء الدين الذين كانوا بصورة أساسية من علماء السنة الذين حلوا محل علماء الشيعة الإسماعيلية، وفئة التجار، ثم انتقل إلى الحديث عن الطبقة العامة التي تشمل الفلاحين والصنّاع والرقيق والعربان والجند، ثم تحدث عن أهل الذمة.

وناقش الفصل الثاني موضوع مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، فبدأ بالحديث عن الأعياد والاحتفالات، التي تعرضت للتغير عن العصر الفاطمي نتيجة للتغير المذهبي من الشيعة إلى السنة، ثم انتقل إلى معالجة مواضيع الزواج والطعام والشراب والملابس والأسرة والعادات والتقاليد، التي شكلت استمرارية لما سبق في العصر الفاطمي نتيجة لروح المحافظة في هذه الأمور.

وناقش الفصل الثالث موضوع المؤسسات الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، فبدأ بالحديث عن المدارس التي أنشئت لتعمل على تدعيم المذهب السني، ثم انتقل إلى معالجة موضوع التصوف الذي كان قد تلقى الدعم لكونه أحد مجالات تدعيم المذهب السني، كما ناقش الفصل دور علماء الأزهر في الحياة الاجتماعية فبدأ بالحديث عن الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، ثم انتقل إلى الحديث عنه في العصر الأيوبي والدور التعليمي لعلماء الأزهر ودوره في توجيه الحكام والدور الذي قاموا به في الحروب الصليبية ودوره الديني والاجتماعي، كما تناول الفصل الجامع الأزهر والتصوف ودوره في الاحوال الاقتصادية، وبينت الدراسة تراجع دور الأزهر في العصر الأيوبي عما كان عليه في العصر الفاطمي، كما ناقش الفصل موضوع البيمارستانات والحمامات ومؤسسات الآداب الاجتماعية.

المقدمـــــة

يشكل التاريخ الاجتماعي عنصرا أساسيا في الأبحاث التاريخية لا سيما المعاصرة منها ومع ذلك فان مصادرنا الأولية لم تهتم بالتاريخ الاجتماعي بشكل كبير وكل ما جاء حول هـذا الموضوع عبارة عن معلومات متناثرة في بطون المصادر التاريخية.

وهذا البحث بحث في التاريخ الاجتماعي يهدف إلى إعطـاء صـورة متكاملـة عـن الحياة الاجتماعية في مصر خلال الفترة الأيوبية.

وتركزت مشكلة البحث في معرفة التغيرات الاجتماعية التي طرأت على مصر بمجيء الأيوبيين إلى مصر في نهاية الفترة الفاطمية، الذي رافقه التحول الحاصل فـي المـذهب مـن الشيعي إلى السني.

وتتألف الدراسة من ثلاثة فصول:

الفصل الأول يتناول الفئات الاجتماعية في عهد الايوبيين فـي مـصر وذلـك ببيـان الأوضاع الاجتماعية للناس سواء أكانوا من الطبقة العامة أو الخاصة أو أهل الذمة.

أما الفصل الثاني فيتناول الظواهر الاجتماعية التي سادت في العصر الأيوبي كالأعيـاد والاحتفالات التي سادت آنذاك والملابس السائدة في ذلك العصر وتنوعهـا بتنـوع الأوضـاع الاجتماعية والاقتصادية كما تطرقت للأطباق والأطعمة التي انتشرت في مصر والى عـاداتهم وتقاليدهم وخصوصيتها.

وفي الفصل الثالث يتم تناول المؤسسات الاجتماعية في مصر كالمدارس التي أنـشئت نتيجة التحول الحاصل في المذهب من الشيعي إلى السني والتصوف كظاهرة انتشرت في مصر وشجع عليها السلاطين، كما ناقش دور علماء الأزهر في الحياة الاجتماعية، والذي يـشمل دور العلماء في التحول الحاصل في المذهب من الشيعي إلى السني بعد انتهاء العصر الفاطمي، وقد وجدت صعوبة في جمع معلومات حول هذا الموضوع إذ إن الايوبيين حاولوا طمس وتهمـيش الأزهر ولم يكن له دور كبير كما هو فـي العـصر الفـاطمي. ومـن المؤسـسات الأخـرى البيمارستانات بأنواعها والحمامات وأنشطتها الاجتماعية.

تمهيد

قامت الدولة الأيوبية في مصر والشام عام 567هـ/1171م على يد صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي من عائلة كردية تعرف بالأكراد الروادية[1]، وأصلها من بلدة دوين الواقعة في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس[2]، وقد أقام نجم الدين أيوب والد صلاح الدين مع أخيه أسد الدين شيركوه في بلدة تكريت حيث كان واليا لها[3]، وعندما انهزم عماد الدين زنكي وجرح سنة 526هـ/1131م التجأ إليهما في سوق تكريت حيث عولج وأكرم، وعندما نشب الخلاف بينهما وبين بهروز شحنة[4] بغداد ومتولي العراق آنذاك، تركا خدمته سنة 532هـ/1137م، ودخلا في خدمة عماد الدين الذي حفظ لهما صنيعهما معه، وأقطعهما في شهرزور إقطاعا كبيرا[1]، ثم صحب هذان الأخوان عماد الدين في كثير من حروبه في بلاد الشام، وأبلى فيها أسد الدين بلاء حسنا، وعندما استولى عماد الدين على بعلبك سنة

---

(1) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت665هـ/1266م). **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ط1، (حققه وعلق عليه إبراهيم الزيبق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ج2، ص250. وسيشار إليه فيما بعد، أبو شامة، **كتاب الروضتين**؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت874هـ/1469م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط1، (قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ج6، ص3. وسيشار إليه فيما بعد، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**.

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت626هـ/1228م). **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ/1979م، م2، ص491. وسيشار إليه فيما بعد، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج1، ص404، ج2، ص252.

(4) الشحنة لفظ تركي فارسي معناه رئيس الشرطة أو العسس. أقدم المصادر العربية التي ورد ذكره فيها تعود إلى العصر السلجوقي. ففي هذا العصر أصبح لكل مدينة طائفة من المحاربين مهمتهم حراسة البلد ومنشآتها يعرفون باسم شحنكية. يرأسهم الشحنة وقد اختلف عدد أفراد هذه الوحدة من مدينة إلى أخرى وذلك بحسب طبيعة البلدة أو المدينة وقربها وبعدها عن العدو. تطور مدلول الشحنة فيما بعد ليطلق عند المماليك والعثمانيين على قوة الشرطة المكلفة بالمحافظة على أمن المدينة وربما على المكان الذي تقيم فيه هذه القوة واختفت من هذا التشكيل مرتبة الشحنة وأصبح يرأسهم ضابط يحمل مرتبة عسكرية كبقية المراتب الأخرى وذلك بحسب التسميات المعروفة في كل عصر. الخطيب، مصطفى، (1416هـ/1996م). **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة، ص158. وسيشار إليه فيما بعد: الخطيب، **معجم المصطلحات**.

534هـ/1139م ولّى أمرها نجم الدين، ثم انتقل نجم الدين إلى دمشق سنة 541هـ/1146م وأصبح على رأس حاميتها[2].

ولد صلاح الدين ليلة رحيل والده من تكريت إلى الموصل[3]، ثم نشأ وترعرع في كنف والده، وأخذ عنه براعته في السياسة، وشجاعته في الحرب، وحفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، ودرس الفقه، وألمّ بعلوم عصره.

وبعد مقتل عماد الدين، استمرت علاقة أسد الدين بنور الدين محمود فقربه إليه، وأجزل له العطاء، حتى صار قائدا لجيوشه. وعندما رأى نور الدين ضرورة فتح دمشق لتوحيد كلمة المسلمين وخوفا من وقوعها بأيدي الصليبيين، وشجعه على ذلك اختلاف سكانها وميل غالبيتهم إليه واستنجادهم به، زحف إليها بجيش يقوده أسد الدين فسلمت إليه سنة 549هـ/1154م، وأبقى نور الدين نجم الدين حاكما عليها وضمها إلى ممتلكاته. أما أسد الدين فقد أقطعه إمارة حمص.

كانت الخلافة الفاطمية في مصر في دور النزاع، وكان يتنافس على السلطة في مصر وزيران للخليفة الفاطمي العاضد هما شاور[4] وضرغام وقد استطاع ضرغام أن يقبض على السلطة فاضطر شاور أن يهرب إلى دمشق ويستنجد بنور الدين واعدا إياه بدفع جزية سنوية إن نجح في إعادته

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين،** ج1، ص405، ج2، ص253-255.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين،** ج1، ص405.

(3) ابن شداد، بهاء الدين، (ت632هـ/1234م). **سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"**، ط1، (تحقيق أحمد إيبش)، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، 2003م، ص55-56. وسيشار إليه فيما بعد، ابن شداد، **النوادر السلطانية؛** أبو شامة، **كتاب الروضتين،** ج2، ص256؛ ابن قاضي شهبة، بدر الدين، (ت851هـ/1447م). **الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي)**، ط1، (تحقيق محمود زايد)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م، ص107. وسيشار إليه فيما بعد، ابن قاضي شهبة، **الكواكب الدرية.**

(4) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **العبر في خبر من غبر**، (حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص43. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبي، **العبر في خبر من غبر.**

إلى الوزارة، فوافق نور الدين بعد تردد لأنه رأى تدخل الفرنج في شؤون الدولة الفاطمية. أرسل نور الدين أسد الدين بحملة إلى مصر سنة 559هـ/1163م[1]، وسار معه فيها صلاح الدين، فانتصر أسد الدين على ضرغام وقتله وأعاد شاور إلى الوزارة. فلما رأى هذا أن السلطة أصبحت في يده دون منازع نكث عهده واستعان بالصليبيين فأسرعوا لنجدته، ولما عجزوا عن طرد أسد الدين اتفقوا معه على الانسحاب معا من مصر وتركها لأصحابها سنة 560هـ/1164م. ولما رجع أسد الدين أظهر لسيده نور الدين ضرورة فتح مصر وسهولته لضعف الفاطميين، فقد كانت مصر منذ مدة مطمح أنظار الصليبيين لثروتها الواسعة ومركزها الاستراتيجي، فإذا ضمها نور الدين أصبح الصليبيون محاطين بالأعداء من ثلاث جهات، واستفاد نور الدين من مواردها وجنودها. وافق نور الدين وأرسله على رأس جيش سنة 562هـ/1168م[2]، وسار معه فيها صلاح الدين. فخاف شاور واستنجد بأموري ملك القدس فرأى هذا الفرصة سانحة للاستيلاء على مصر، فسير جيشا كبيرا عليها فقهره أسد الدين في واقعة البابين في الصعيد وتقدم ففتح الإسكندرية وأعلن نفسه حاكما لها. حاصر الصليبيون الإسكندرية وأظهر صلاح الدين شجاعة وكفاية ملحوظتين في هذا الحصار سنة 562هـ[1]، وعلى أثر ذلك عقد صلح بين أموري وحزبه من المصريين من جهة وبين أسد الدين من جهة أخرى كان من شروطه أن ينسحب أموري من مصر ولا يتدخل في شؤونها وينسحب أسد الدين أيضا على أن يأخذ مقابل ذلك خمسين ألف دينار من أموري. لكن أسد الدين علم بعد رجوعه أن شاور عقد معاهدة سرية مع الصليبيين بموجبها ظلت لهم حامية في الفسطاط سيطرت على

---

(1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت630هـ/1232م). **الكامل في التاريخ**، ط1، (راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، م9، ص465-467. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **الكامل**؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج1، ص403؛ البنداري، الفتح بن علي البنداري، (ت643هـ/1245م). **سنا البرق الشامي** ، (تحقيق فتحية النبراوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص19. وسيشار إليه فيما بعد، البنداري، **سنا البرق الشامي**.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص10؛ البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص20.

العاصمة وعاثت في البلاد فسادا مما اضطر الخليفة الفاطمي إلى الاستنجاد بنور الدين، فصمم هذا على تخليص مصر من خطر الصليبيين بأي ثمن وأرسل أسد الدين بحملة قوية سنة 564هـ/1168م، وقد صحبه فيها صلاح الدين مكرها[2]، فأبلى فيها بلاء حسنا، فانسحب الصليبيون من مصر ودخل أسد الدين الفسطاط[3] فاستقبله المصريون استقبال المنقذ.

وفي سنة 564هـ/1168م قتل أسد الدين شاور فعينه الخليفة الفاطمي العاضد وزيرا لمصر، وتلقب بالملك المنصور، وبعد شهرين توفي أسد الدين في العام نفسه[4]، وخلفه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين[5] فأصبح بحكم مركزه الجديد نائبا لنور الدين السني وزيرا للخليفة العاضد الشيعي، لذلك صار يدعو للاثنين في خطبة الجمعة، ولأجل أن يقوي مركزه في البلاد أخذ يتحبب إلى الناس ويعمل على تطهير الجهاز الإداري، فعزل كبار المتشيعين وولى مكانهم أقاربه، وكون في البلاد جيشا قويا استطاع أن يقهر به عدة حملات صليبية أرسلت على مصر فأصبح الصليبيون يهابونه، وكفوا عن مهاجمته واتخذوا خطة الدفاع. ولما رأى قلوب الناس معه قطع الخطبة باسم العاضد وألغى الخلافة الفاطمية في مصر، والمذهب الفاطمي فيها بناء على أمر نور الدين له سنة 567هـ/1171م، وأصبح يحكم مصر باسم نور الدين وحده، وأعاد مصر إلى الخلافة العباسية، وأعاد إليها المذهب

---

(1) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص14.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص46-51.

(3) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص53؛ ابن قاضي شهبة، **الكواكب الدرية**، ص175-178.

(4) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص64-68.

(5) أبوشامة، المصدر نفسه، ج2، ص69.

الـــــسني[1]، وخطـــــب فيهـــــا للخليفـــــة العباســـــي المستـــــضيء بنـــــور الله (566-575هـ/1170-1179م)[2].

لما توفي نور الدين أرسل صلاح الدين إلى ولده الملك الصالح إسماعيل كتابـا يعزيـه بوفاة والده ويهنئه بالملك[3]، وأرسل إليه كثيرا من الهدايا وأظهر له الطاعة وظل يدعو له فـي خطبة الجمعة ويسك النقود باسمه[4].

كان الملك الصالح طفلا فسعى وزراؤه بينه وبين صلاح الدين وأخذوا يحرضونه على عزله، فلما علم بذلك صلاح الدين أرسل إليهم كتاب تهديد يحذرهم فيه مـن الاسـتمرار فـي السعاية، ولما وصل الكتاب إلى دمشق حمله أميرها إلى سيده في حلب ليطلعـه عليـه، وكـان صلاح الدين مشغولا بمواجهة الصليبيين الذين هاجموا الإسكندرية[5]، وبالقضاء علـى الفـتن الداخلية التي ثارت من أجل إعادة الدولة الفاطمية في مصر[6]، كما أخذ يعمل على توطيد ملكه وتوسيعه، فأرسل حملة بقيادة أخيه توران شاه سنة 569هـ/1173م لفتح اليمن لكـي يـضمن السيطرة على مفتاح البحر الأحمر الجنوبي فأنجزت الحملة مهمتها وأصبحت الـيمن والحجـاز تابعة لصلاح الدين.

---

(1) أبو شامة، المصدر الـسابق، ج2، ص189؛ Stanley Lane-Poole, M.A., (1964). **Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem**. Beirut: Khayats, p. 108. وسيشار إليه فيما بعد، Stanley Lane-Poole, **Saladin**.

(2) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص33-35؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص191؛ الذهبي، **العبر فـي خبر من غبر**، ج3، ص68؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 108-109.

(3) أبو شامة، **كتـاب الروضـتين**، ج2، ص323؛ ابـن واصـل، جمـال الـدين محمـد بـن سـالم، (ت697هـ/1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، (حققه ووضع حواشيه حسنين محمد ربيع)، (راجعه وقدم له سعيد عبد الفتاح عاشور)، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1977م، ج2، ص4. وسيشار إليه فيما بعد، ابن واصل، **مفرج الكروب**.

(4) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص323؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص4.

(5) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص63-64؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص114-115؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص334؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 127.

(6) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص64-65؛ البنداري، **سنا البرق الـشامي**، ص80؛ أبـو شـامة، **كتـاب الروضتين**، ج2، ص337؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 126.

اغتنم الصليبيون الفرصة فهاجموا دمشق وحاصروا بانياس سنة 569هـ/1173م، ولم يقو شمس الدين بن المقدم على دفعهم، فعقد معهم هدنة، وقطع لهم على المسلمين قطيعة، فترك الصليبيون دمشق بعد أخذ الجزية فغضب صلاح الدين لذلك[1]، وذهب بنفسه إلى دمشق لخدمة الملك الصالح، وفتحها سلما سنة 570هـ/1174م[2]، وأرسل إلى أتابكها كتابا رقيقا يعلمه فيه أنه لا يزال على طاعته للملك الصالح، إلا أن الملك الصالح غضب عليه واتهمه بنكران الجميل، فاضطر صلاح الدين إلى أن يتقدم إلى حلب ليسوي المسألة مع الملك الصالح نفسه، فشك الملك في نياته وحرض عليه أهالي حلب فقابلوه بالسلاح فقال: "يعلم الله أنني لم أرم قط إلى إشهار السلاح في وجه الملك ولكنهم طالما أرادوا ذلك فليكن كما يريدون"[3].

انتصر صلاح الدين فحاول أتابك دمشق اغتياله بواسطة الحشاشين فرد كيده إلى نحره. فاضطر الملك الصالح إلى أن يلجأ للصليبيين ويستنجد بعمه أتابك الموصل سيف الدين غازي، فوصلت عساكر سيف الدين إلى حلب، وانضمت إلى عساكر الملك الصالح، ثم اشتبكت هذه الجيوش مع جيش صلاح الدين قرب حماة سنة 570هـ/1174م، فانتصر صلاح الدين وفر المنهزمون إلى حلب، فتبعهم، وحاول صلاح الدين مرة أخرى أن يتفاهم مع الملك الصالح، ولما لم تفلح جهوده السلمية اضطر إلى محاربته حفظا لوحدة المسلمين في هذا الوقت العصيب، فحاصر حلب حتى صالحوه سنة 572هـ/1176م على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، وتبقى حلب للملك الصالح[4]، إلا أنه قطع الدعاء له وأنزل اسمه عن السكة وكتب إلى الخليفة العباسي المستضيء يعرض عليه طاعته على أن يقره على ملكه فوافق الخليفة على طلبه واعترف بحكمه خلفا لنور الدين، وخلع عليه، وأرسل إليه مرسوما بحكم الشام ومصر معا[5]، ومنحه لقب سلطان مع أن حلب وما حولها بقيت في حوزة الملك الصالح، وفي سنة 577هـ/1181م مات الملك الصالح[6]، فاستولى صلاح الدين على حلب سنة

---

(1) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص60؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص322؛ ابن قاضي شهبة، **الكواكب الدرية**، ص229–230.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص339.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص346.

(4) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص422؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص 46.

(5) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص384.

(6) أبو شامة، **المصدر نفسه**، ج3، ص75؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص106.

579هـ/1183م[1]، فزال ظل الدولة الزنكية عن بلاد الشام ومصر، ودانت لصلاح الدين بلاد الشام الإسلامية كلها فضلا عن مصر وبرقة واليمن وأجزاء من الجزيرة العربية، واستمر حكم الزنكيين للموصل وشمال العراق حتى تم الصلح بين صاحب الموصل عز الدين مسعود وبين صلاح الدين على أن يكون صاحب الموصل تابعا لصلاح الدين، وأن يخطب له على المنابر، وأن تضرب السكة باسمه[2]، وأصبح صلاح الدين بذلك يسيطر على مملكة واسعة تضم مصر وجميع بلاد الشام الإسلامية والجزيرة الفراتية وقسما من آسية الصغرى حتى قونية، عدا عن الحجاز واليمن.

سلك صلاح الدين بعد ذلك النهج الجهادي الذي سار عليه من قبله المجاهدان عماد الدين وولده نور الدين لتحرير بلاد الشام من الصليبيين، فاضطر الصليبيون لمهادنته خوفا من بطشه لكنهم كانوا لا يحافظون على حرمة الهدنة، وكان أكثرهم نقضا لها رينولد "أرناط" صاحب حصن الكرك الذي حاول احتلال الحجاز فبنى أسطولا في أيلة (العقبة) هاجم به سواحل الحجاز فأرسل العادل أخو صلاح الدين أسطولا بقيادة لؤلؤ الذي فتك بالمهاجمين وقبض على كثير منهم فأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها كالضحايا من الأنعام وعاد بالباقين إلى مصر فقتلوا عن آخرهم. لم يتعظ رينولد بما أصابه من هزيمة بل ظل يهاجم قوافل الحجاج والتجار المارة قرب الكرك في طريقها إلى الحجاز، وقد هاجم قافلة فيها أخت صلاح الدين فذبح كثيرا من رجالها وسلبهم أموالهم فاستشاط صلاح الدين غضبا ونذر أن يقتله بيده، وهكذا كانت الهدنة التي عقدت بين الطرفين مصطنعة وكان الفريقان يستعدان لمعركة فاصلة. واصل صلاح الدين حربه معهم، وذهب بنفسه وحاصر الكرك وأرسل ابنه عليا بقوة عسكرية لمراقبة حركات الصليبيين في الجليل، فتكاثر الصليبيون عليه فأسرع صلاح الدين لنجدته وطلب من قواته الشامية أن توافيه عند طبرية، واستعاد صلاح الدين طبرية ما عدا قلعتها، أما الصليبيون فقد حشدوا كل ما لديهم من قوة (خمسة وأربعون ألفا) وعسكروا في سهل صفورية بقيادة ملك القدس غاي لوزجنان ومعه رينولد صاحب الكرك وكثير من أمراء الصليبيين، تقدم صلاح الدين فعسكر على تل حطين، واستشار قواده فيم يصنع، فأشاروا عليه بمواقعة الصليبيين في معركة فاصلة. ولحسن حظه ترك الصليبيون مكانهم الحصين في سهل صفورية وتقدموا لمواقعة صلاح الدين قرب

---

(1) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص129–130؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص157؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص 141–143.

(2) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص172.

طبرية وبمهارة حربية فائقة وخطة عسكرية منظمة استطاع صلاح الدين أن يمنع الصليبيين من الوصول إلى الماء. وقد اشتبك الجيشان في يوم الجمعة 24 ربيع الثاني سنة 583هـ/4 تموز سنة 1187م وكان يوما شديد القيظ فحرق المسلمون الحشائش والمزروعات فارتفع منها دخان كثيف زاد في عطش الصليبيين، فذهبت ريحهم وأسفرت المعركة عن انتصار باهر لصلاح الدين، وقد قتل من الصليبيين حوالي ثلاثون ألفا، حتى قيل "فمن شاهد القتلى قال ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى قال ما هناك من قتيل"[(1)]، ووقع أمراؤهم أسرى بما فيهم ملك القدس، وأخوه، ورينولد، أما ملك القدس فقد عفا عنه صلاح الدين بعد أن أخذ عليه العهود ألا يعود لمحاربة المسلمين، وأما رينولد فقد ذبحه بيده برا بقسمه وجزاء ما اقترف من فظائع[(2)]، كما أسر الجيش المسلم عددا كبيرا من فرسانهم[(3)]، وقد كانت هذه المعركة من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، إذ لم يصب الفرنج بهزيمة مثلها منذ أن بدأ الغزو الصليبي لبلاد الشام[(4)].

وبعد هذا النصر العظيم تتبع صلاح الدين فلول الصليبيين فبدأ باسترداد قلعة طبرية وأرسل فرقا من جيشه لاسترداد المدن الساحلية فاستردت تباعا، وسار صلاح الدين بنفسه إلى عكا فاستردها، وجاء العادل من مصر ففتح يافا واجتمع بأخيه صلاح الدين وسارا معا فحاصرا عسقلان وفتحاها، كما استردت نابلس وحيفا وصفورية والناصرة وصيدا وبيروت وجبيل والرملة وتبنين وبيت لحم، والخليل وعسقلان وغزة، والداروم، وأرسوف، وغيرها، واستردت المدن والحصون الداخلية الواقعة جنوب طبرية ما عدا حصني الكرك والشوبك[(1)]. وقد أمر صلاح الدين بإطلاق سراح الأسرى وسمح لهم بالسفر إلى صور.

بعد هذا النصر المبين أمر صلاح الدين لؤلؤا بمحاصرة السواحل وتعقب سفن الأعداء، وأرسل إلى أهل القدس يطلب تسليم المدينة فرفضت حاميتها وكان فيها ستون ألف جندي ومئة ألف صبي فتقدم لمحاصرتها سنة 583هـ/1187م واضطرها إلى التسليم بعد حصار دام شهرين، وتسامح صلاح الدين إذ تغاضى عن جميع ما اقترف

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص299؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص193.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص298.

(3) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص192-193.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص148.

الصليبيون من أعمال وحشية وسمح للنصارى الوطنيين بالإقامة في بلاده، وأمر الصليبيين أن يرحلوا مع عائلاتهم وأطفالهم، وضرب لهم موعدا مدته أربعون يوما يرحلون خلاله إلى صور وطرابلس. وجعل فدية الرجل عشرة دنانير، والمرأة خمسة، والطفل دينارا واحدا، وكان من شروط الصلح أن من لا يستطيع دفع الجزية يؤخذ أسيرا، لكنه افتدى بنفسه عشرة آلاف شخص منهم، وقد بلغ من تسامحه أنه كان يقدم النقود والدواب للعجزة منهم واستجاب لتوسلات النساء فأطلق سراح أزواجهن، وعامل الباقين بالرحمة والشفقة[2]، ولكن سكان أنطاكية وطرابلس من الصليبيين لم يسمحوا لهم بدخول مدنهم، فمات كثير منهم جوعا، وبعد انتهاء الوقت المضروب دخل صلاح الدين القدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة 583هـ/12 تشرين الثاني 1187م وأخذ يرمم الجوامع والمساجد والمشاهد والمدارس التي هدمها الصليبيون خصوصا المسجد الأقصى لما أصابه من تلف وزينه بالفسيفساء والرخام وأحضر إليه المنبر الذي أمر بصنعه نور الدين في حلب[3]، وبنى الربط للصالحين والصوفية[4].

وقد احتفل المسلمون باسترداد بيت المقدس احتفالا عظيما، وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير، ووزعت الصدقات بهذه المناسبة العظيمة، ثم تابع جهاده ضد الغزاة، فاسترد منهم حصني الكرك والشوبك وغيرهما[5]. وهكذا لم يبق في أيدي الصليبيين إلا أنطاكية وطرابلس التي هادنت صلاح الدين، وصور التي امتلأت بفلول الهاربين وقد تركها صلاح الدين بيد الصليبيين بعد أن تعهدوا بعدم التعرض أو الإغارة على الأراضي الإسلامية، وأصبحت صور مركزا خطيرا تكاثر فيه الصليبيون القادمون من أوروبا وأشعلوا الحملة الصليبية الثالثة بحصار عكا.

روعت أوروبا بسقوط القدس في أيدي المسلمين فأخذت تستعد لحملة صليبية ثالثة ولم يمض وقت طويل حتى تأهبت جموع الصليبيين للمسير إلى فلسطين بحرا.

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص308–330.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص330–391.

(3) أبو شامة، المصدر نفسه، ج2، ص392؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص229.

(4) أبو شامة، المصدر نفسه، ج3، ص396–400.

(5) أبو شامة، المصدر نفسه، ج4، ص46.

واضطر صلاح الدين إلى توزيع قواته فأبقى قسما منهـا فـي الإسـكندرية ودميـاط لحمايـة مصر وأرسل قسما لمراقبة الصليبيين الباقين فـي أنطاكيـة، وسـار هـو بالبـاقي لمحاربـة الصليبيين الذين تدفقوا من صور على عكا لاحتلالهـا بزعامـة ملـك القـدس الـذي أطلـق سراحه صلاح الدين سابقا وأخذ عليه العهود ألا يعـود لمحاربـة المـسلمين؛ وهـا هـو قـد نقض عهده وجمع ما استطاع جمعه من الصليبيين وحاصر عكا وفـي أثنـاء ذلـك وصـلت جموع الحملة الصليبية الثالثـة التـي خرجـت مـن أوروبـا بقيـادة فردريـك بربروسـا إمبراطور ألمانيا، وقد قدم من الطريق البرية عبـر القـسطنطينية فغـرق فـي نهـر سـالف قرب سلوقية في آسيا الصغرى أثناء اسـتحمامه، فـضعفت معنويـات جيـشه وعـاد أكثـره إلى ألمانيا، ولم يصل منه إلـى عكـا إلا شـرذمة صـغيرة بقيـادة ابنـه، وفليـب الثـاني أغسطس ملك فرنسا الذي قدم بحرا إلى عكا، وريتـشارد قلـب الأسـد ملـك إنكلتـرا الـذي وصل إليها أيضا بعده بقليل عن طريق البحر، فازدادت جـرأة الـصليبيين وعجـز صـلاح الدين عن إنجاد عكا فعرض قائد حاميتها علـى ريتـشارد تـسليم المدينـة علـى شـرط أن يسمح لسكانها بالنزوح لكنه رفض أن يبقي على حيـاتهم مـا لـم يتعهـدوا بتـسليم القـدس وجميع المدن التي استولى عليها المسلمون بعد حطين، فـرفض المـدافعون واستبـسلوا فـي الدفاع وصمدوا في الحصار نحـو سـنتين وأخيـرا رأوا عبـث المقاومـة فاضـطروا إلـى التسليم سنة 587هـ/1191م على أن يبقي الصليبيون على حيـاتهم مقابـل إطـلاق صـلاح الدين الأسرى المسيحيين ودفع مئتي ألف دينار فدية، ولما حـدث بعـض التـأخير فـي دفـع الفدية قتل ريتشارد نحو 2700 من حماة المدينة المـسلمين[1]، فغـضب صـلاح الـدين مـن هذه الوحشية المتناهية وآلى أن يثأر لهم. بعد سقوط عكا عاد فليب إلـى فرنـسا لأنـه كـان يهدف إلى إبعاد ريتـشارد إلـى فلـسطين حتـى يـستطيع أن يحتـل فـي غيابـه أملاكـه الموجودة في فرنسا، وهكذا سنحت له الفرصة على أثر خـلاف بـسيط وقـع بـين الاثنـين، وظل ريتشارد وحده يقود جموع الصليبيين فسار جنوبا وانتـصر علـى صـلاح الـدين فـي معركة أرسوف واحتل يافا، ثم تقـدم نحـو عـسقلان ولمـا رأى صـلاح الـدين صـعوبة الدفاع عنها أمر بهدمها وأخذ يستعد للـدفاع عـن القـدس، ولمـا رأى ريتـشارد أن أمامـه خصما عنيدا لا يستطيع قهره وانتزاع بيت المقدس منه، وكـان قـد سـئم الحـرب وانفـصل عنه كثير من جنود الصليبيين، ووصلت إليه أخبار عن حـوادث شـغب علـى أخيـه يوحنـا

(1) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص297-299.

في إنكلترا، ومهاجمة فليب لأملاكه في فرنسا، صمم على الرجوع وفاوض صلاح الدين في الصلح فتم بينهما صلح الرملة سنة 588هـ/1192م[1]، وبموجبه يحتفظ الصليبيون بالساحل من يافا إلى صور[2] وتظل الأقسام الباقية في أيدي المسلمين بما فيها القدس على أن يسمح للحجاج المسيحيين بالحج إليها بحرية.

بعد هذا الصلح عاد ريتشارد إلى بلاده، وذهب صلاح الدين الذي أنهكته الحروب المتوالية إلى دمشق ليستريح فحم ومات في السابع والعشرين من صفر سنة 589هـ/الثالث والعشرين من آذار 1193م[3]، فحزن عليه المسلمون حزنا عظيما، ورثاه الشعراء رثاء حارا وأشادوا بأعماله وانتصاراته[4].

قسم صلاح الدين مملكته قبل وفاته بين أبنائه وإخوته وأقاربه، فأصبحت الشام لابنه الأكبر الأفضل نور الدين علي (ت622هـ/1225م)، وهو الذي أوصى له أبوه بالسلطنة من بعده، ومصر لابنه العزيز عماد الدين عثمان (589-595هـ/1193-1198م)، وحلب وشمال الشام لابنه الظاهر غياث الدين غازي (ت613هـ/1216)، والكرك والشوبك وجعبر لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر (ت615هـ/1218م)، وحمص والرحبة لأسد الدين شيركوه الصغير حفيد عمه شيركوه، وحماة وما حولها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر، واليمن لأخيه الملك ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب[5].

ولم يكن الملك الأفضل يصلح للسلطنة، لسوء سيرته، وانشغاله بأموره الخاصة عن الرعية، فوضع كل ثقته في وزيره ضياء الدين بن الأثير[6]، ونبذ رجال أبيه من الأمراء، فلجأوا

---

(1) المصدر نفسه، ص363-404.

(2) المصدر نفسه، ص299-362.

(3) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص421-424.

(4) عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **ديوان عماد الدين الأصبهاني**، (جمعه وحققه وقدم له ناظم رشيد)، جامعة الموصل، الموصل، 1404هـ/1983م، ص86-92. وسيشار إليه فيما بعد، عماد الدين الأصبهاني، **ديوان عماد الدين الأصبهاني**؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص367-374؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص427-439،.

(5) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص3-5.

(6) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681هـ/1281م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (حققه إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ج5، ص389-397. وسيشار إليه

إلى أخيه الملك العزيز عثمان حاكم مصر، وحسنوا له عزل أخيه عن السلطنة وملك الشام[1]، ووافقه عمه العادل على ذلك[2]، فحدث نزاع بين الأفضل والعزيز نتيجة السعاية أدى إلى حرب انتهت بنفي الأفضل من دمشق وتولية عمه العادل مكانه. ولما مات العزيز صاحب مصر سنة 595هـ/1198م ذهب العادل إليها وعزل ابنه المنصور وكان طفلا صغيرا وتولى ملكها، فتكون بذلك قد دانت له معظم دولة صلاح الدين سنة 596هـ/1200م بعد أن كان في البداية حكما بين أبناء أخيه[3] وحكمها خلال الفترة (596-615هـ/1199-1218م) فأخذ يعمل على تقويتها استعدادا لاستئصال شأفة الصليبيين فشجع الزراعة والتجارة ومنح البنادقة بعض الامتيازات التجارية في مصر فكسب صداقتهم.

وفي هذه الأثناء قامت الحملة الصليبية الرابعة لاحتلال مصر، ولكنها انحرفت عن اتجاهها وهاجمت القسطنطينية، واستولت عليها سنة 601هـ/1204م[4]، ثم تبعتها الحملة الصليبية الخامسة فهاجم الصليبيون بيروت واحتلوها ثم هاجموا مصر ووصلوا إلى دمياط، وكان العادل في الشام فأسرع إلى مصر ومات كمدا سنة 615هـ/1218م، والبلاد في خطر داهم، وكان قبل وفاته قد قسم مملكته على أولاده أيضا فأعطى مصر لابنه الملك الكامل محمد، ودمشق لابنه الملك المعظم عيسى (ت624هـ/1226م)، وديار بكر والجزيرة وأرمينية وما حولها لابنه الملك الأشرف موسى (ت635هـ/1237م)[5].

عرض الكامل على الصليبيين مغادرة دمياط مقابل إعادة مملكة بيت المقدس إليهم باستثناء الكرك والشوبك، فأبوا إلا أن تكونا ضمن العرض[6]، ثم استولى الصليبيون على دمياط بعد حصار دام تسعة أشهر، فوضعوا السيف في رقاب سكانها، ونهبوها سنة

فيما بعد، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص231.

(1) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص10-15، ص28-33.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص28-35.

(3) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص28-115.

(4) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص131.

(5) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص393-394.

(6) المصدر نفسه، م10، ص379؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص95.

616هـ/1219م[1]، وبعد ذلك توجهوا صوب القاهرة، فاجتمع الإخوة الكامل، والمعظم، والأشرف، بجيوشهم في المنصورة لمواجهتهم[2]، ثم ساء موقف الفرنج بعد أن غمرتهم مياه النيل، واضطروا إلى مغادرة دمياط والخروج من مصر[3]. ولكن الأيوبيين ما لبثوا كعادتهم حين يزول عنهم خطر العدو أن عادوا إلى ما درجوا عليه من صرف قوتهم في المنازعات الداخلية لتحقيق كل منهم مطامع إقليمية على حساب الآخر[4]. فانقسم البيت الأيوبي على نفسه ثانية إلى فريقين: فريق مع الملك الكامل محمد، وآخر مع أخيه الملك المعظم عيسى، واستعان كل منهما بقوة خارجية، فاستنجد الملك الكامل بالإمبراطور فردريك الثاني طالبا مساعدته ضد أخيه، مقابل إعطائه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل[5]، مع أن تلك الأملاك كانت لأخيه المعظم عيسى، ولم يكن له حق التنازل عنها، واتفق المعظم عيسى مع جلال الدين الخوارزمي ضد أخيه الأشرف وحرضه ضده، فحاصرت جيوشهما عاصمته خلاط (وهي مركز أرمينية الوسطى وتقع على شاطئ بحيرة خلاط)[6] في سنة 623هـ/1226م[7].

وتوفي الملك المعظم عيسى في سنة 624هـ/1226م[8]، فخلفه ابنه الملك الناصر داوود (ت656هـ/1258م)[1]، فاستغل الكامل هذه الفرصة، واستولى على بيت المقدس ونابلس، واستنجد الناصر داوود بعمه الأشرف موسى فقدم لنجدته، ولكنه

---

(1) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص375-377.

(2) المصدر نفسه، م10، ص377-379؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص95.

(3) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص377-380؛ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، (ت665هـ/1266م). **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على كتاب الروضتين**، ط1، (وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م، ص194. وسيشار إليه فيما بعد، أبو شامة، **ذيل**؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص94-99.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص468-469؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص127-129.

(5) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط1، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ج1، ص345. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **السلوك**.

(6) ياقوت، **معجم البلدان**، م2، ص380-381.

(7) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص466-467.

(8) المصدر نفسه، م10، ص473-474؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص219.

ما لبث أن اتفق مع أخيه الكامل على الاستيلاء على دمشق سنة 626هـ/1228م[2]، وفي هذه الأثناء وصل فردريك الثاني المحروم من الكنيسة البابوية في حملة صليبية سادسة، ومعه خمسمئة فارس فقط إلى عكا، وطالب الكامل بالوفاء بوعده، فعقد معه الكامل اتفاقية يافا في سنة 626هـ/1228م، وسلمه بموجبها القدس وبيت لحم والناصرة. وتبنين وصيدا فضلا عن طريق الحاج الصليبي من يافا إلى القدس، وتعهد فردريك الثاني مقابل ذلك بمحالفة الكامل ضد جميع أعدائه، ولو كانوا من الصليبيين، وعدم إرسال حملات صليبية إلى الشرق وقد أثار تسليم بيت المقدس بهذه السهولة موجة من السخط والأسى لدى المسلمين، "ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه"[3].

ثم توفي الكامل سنة 635هـ/1237م فبايع أمراء دولته ابنه الأصغر العادل الثاني (635-637هـ/1237-1239م) ليكون ألعوبة في أيديهم[4]، وتجاهلوا ابنه الأكبر الصالح نجم الدين أيوب الذي كان يقيم في سنجار(مدينة في نواحي الجزيرة في وسطها نهر جار وفيها بساتين كثيرة تقع بين الموصل ونصيبين)[5] حاكما لأملاك أبيه في الشمال، كان العادل الثاني ضعيفا انشغل باللهو، فسار الصالح باتجاه دمشق ثم مصر فاستولى عليهما في سنة 637هـ/1239م[6].

وقد بقي الصراع الداخلي بعد ذلك مستمرا بين الأيوبيين، فكل منهم يريد التوسع على حساب الآخر، ولم يحاول الأيوبيون استعادة مدينة بيت المقدس منذ تسلمها فردريك الثاني حتى قام الملك الناصر داوود أمير الكرك باستردادها سنة 637هـ/1239م بعد حصار لقلعتها استمر سبعة وعشرين يوما[7]، وبقيت القدس في

---

(1) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص280.

(2) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص482-483.

(3) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص481، ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج4، ص241-246.

(4) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص172.

(5) ياقوت، **معجم البلدان**، م3، ص262-263.

(6) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص265-267.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص219-249.

يد الناصر داوود حتى سلمها الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل (ت648هـ/1250م)[1] صاحب دمشق للصليبيين سنة 641هـ/1243م مقابل مساعدتهم له ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان نجم الدين أيوب ذا شخصية قوية، واشتهر بحسن تدبيره فأخمد الفتن. وقضى على المنازعات داخل البيت الأيوبي، وضم دمشق سنة 643هـ/1245م وعسقلان سنة 645هـ/1247م، وأعاد توحيد مصر والشام تحت سلطانه[2]، وبذلك تم توحيد دولة صلاح الدين تقريبا، واستعاد بيت المقدس من الصليبيين نهائيا بمعاونة القبائل الخوارزمية التي تدفقت على البلاد في ذلك الوقت فارة من وجه المغول سنة 642هـ/1244م، وتمكن أيضا من استرداد بعض المدن الساحلية فضلا عن طبرية ونابلس[3].

أكثر الملك الصالح من شراء المماليك وأسكنهم قلعة بناها لهم في جزيرة الروضة في النيل، وأدى استرداد نجم الدين أيوب لبيت المقدس إلى قدوم الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، فاستولت تلك الحملة على دمياط في سنة 647هـ/1249م دون قتال، ثم زحف الفرنج باتجاه القاهرة، وفي هذه الظروف الحرجة توفي الصالح نجم الدين أيوب في شعبان سنة 647هـ/تشرين الثاني 1249م[4]، فتصرفت زوجه شجر الدر[5] بحكمة وبعد نظر كبيرين، إذ أخفت خبر موت زوجها سوى عن أميرين كانا موضع ثقتها، واستمرت في إصدار المكاتبات الرسمية باسم السلطان وتوقيعه، حتى لا يحدث نبأ وفاته بلبلة أو تشتيتا لقوة الجيش، أو صراعا بين الأمراء على السلطة[6]، كما نظمت البيعة لابن زوجها توران شاه المقيم في حصن كيفا (بلدة وقلعة كبيرة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر)[7]، وأرسلت إليه تستدعيه للحضور إلى مصر بسرعة لاستلام السلطنة، فوصل توران شاه إلى

---

(1) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص260-261.

(2) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص348-352.

(3) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص332، ص336-340.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص320.

(5) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص276.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص322.

(7) ياقوت، **معجم البلدان**، م2، ص265.

مصر[1] ثم هزم الصليبيون هزيمة نكراء في فارسكور(من قرى مصر قرب دمياط)[2]، والمنصورة سنة 648هـ/1250م، وأسر ملكهم لويس التاسع وأخوه وخواصه[3].

لم يطل حكم توران شاه بعد هذا النصر، إذ لم يحفظ الجميل لزوج أبيه شجر الدر التي كانت قد غادرت مصر إلى بيت المقدس بعد وصوله إليها، فأخذ يشتد في معاملتها وأرسل إليها مطالبا بأموال أبيه وتوعدها بالسوء[4]، فأخبرت المماليك البحرية بذلك وحرضتهم عليه[5]، وكان قد تنكر لهم وأساء معاملتهم، فقرروا التخلص منه، فتآمرت عليه شجر الدر مع زعيم المماليك عز الدين أيبك فقتل شر قتلة في السابع والعشرين من محرم سنة 648هـ/آذار 1250م ومكثت جثته في العراء ثلاثة أيام حتى تشفع في دفنه رسول الخليفة[6].

وبمقتل توران شاه زالت الدولة الأيوبية بعد حكم استمر واحدا وثمانين عاما حققت خلالها الكثير من الانتصارات على الصليبيين.

كان الشعب المصري في العصر الفاطمي يتكون من أهل السنة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من المصريين، ومن الشيعيين أنصار الفاطميين الذين لم يدخروا وسعا في نشر مذهبهم، فتحول بعض السنيين إلى المذهب الفاطمي، إضافة إلى أهل الذمة من النصارى واليهود. كما وجد في مصر مجموعات من الأتراك والسودانيين الذين انخرطوا في الجيش الفاطمي. وقد أثر الفاطميون في الحياة الاجتماعية المصرية، فاحتفلوا بكثير من الأعياد والمواسم ذات الطابع الفاطمي، وفيها كانت تسير المواكب العظام، وانتشرت مجالس الغناء والطرب ووسائل التسلية في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، وفي المناظر التي كان يشرف الخلفاء

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص448؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص322.

(2) ياقوت، **معجم البلدان**، م4، ص228.

(3) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص323.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص329.

(5) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص329؛ ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت930هـ/1523م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ط2، (حققه وكتب له المقدمة محمد مصطفى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1402هـ/1982م، ج1، ق1، ص283-284. وسيشار إليه فيما بعد، ابن إياس، **بدائع الزهور**.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص329.

منها على الاحتفال ببعض الأعياد، وفي البساتين، كما عمل الفاطميون على صـــناعة ملابـــس خاصة للخليفة في الاحتفالات أو الأعياد، وأقاموا الأسمطة والولائم في الأعياد والمواسم، وكان للمرأة شأن كبير في الدولة الفاطمية.

وبمجيء الدولة الأيوبية كان الهدف الأساسي للسلاطين الأيوبيين القضاء على المـــذهب الفاطمي وتدعيم مذهب أهل السنة، وقد أثر هذا الهدف في الحياة الاجتماعية في مصر، وهذا ما سيدرسه هذا البحث.

الفصل الأول

الفئات الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي

يتناول هذا الفصل الفئات التي تكون منها المجتمع المصري في العصر الأيوبي، وفي مقدمتها الطبقة الخاصة المكونة من السلاطين والأمراء الذين عاشوا في ترف ورفاهية ويليها طبقة علماء الدين الذين ارتفعت مكانتهم فتقربوا من السلاطين، وأغدقت عليهم الأموال وقام هؤلاء بدور خاص في المجتمع، أما التجار وهم الطبقة الثالثة فقد ساهموا في الازدهار الاقتصادي للدولة الأيوبية ونالوا مكانةً مرموقةً في المجتمع المصري.

أما الطبقة العامة فهي تشتمل على الفلاحين والصناع والعربان والجند الذين هم الفئة النشطة في المجتمع المصري وترسخت فيهم العادات والتقاليد والقيم عبر العصور الطويلة من تاريخ مصر.

وبالإضافة إلى ذلك شكّل أهل الذمة طبقة، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين قاموا بدور كبير في المجتمع المصري.

الطبقة الخاصة

السلاطين والأمراء

قام السلاطين والأمراء بدور اجتماعي واضح المعالم في العصر الأيوبي، وصنفوا ضمن فئة الخاصة ويتفاوت الدور الاجتماعي بين سلطان وسلطان وأمير وأمير حسب الظروف التي مرت بها الدولة، غير أن هناك إطاراً عاماً لذلك.

ولما كان عصر الأيوبيين امتداداً للعصر الفاطمي في كثير من المجالات، وإن اختلفا من حيث المذهب الديني، فإن كثيراً من ملامح الحياة الاجتماعية عامة كانت موجودة في العصر الفاطمي، وقد توسط عصر الأيوبيين عصرين تميزا بالبذخ، لكن مرافقته للحروب الصليبية جعل له خصوصية، ونلمح هذا من خلال تناول حياة سلاطينهم وأمرائهم ومجالسهم وملابسهم وطعامهم ونسائهم.

نسب الأيوبيين

يرجع نسب الأيوبيين إلى جدهم أيوب بن شاذي بن مروان الكردي[1]، وقد حاول بعض المؤرخين أن يرجعوا نسبهم للأمويين، وكان الملك إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب صاحب اليمن يدعي ذلك حتى أنه لقب نفسه بالمعز لدين الله وخطب لنفسه بالخلافة باليمن[2]، وقد رفضت هذه الدعوى من قبل الأيوبيين أنفسهم؛ حتى أن الملك العادل الكبير [3] صرّح بنفسه بنفي نسبهم إلى بني أمية[4]، وادعت جماعة نسبهم إلى بني مرة بن عوف[5]، ورغم تباين الروايات حول نسب الأيوبيين إلا أن معظم الروايات تشير إلى أنهم أكراد، أمّا نسبتهم للعرب فكان ذلك من قبيل رغبة بعض الجماعات للإعلاء من شأن الأيوبيين نظراً للدور الذي قاموا به في التصدي للأطماع الصليبية.

عندما تولى صلاح الدين الوزارة في مصر وقوي مركزه ألغى المذهب الفاطمي سنة (567هـ/1171م)[6]. وبذلك تحولت مصر إلى المذهب السني[7]. ووجد إلى جانب المذهب

---

(1) الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، (ت734هـ/1333م). **كنز الدرر وجامع الغرر**، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1391هـ/1972م، ج7، ص5. وسيشار إليه فيما بعد، الدواداري، **كنز الدرر**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص3؛ جبران، نعمان، (2000م). **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. (ط1). اربد: مؤسسة حمادة، ص40. وسيشار إليه فيما بعد، جبران، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**.

(2) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص6؛ جبران، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص40.

(3) العادل سيف الدين أبو بكر: وهو السلطان الرابع في دولة بني أيوب على مصر، وهو أصغر من أخيه صلاح الدين، تسلطن سنة 596هـ/1199م، توفي سنة 615هـ/1218م ووصفت بعض المصادر السلطان العادل بحبه للأكل حتى أنه كان يطبخ لنفسه. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص265-266؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص74؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت874هـ/1469م). **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، (تحقيق ودراسة وتعليق نبيل محمد عبد العزيز أحمد)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ج2، ص10. وسيشار إليه فيما بعد، ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص144؛ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، (ت911هـ/1505م). **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، م2، ص55-5610. وسيشار إليه فيما بعد، السيوطي، **حسن المحاضرة**.

(4) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص6؛ نعمان جبران، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص40.

(5) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص7؛ نعمان جبران، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ص40.

(6) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص199.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص189.

السني في مصر في العصر الأيوبي فرق شيعية متعددة، مثل الإمامية والزيدية والإسماعيلية، والنصيرية[1].

كان الملوك الأيوبيون جميعا من أتباع المذهب الشافعي، إلا الملك المعظم عيسى، إذ أنه كان حنفيا[2]، وكثرت المساجد وكانت ملاذا للزهاد يقيمون فيها للعبادة، وختم القرآن، وكانت تفتح طوال النهار لطلاب العلم، ولأداء فرائض الصلاة[3].

وتمثل الدور الاجتماعي للسلاطين الأيوبيين بالأعمال التي قاموا بها، فقد بنى السلطان صلاح الدين[4] سور القاهرة[5]، وكان الهدف من بنائه أن يجمع بين القاهرة ومصر، وقد أوكل هذه المهمة لأميره قراقوش الأسدي[6]،

---

(1) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت614هـ/1217). **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1959م، ص252. وسيشار إليه فيما بعد، ابن جبير، **رحلة**.

(2) ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت749هـ/1348م). **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ط1، (إشراف وتحقيق أحمد رفعت البداوي)، دار المعرفة، بيروت، 1389هـ/1970م، ج2، ص220. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الوردي، **تتمة المختصر**.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج1، ص36.

(4) السلطان صلاح الدين: الملك الناصر أبو المظفر ابن الأمير نجم الدين أيوب، وهو أول سلاطين بني أيوب، توفي سنة 589هـ/1193م. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص224-225؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص139-218؛ بيبرس الدوادار المنصوري، ركن الدين، (ت702هـ/1302م). **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ**، (المحقق عبد الحميد صالح حمدان)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص3-4. وسيشار إليه فيما بعد، بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص58.

(5) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص446؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص41؛ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ/1406م). **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ط1، (المحقق محمد كمال الدين عز الدين علي)، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م، ج2، ص18. وسيشار إليه فيما بعد، ابن دقماق، **الجوهر الثمين**؛ المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، (حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1423هـ/2002م، م2، ص170، ص264، م3، ص508. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **المواعظ**؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 118.

(6) قراقوش: هو بهاء الدين بن عبدالله الأسدي، ووصفه بالأسدي نسبة إلى أسد الدين شيركوه الذي اشتراه وتملكه وأعتقه، تلقب بقراقوش وهو لفظ تركي بمعنى النسر الأسود، وقد اتصل بخدمة صلاح الدين الأيوبي. انظر: ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص18؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص366؛ الملطي، عبد الباسط بن خليل بن شاهين، (ت920هـ/1514م). **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، ط1، (المحقق محمد كمال الدين عز علي)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص52. وسيشار إليه فيما بعد، الملطي، **نزهة الأساطين**؛ حمزة، عبداللطيف، (1364هـ/1945م). **حكم قراقوش**. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص9، ص47. وسيشار إليه فيما بعد، حمزة، **حكم قراقوش**.

وكان قد بنـي قلعـة الجبـل[1]، ومـد السـور ليجمـع بـين القـاهرة ومـصر والقلعـة، كما بنى القناطر في الجيزة[2]، مستعينا كذلك بأميره قراقوش.

وكـان الملـك الكامـل[3] فـي فتـرة الغـلاء يتـدخل فـي التـسعير ويـأمر أن يبـاع بالـسعر الواقـع[4]، وأمـر سـنة (628هـ/ 1230م) بحفـر البحـر الـذي مـن دار الوكالة بمـصر وشـارك بنفـسه فـي حفـره ومعـه الأمـراء والعـوام[5]، وضـرب دراهم مستديرة، عرفت آنذاك بالكاملية[6].

وقام السلاطين الأيوبيون ببناء المـدارس والخانقـاوات وتقريـب العلمـاء والفقهـاء ومشاركتهم فنونهم[7]، فضلاً عن بناء المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي سيتم تناولها بالدراسة.

عزف صلاح الدين الأيوبي عن مباهج الحياة ومغرياتها وصرف جهده إلـى الأعمـال الصالحة وجهاد الفرنج والغزاة[8].

---

(1) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص18؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص366، ص637؛ الملطي، **نزهة الأساطين**، ص52؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 118.

(2) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص18؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص325 ، م3، ص508.

(3) هو السلطان الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وهو خامس سـلاطين بنـي أيوب في مصر، أنشأ المدرسة الكاملية، وعمّر القبة على ضريح الإمام الشافعي، توفي 634هـ/1236م. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص79؛ بيبرس الدوادار، **مختار الأخبـار**، ص6-7؛ الـذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **سير أعلام النبلاء**، ط11، (تحقيق بـشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج23، ص201-202. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**؛ القلقشندي، أبو العبـاس أحمـد بـن علـي، (ت821هـ/1418م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (شرحه وعلق عليه وقابـل نـصوصه محمـد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيـروت، ج3، ص496. وسيشار إليه فيما بعد، القلقشندي، **صبح**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص200-202.

(4) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ/1332م). **نهاية الأرب في فنـون الأدب**، ط1، (تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميـة، بيروت، 1424هـ/2004م، م13، ج29، ص105. وسيشار إليه فيما بعد، النويري، **نهاية الأرب**.

(5) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص304؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص30.

(6) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص271.

(7) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص31.

(8) ابن شداد، **النوادر**، ص76-94.

وطهر الملك العادل محمد البلاد من الخمور والخواطي والقمار والمخانيث والمكوس والمظالم[1]، وأعتق الملك الأشرف موسى مماليكه وجواريه تقربا إلى الله تعالى سنة 633هـ/1235م[2].

عندما تولى صلاح الدين الحكم في مصر، ضبط أمورها، وأقام العدل فيها، وأسقط الضرائب والمكوس فيها[3]. كما أمر الأفضل في توقيع له بإسقاط المكوس[4]، وأمر الأفضل في تقليد سلطاني لأحد الولاة بمراعاة أحوال الفقراء، وإيصال الصدقات المخصصة لهم في بداية كل شهر دون إبطاء أو تأخير تخفيفا لمعاناتهم[5]. كما أمر في تقليد سلطاني لأحد الأعيان بولاية دمشق مذكرا إياه بأن الرعية قد أصبحت أمانة في عنقه فعليه أن يؤدي حقوقها على أحسن وجه[6]. وأمره بإبقاء بابه مفتوحا لشكاوى الناس وظلاماتهم، وإقامة العدل بين الخصوم، ودرء الحد بالشبهات حفاظا على دماء الناس وأرواحهم، دون التخلي عن الحزم في معاقبة المذنبين[7]. واستنكر الأفضل استخدام آنية من الذهب والفضة وعدم تأدية زكاتها. ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق يقاتل مانعه، ويعصى في استعمالها أمر الله وهو حد من حدوده يعاقب عاصيه ويثاب طائعه[8].

---

(1) علي، محمد كرد، (1403هـ/1983م). **خطط الشام.** (ط2). دمشق: مكتبة النوري، ج2، ص81. وسيشار إليه فيما بعد، علي، محمد كرد، **خطط الشام.**

(2) سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي، (ت654هـ/1256م). **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،** ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1370هـ/1951م، ج8، ق1، ص716. وسيشار إليه فيما بعد، سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان.**

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين،** ج2، ص232.

(4) ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **ديوان رسائل ضياء الدين ابن الأثير،** ط1، (حرره وقدم له هلال ناجي)، جامعة الموصل، الموصل، 1402هـ/1982م، ج2، ص91-92. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **ديوان رسائل.**

(5) ابن الأثير، **ديوان رسائل،** ج2، ص161-162.

(6) ابن الأثير، **ديوان رسائل،** ج2، ص158.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص159-161.

(8) ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،** ط1، (قدم له وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، 1379هـ/1959م، ق2، ص393-394. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **المثل.**

وأمر الأفضل بحد شارب الخمر، ومنع صنعها، وإدخالها إلى البلاد، وإتلاف ما ضبط منها، ومصادرة الدواب التي تحملها، ليكون ذلك ردعا لشاربيها[1].

مال بعض الأيوبيين إلى الترف والبذخ، ولا سيما في حفلات الزواج، والمناسبات السارة[2]، والأعياد، فعندما تزوج الملك الظاهر غازي[3] ابنة عمه ضيفة خاتون، جهزها والدها الملك العادل بقماش وآلات وأنواع من المصوغات حملها خمسون بغلا ومئة بختي وثلاثمئة جمل[4]، وقدم لها زوجها الملك الظاهر خمسة عقود جوهر قيمتها مئة وخمسون ألف درهم، وعصابة مجوهرة ليس لها نظير، وعشر قلائد من العنبر المذهب، وخمسا غير مذهبة، ومئة وسبعين قطعة من الذهب والفضة[5].

ونال الأيوبيون حب الناس؛ كونهم عاشوا في فترة تمثلت بالجهاد والتصدي للحملات الصليبية، فهذا الشاعر القاضي السعيد ابن سناء الملك يمتدح السلطان صلاح الدين ورجال الدولة الأيوبية بقوله:[6]

بدولة الترك عزت ملة العرب	وبابن أيوب ذلت شيعة الصلب
وفي زمان ابن أيوب غدت حلب	من أرض مصر وغارت مصر من حلب
ولابن أيوب دانت كل مملكة	بالصفح والصلح أو بالحَرْب والحِرَب

كما امتدح القاضي الفاضل الدولة الأيوبية بقوله:

---

(1) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص302، ص305، ص307-308.

(3) ابن واصل، **مفرج**، ج3، ص237-243.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص213-214.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص214.

(6) ابن سناء الملك، القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت608هـ/1211م). **ديوان ابن سناء الملك**، دار الجيل، بيروت، 1975م، ص 9-10. وسيشار إليه فيما بعد، ابن سناء الملك، **الديوان**؛ ابن سناء الملك، القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت608هـ/1211م). **ابن سناء الملك حياته وشعره**، (تحقيق محمد إبراهيم نصر)، (مراجعة حسين محمد نصار)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/1967، ص33، ص67. وسيشار إليه فيما بعد، ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص75.

" إن الذهب الإبريز لم تدخل عليه آفة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة الأموال، كما أن سيوفكم آفة الرجال، فأيامكم أعراس والجود في أيديكم خواتم، ونفس حاتم تحت نقش ذلك الخاتم"[1].

ووصف الوهراني صلاح الدين في مقامته البغدادية لما تقلد مصر:

"لما جبل عليه من حميد الأوصاف وإيثار العدل والإنصاف وما اجتمع فيه من أخلاق الملوك وتواضع الصعلوك وما خصّ به من شهامة الجنان وسماحة النفس والبنان"[2].

وهذا يدل على الإعلاء من شأن رجال الدولة الأيوبية.

ملابس السلاطين

تنوعت ملابس السلاطين والأمراء، فكان هناك اختلاف وتباين في الملابس عند هذه الفئة، فمنهم من بالغ في ملابسه، فقد كان السلاطين الأيوبيون يرتدون الخلع[3] وكانت معظم هذه الخلع تبعث مع رسل الخلفاء[4]؛ إشعاراً بتوليته منصباً معيناً[5]، وكانت خلعة السلطان الناصر صلاح الدين مكونة من عمامة[6] بيضاء بطرف ذهب وثوب دبيقي بطراز الذهب، وجبة[7] بطراز ذهب، وطيلسان مطرز بذهب، وعقد

---

(1) الإسحاقي المنوفي، محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن علي، (ت1060هـ/1650م). **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1892م، ص126. وسيشار إليه فيما بعد، الإسحاقي المنوفي، **أخبار الأول**.

(2) الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، (ت575هـ/1179م). **منامات الوهراني**، (تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش)، (مراجعة عبد العزيز الأهواني)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968م، ص5. وسيشار إليه فيما بعد، الوهراني، **منامات**.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص21.

(4) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص140؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 109.

(5) الصائغ، ذكرى عزيز محمد صالح، (1988م). **عصر الملك الكامل الايوبي**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق، ص 204–205. وسيشار إليه فيما بعد، الصائغ، **عصر الملك الكامل الايوبي**.

(6) العمامة: قطعة قماش تكون ملفوفة حول الرأس. انظر: دوزي، رينهارت، (1391هـ/1971م). **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**. (ترجمة أكرم فاضل). بغداد: دار الحرية للطباعة، ص250. وسيشار إليه فيما بعد، دوزي، **المعجم المفصل**.

(7) الجبة: وهي رداء مفتوح ويوضع فوق الرداء الأول ويُبطن في الشتاء واستعملت في مصر وما زالت مستعملة حتى اليوم. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص91–96.

جوهر بعشرة آلاف دينار، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار[1]، وكانت خلعة الملك المعظم توران شاه مكونة من جبة أطلس وعمامة شرب مذهبة[2]، وكانت خلعة السلطان العادل الكبير مكونة من جبة أطلس أسود وسيعة الكم بطراز ذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب مجوهر بجوهر ثقيل، وسيف محلى جميع قرابه ملبس بالذهب، وحصان أشهب بمركب ذهب، وقصبة ذهب[3]، وكانت خلعة السلطان الكامل مكونة من فرجية[4] مذهبة، وجبة وعمامة سوداء مذهبة، وطوق مذهب مرصع بالجواهر الثمينة، وقلد بسيف محلى مرصع، وعلم مذهب[5]، وكانت خلعة الملك العزيز غياث الدين محمد مكونة من فرجية واسعة الكم سوداء، وعمامة سوداء مذهبة، وثوب مطرز بالذهب[6]، وكانت خلعة السلطان الصالح نجم الدين أيوب مكونة من عمامة سوداء، وفرجية مذهبة، وثوبين مذهبين وسيف مسقط بذهب وعلمين حرير وحصان وترس ذهبية[7].

وارتدى السلطان العادل الكبير السراويلات[8]، كما ارتدى الملك المعظم عيسى الكلوتة[9] الصفراء[10] وتميزت ملابس السلطان بنقش اسم السلطان على ما ينسج من كسوة إليه حتى تخصصت دار عرفت بدار

(1) العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي، (ت1111هـ/1699م). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ط1، (تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، ج4، ص7. وسيشار إليه فيما بعد، العاصمي المكي، **سمط النجوم**.

(2) الوهراني، **منامات**، ص188.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص25؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص283.

(4) الفرجية: وهي ثوب فضفاض يعمل من الجوخ وله كمان واسعان طويلان. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص265.

(5) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص279.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص343.

(7) ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، ط1، (دراسة وتحقيق سمير طبارة)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1420هـ/1999م، ص153. وسيشار إليه فيما بعد، ابن دقماق، **نزهة الأنام**.

(8) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص21.

(9) الكلوتة: وهي الطاقية وكل ما يلامس الرأس كل الملامسة. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص313.

(10) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص4.

الطـــراز[1]، فـــي تنـــيس ودميـــاط والإســـكندرية لأداء هـــذه المهمـــة، وهـــذه الملابـــس يلبـــسها الـــسلطان أو مـــن يـــشرفه الـــسلطان بلبـــسها عنـــد ولايـــة وظيفـــة أو إنعـــام أو غير ذلــك[2]، كمــا جــرت العــادة أن يــنعم الــسلطان علــى أمرائــه بــالخيول وكــسوة الشتاء والــصيف، واختلفــت الكــسوة مــن أميــر لآخــر كــلٌ حــسب مرتبتــه[3]، وكــان لهــم أرزاق جاريـــة مـــن اللحـــم والتوابـــل والخبـــز والزيـــت ولأعيـــانهم الكـــسوة والشمع[4].

ومن السلاطين من تكون ملابسه في غاية البساطة، فذُكر أن السلطان الناصر صـــلاح الدين كان يرتدي تبانا[5]، وتميزت ملابسه بأنها من القماش السميك[6]. وكان لا يلبس إلا ما يحل لباسه كالقطن والكتان والصوف[7]، على الرغم من أنه عندما سيطر على قصور الفاطميين أخذ ما فيها من أموال وذخائر ووزع الباقي على أهله، وأمرائه وباع الشيء الكثير، وكان فيها مـــن الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك، قد جمع على طـــول الـــسنين ومـــر الدهور، فمنه: القضيب الزمرد الذي يصل طوله نحو قبضةٍ ونصف[8] وغيرها مـــن الجـــواهر

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت808هـ/1405م). **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، م1، ص280. وسيشار إليه فيما بعد، ابن خلدون، **تـــاريخ ابـــن خلـــدون**؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص6.

(2) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص280؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص6؛ ودار الطراز هـــي الـــدار التي ينسج فيها جميع أنواع الأقمشة وكانت في تنيس ودمياط والإسكندرية وكانت موجودة فـــي العـــصر الفاطمي وفيها قال عمارة اليمني:

ثـــم الطـــراز بتنـــيس التـــي عظمـــت ... منه الـــصلات لأهـــل الأرض والـــدولِ

انظر: القلقشندي، **صبح**، ج4، ص6؛ البقلي، محمد قنـــديل، (1983م). **التعريـــف بمـــصطلحات صـــبح الأعشى**. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ص129–130. وسيشار إليه فيما بعد، البقلي، **التعريف**.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص56–57.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص52.

(5) التبان:، وهو سراويل من الجلد. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص81.

(6) معلوف، أمين، (1993م). **الحروب الصليبية كما رآها العرب**. (ط2). (نقله إلى العربية عفيف دمشقية). بيروت: دار الفارابي، ص230. وسيشار إليه فيما بعد، معلوف، **الحروب الصليبية**.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج28، ص294.

(8) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بـــن عبـــد الواحـــد الشيباني الجزري، (ت630هـ/1232م). **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، (تحقيـــق عبـــد القادر أحمد طليمات)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، ص157. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 114-

الثمينة، ومع هذا فتذكر المصادر أن السلطان الناصر صلاح الدين لما مات لم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعةً وأربعين درهماً ناصرية وجراماً ذهباً صورياً[1]. وهذا يدل على استنفاد ما في خزائنه من المال في الجهاد في سبيل الله.

المراسم السلطانية

اتخذ السلاطين أشكالا من الشارات تقتضيها الأبهة والبذخ ومنها كما يذكر ابن خلدون: الآلة وهي نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون[2]، واتخذ السلاطين والأمراء السرير[3] وهو التخت المهيأ لجلوس السلطان مرتفعاً عن أهل مجلسه، وقد ذكره البهاء زهير في مدحه الملك المسعود صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن الملك الكامل قائلا:

وفوق سرير الملك أروع قاهر   نبيه المعالي في الملمات نبهانُ[4]

وهذا يدل على أن الغاية من السرير علو مكانة السلطان عن غيره.

واتخذوا السكة وهي الختم على الدنانير والدراهم[5]، التي وضعوا عليها أسماءهم وشكلت مظهراً من مظاهر نفوذهم، كما اتخذ السلاطين المقصورة للصلاة في الجامع، والهدف من اتخاذها الأمن وأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي[6] حتى أصبحت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة، وعدت الخيام الملونة بالأبيض والأحمر والأزرق

.115

(1) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج28، ص294؛ غنيم، إسمت، **الدولة الأيوبية والصليبيون**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص140. وسيشار إليه فيما بعد، غنيم، **الدولة الأيوبية والصليبيون**.

(2) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص271.

(3) ناصر خسرو علوي، **سفر نامة**، ط2، (ترجمة يحيى الخشاب)، (تصدير عبد الوهاب عزام)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص123. وسيشار إليه فيما بعد، ناصر خسرو، **سفر نامة**؛ ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص274؛ ، البقلي، **التعريف**، ص73-74.

(4) بهاء الدين زهير، (ت656هـ/1258م). **ديوان بهاء الدين زهير**، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1383هـ/1964م، ص330. وسيشار إليه فيما بعد، البهاء زهير، **ديوان البهاء زهير**.

(5) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص274.

(6) المصدر نفسه، م1، ص283؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص5.

التي ترافق السلطان في أسفاره[1] مظهراً من مظاهر الأبهة لديهم، واتخذ السلاطين الأيوبيون الخاتم وهو يشير إلى علامة السلطان وخطه[2].

أما المظلة وهي قبة من حرير تُحمل على رأس الملك على رمح بيد أمير يكون راكباً بجانب الملك، يُظله بها في حالة الركوب من الشمس في المواكب العِظام[3] وفي العيدين، وهو تقليد كان موجوداً في الدولة الفاطمية، وبالنسبة للأعلام وهي الرايات التي كتب عليها اسم السلطان ولقبه[4]، فقد كثرت في هذا العصر لكثرة الحملات الصليبية والقصد من الإكثار منها التهويل في النفوس[5].

الموائد السلطانية

عرفت الموائد السلطانية باسم الأسمطة وهي ما يبسط على الأرض لوضع الطعام وجلوس الآكلين، وكانت الأسمطة السلطانية عامرة[6]، وصنفت إلى أسمطة يومية وأسمطة المناسبات.

الأسمطة اليومية

وهي الأسمطة التي تُمد بشكل يومي للأمراء، وكان السلطان يجتمع عادةً مع الأمراء عند مد السماط[7]، ويشير المقريزي لأنواع الأسمطة فمنه السماط الأول الذي لا يأكل منه السلطان، وهناك السماط الثاني المسمى بالخاص، الذي قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل، أمّا الثالث ويسمى الطارئ ويأكل منه السلطان[8]، وكان الملك

---

(1) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص8.

(2) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص279؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص139.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص141.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص7.

(5) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص272.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص671.

(7) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص193؛ المقريزي: **المواعظ**، م3، ص671.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص671. انظر أيضا: ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت749هـ/1348م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين)، مركز زايد للتراث والتاريخ، المجمع الثقافي،

العزيز[1] يمدُ سماطاً عظيماً ويجمع الناس لأكله حتى إذا جلسوا كره منهم أكله[2]، وكان يوضع على الموائد اللحم والطيور من الدجاج والإوز والمأمونية من السكر وعسل النحل والأقسما (نقيع الزبيب) المعمولة من السكر والأفاويه المطيبة بماء الورد المبردة، والمشوي والمطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلي والموز والكيماخ والماء البارد[3].

أسمطة المناسبات

تمد هذه الأسمطة في مناسبات معينة كالأعياد[4]، ومثال ذلك سماط سنة (594هـ/1197م) الذي دعا العزيز الأمراء وأرباب العمائم (وهم القضاة)[5] إليه في عيد الفطر[6]، وكان السلطان يجلس عادةً على رأس هذه الأسمطة، والأمراء يصطفون عن يمينه ويساره كلٌ حسب مرتبته وقربه من السلطان[7].

ومن المناسبات الأخرى التي يمد فيها السماط عودة السلطان من سفر أو جهاد، ففي سنة (637هـ/1239م) عاد الملك العادل الصغير[8] إلى القاهرة وعملت قصور من الحلوى وأحواض من السكر والليمون وألف وخمسمئة رأس شواء، ودعا الملك العادل الصغير العامة

العين، أبو ظبي، 2001م، ، ج3، ص266. وسيشار إليه فيما بعد، ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص58.

(1) الملك العزيز: وهو عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهو ثاني سلاطين بني أيوب في مصر، وكان أصغر إخوته، ت595هـ/1198م. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ص255؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3، ص251؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص119-120؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص45-46.

(2) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص257.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص672-673؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص266؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص58.

(4) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص122.

(5) دوزي، **المعجم المفصل**، ص351.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص254.

(7) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص57.

(8) السلطان العادل ابن الكامل: سيف الدين أبو بكر ابن الملك الكامل، سادس سلاطين بني أيوب، عُرف بالعادل الصغير، تسلطن بعد وفاة أبيه على مصر سنة 635هـ/1237م، وتوفي 646هـ/1248م. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص85-86؛ بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**، ص7؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص269؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص55-56.

إليه[1]، وكان سماط الختان من الأسمطة المشهورة ويقام عند ختان السلاطين والأمراء لأولادهم حيث يمدون الأسمطة والخراف المحشية[2]، وقد سُميت الوليمة التي تُمد في مناسبة الختان وليمة العذير[3]، وقيل للطعام الذي يُطعم في الختان إعذار[4]، ففي سنة (624هـ /1226م) كان ختان العادل الصغير، وقد مد سماطاً عظيما[5]، وضمت المائدة السلطانية أطباقا عدة من الجبن المقلي والفطر والقشطة والمشاوي والبوارد والماء البارد[6]، وازدانت قصورهم بأدوات الطهي كالقدور التي يطبخ فيها، وتكون غالبا مصنوعة من النحاس التي تتباهى الملوك بكثرتها[7]، ووجد في قصورهم الجفان وهي الأواني التي يوضع فيها الطعام[8].

وكان السلاطين في بعض الأحيان يفضلون الأطعمة الخفيفة، فكانوا يأكلون الأرز باللبن المحلّى[9]، وهو ما يسمى عندنا الأرز بالحليب.

ومن باب ذكر طعام الفئة السلطانية والأمراء ما قاله صاحب حصن كيفا[10] لمّا جاء الشتاء ببرده وبيته فارغ من المآكل والمشارب، فقال يشكو حاله للملك الكامل:[11]

أحن إلى الأرز المفلفل بالتبل ويشتاق قلبي للبسائس بالعسل

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص 398.

(2) الدواداري: **كنز الدرر**، ج7، ص179، ص284؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص170.

(3) العذير: وهي الطعام الذي يُطعم في الختان وفي ذلك قال الشاعر:

في فتية جعلوا الصليب إلههم حاشاي إني مسلم معذور

انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت711هـ/1311م). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، م4، ص551. وسيشار إليه فيما بعد، ابن منظور، **لسان العرب**.

(4) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي، (ت953هـ/1546م). **فص الخواتم فيما قيل في الولائم**، ط1، (تحقيق نزار أباظة)، دار الفكر، دمشق، 1403هـ/1983م، ص60-61. وسيشار إليه فيما بعد، ابن طولون، **فص الخواتم**.

(5) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص284.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص672.

(7) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص146.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص147.

(9) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص358.

(10) حصن كيفا: قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص265.

(11) الإسحاقي المنوفي، **أخبار الأول**، ص120.

وأرتاح إن هبت رياح شرائح	وإن حضر اللحم السمين فلا تسل
وإن قدموا نحوي خروفاً من الشوي	ترى وقعتي فيه ولا وقعة الجمل
وأي فتى يشري الدجاج أزوره	هو المشتري لكن يصادفه زحل

ومن خلال هذا يتبين أن أبرز الأطعمة لديهم هي اللحم السمين[1] والطيور من الدجاج والإوز والمأمونية من السكر وعسل النحل والأقسما (نقيع الزبيب) المعمولة من السكر والأفاويه المطيبة بماء الورد المبردة، والمشوي والمطجنات والبوارد والقطر والقشطة والجبن المقلي والموز والكيماخ والماء البارد[2] والأرز المفلفل والمتبل بالبهارات، وبسائس العسل[3]، والخروف المحشي والحلوى والسكر والليمون والشواء[4].

مجالس السلاطين والأمراء

مجالس اللهو

الغناء

أقيمت في قصور السلاطين مجالس خاصة يجتمع فيها السلطان والأمراء والقيان بهدف اللهو والتسلية، فقد كان السلطان الملك الكامل يختلي في معظم ليالي الأسبوع مع ندمائه على الشراب وسماع القيان[5].

---

(1) البغدادي، عبد اللطيف، (ت629هـ/1231م). **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ط1، (تحقيق أحمد غسان سبانو)، دار قتيبة، دمشق، 1403هـ/1983م، ص74-75. وسيشار إليه فيما بعد، البغدادي، **الإفادة**.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص672-673؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص266؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص58.

(3) بسائس العسل: ومفردها بسيسة، وهي أن يلت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون بالسمن أو الزيت حتى يجتمع ثم يؤكل، ولا يطبخ، ويضاف إليه العسل. انظر الإسحاقي المنوفي، **أخبار الأول**، ص120.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص 398.

(5) انظر: النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص148-149.

ودرج أن ينظم الشعراء الشعر، وتقوم المغنية بالغناء، فقد قرب السلطان الملك الكامل مغنيته بنت نوري في مجلسه، فغنت له، فأعجبه ذلك فطلب الزيادة عليه، فتوجهت إلى الشاعر الفاشوشة وسألته أبياتا، فنظم لها، فحضرت عند السلطان فغنته بها، فطرب وأنعم عليها بجميع ما في المجلس. ثم إن الفاشوشة مرض فنقلته إلى منزلها وقامت بخدمته إلى أن عوفي، وقالت له: كل ما في البيت من إحسانك[1].

وكان السلاطين والأمراء يغدقون الأموال على الجواري والفتيان، فلما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج، ورحل الفرنج إلى بلادهم، جلس بقصره في المنصورة وبين يديه إخوته: الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الشرق، وغيرهما من أهل خواصه، فأمر الملك الأشرف جاريته ست الفخر بنت التاج فغنت على عودها، فطرب الأشرف، وقال لها: "بالله كرري"؛ فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها، وقال لجاريته: "غني أنت"، فأخذت العود وغنت، فأعجب ذلك الملك الكامل، وأمر لكل من الجاريتين بخمسمئة دينار[2]. وقد اقتنى كثير من الأغنياء القينات المغنيات[3].

الشطرنج

مارس السلاطين والأمراء لعبة الشطرنج[4] كثيراً في مجالسهم[5]. ومن معاني أسامة بن منقد في الشطرنج ما قاله في مجلس صلاح الدين وهو يلعب الشطرنج[6]:

---

(1) انظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **المقفى الكبير**، ط1، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، ج1، ص121. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **المقفى الكبير**.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص627.

(3) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص395.

(4) أصلها فارسي ومعناها ستة ألوان. انظر: القلقشندي، **صبح**، ج2، ص158.

(5) سبط ابن الجوزي، **مرآة**، ج8، ق1، ص288.

(6) عباس، حسن، **أسامة بن منقذ حياته وشعره**. (تقديم محمد مصطفى هدارة). الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص316. وسيشار إليه فيما بعد، عباس، **أسامة بن منقذ**.

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها مغالباً ثم بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلاها وما فيها

ويبدو أن اهتمام السلاطين والأمراء الأيوبيين بالشطرنج عائد إلى أن الوضع العسكري والحروب الصليبية كانت سبباً مشجعاً لانشغالهم بهذه اللعبة القائمة على الذكاء العسكري[1].

مجالس العلم والأدب

كثرت مجالس السلاطين والأمراء الأدبية والشعرية، وبرز من هذه الفئة نفسها الشعراء والأدباء، فاشتهر تاج الملوك[2] بوري بالشعر[3] ومن شعره في حب مصر:

شربت من الفرات ونيل مصر أحب إليّ من ماء الفرات
ولي من مصر من أصبو إليه ومن في قربه أبدا حياتي

وقد اهتم العادل الكبير بالعلم والعلماء[4]، وسار الكامل على نهجه فكان يبيت عنده في القلعة جماعة من أهل العلم ينامون على أسرة بجانب سريره، ويشاركهم النقد والحوار[5]، وكان مجتمع القلعة يشكل مجتمعاً خاصاً زمن الأيوبيين، حيث كثرت فيه المجالس الأدبية.

المتنزهات

(1) ابن الأثير، **ديوان رسائل،** ج2، ص148-149.
(2) تاج الملوك بوري: هو أخو صلاح الدين الأيوبي الأصغر، اشتهر بالشعر، ت579هـ/1183م. انظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، ص510.
(3) ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**، ص20.
(4) ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ج2، ص11.
(5) ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**، ص20.

تعددت وسائل اللهو عند الطبقة الخاصة، حيث كثرت المتنزهات التي أقامها ملوك مصر مثل العباسة[1] التي كان يقيم فيها الملك الكامل، وقد احتوى هذا المتنزه على مناظر وبساتين ومساكن. أمّا جزيرة الروضة[2] فعدت متنزهاً ملوكياً، وبنيت فيها قلعة عرفت بقلعة الروضة، وقد شرع في بنائها الملك الصالح[3] وقد أسكن فيها الأتراك وجعل فيها البساتين والمناظر والنخل[4]، وتذكر المصادر قلعة الروضة باسم قلعة الجزيرة التي كانت متنزهاً للملك الكامل واتخذ له فيها داراً ومن ثم قام الملك الصالح ببناء المساكن حتى أصبحت متنزهاً لإحاطة النيل بها من جميع الجوانب[5]، وكانت بركة الجُب تُمثل متنزهاً بظاهر القاهرة للخلفاء الفاطميين، واستمرت فيما بعد متنزهاً لسلاطين بني أيوب[6]. وكان أهل دمشق يعطلون في يوم السبت جميع أعمالهم وأشغالهم، ويخرجون إلى الميدان الأخضر، فقوم يلعبون بالصوالج، وآخرون يغنون السماع، وكل أحد فيما مال إليه هواه[7].

الصيد

مارس السلاطين والأمراء الأيوبيون الصيد[8] وهي من الهوايات المحببة إليهم[1].

---

(1) قرية فيما بين بلبيس والصالحية. انظر: المقريزي، **المواعظ**، م1، ص628.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص581؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص270.

(3) الملك الصالح: هو نجم الدين أيوب ابن السلطان الكامل، وهو السلطان السابع من بني أيوب على الديار المصرية، وهو صاحب قلعة الروضة. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص86؛ بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**، ص7-8؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج23، ص187؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص282-283؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص56-57.

(4) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص269-277.

(5) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص278؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص344، ص354، ص371.

(6) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج1، ص334.

(7) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، (ت685هـ/1286م). **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة**، ط4، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار المعارف، القاهرة، ص143. وسيشار إليه فيما بعد، ابن سعيد، **الغصون اليانعة**.

(8) عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام**، (عني بتحقيقه شكري فيصل)، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1378هـ/1959م، ج1، ص371-372. وسيشار إليه فيما بعد، عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر قسم شعراء الشام**.

وكـــان الملـــك المعظـــم[2] والملـــك الأشـــرف كثيـــراً مـــا يتوجهـــان للـــصيد[3]، وكـــان الـــسلطان صـــلاح الـــدين يخـــيم فـــي بركـــة الجـــب لممارســـة الـــصيد[4] وأكثـــر الملك العزيـــز مـــن الخـــروج إلـــى الفيـــوم لقـــصد الـــصيد، أمـــا الحيوانـــات التـــي كثـــر صـــــيدها فهـــــي الظبـــــاء[5] والـــــذئاب[6]. وكـــــانوا يـــــستخدمون فـــــي الـــــصيد قـــــسي البندق[7]. وظهرت بعـض المؤلفـات التـي تـصف الـصيد ومنهـا رسـالة مـن تـأليف الأمير يغمـر بـن عيـسى بـن العكبـري[8]. ومـن الحيوانـات التـي صـادوها الحجـل والأرانـب وطيـر المـاء والـدراج والأرانـب والغـزلان[9]. واقتنـى هـواة الـصيد[10] حيوانات الـصيد وجوارحـه[11] مـن كـلاب وفهـود وصـقور، واسـتخدموا مـن يقـوم بتغذيتها وتدريبها وعلاجها[12].

لعب الكـــــرة

---

(1) ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري، (ت584هـ/1188م). **الاعتبار**، ط1، (تحرير فيليب حتي)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيـروت، 1420هـــ/1999م، ص191-226. وسيشار إليه فيما بعد، ابن منقذ، **الاعتبار**.

(2) الملك المعظم: هو توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل، ثامن سلاطين بني أيوب في الديار المصرية، تسلطن بعد موت أبيه دون الشهر، ت648هـ/1250م. انظر: ابـن خلكـان، **وفيـات الأعيان**، ج1، ص306؛ بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**، ص8؛ الذهبي، **سير أعـلام النـبلاء**، ج23، ص193.

(3) ابن النظيف، أبو الفضائل محمد بن علي الحموي، (ت637هـ/1239م). **التاريخ المنصوري تلخـيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، (تحقيق أبو العيد دودو)، (مراجعـة عـدنان درويـش)، ص136. وسيشار إليه فيما بعد، ابن النظيف، **التاريخ المنصوري**.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص185.

(5) ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ص8.

(6) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص255.

(7) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص54-55.

(8) عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر قسم شعراء الشام**، ج1، ص354.

(9) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص199.

(10) المصدر نفسه، ص200-202.

(11) المصدر نفسه، ص106، ص109، ص144، ص193-197، ص217، ص226.

(12) المصدر نفسه، ص199-201.

عرف الملوك والأمراء لعب الكرة (الأكرة أوالصولجان، أو الجوكان)[1]، وهي عبارة عن كرة كبيرة تلقى على الأرض ويأتيها الفارس راكبا ويضربها[2]. وكان اللعب بالكرة من الهوايات الأثيرة لدى صلاح الدين[3].

كما لعبوا سباق الخيل والرماية، وطعن الحلق، ورمي القبق[4].

نساء السلاطين والأمراء

نالت المرأة في الطبقة الخاصة مكانة مميزة سواءً أكانت من زوجات السلاطين والأمراء أم بناتهم، حيث لقبن بألقاب عدة تتناسب ومكانتهن الاجتماعية، فلقب بعضهن بالجهة الشريفة، والعالية المصونة وعصمة الدين وجلال النساء، وسليلة الملوك والسلاطين[5] وغيرها من الألقاب، ولعل لكل لقب من هذه الألقاب دلالته الخاصة به، ولكنها تجتمع في كونها ألقاب تشريفية مفادها الرفعة والجاه، وذلك من باب الفخر والتزكية والثناء والتعظيم[6].

وقد أثرت المرأة كثيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية؛ فكان حب الابن نابعا من محبة أمه، فيذكر المقريزي أن السلطان الملك الكامل قد سلطن ولده الملك العادل الصغير وعمره إحدى عشرة سنة لمحبته ومحبة أمه

---

(1) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص110؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص185؛ تيمور، أحمد، **لعب العرب وبعض لعب المولدين**. (قدم له إبراهيم سلامة). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص76. وسيشار إليه فيما بعد، تيمور، **لعب العرب**.

(2) جب، هاملتون، (1996م). **صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي**. (ط2). (حررها يوسف إيبش). بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ص118. وسيشار إليه فيما بعد، جب، **صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي**.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج1، ص320.

(4) البنداري، **سنا**، ص31.

(5) القلقشندي، **صبح**، ج6، ص162؛ القضاة، سناء، (2007م). **المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص5-19. وسيشار إليه فيما بعد، القضاة، **المرأة في مصر**.

(6) مرجية، بشارة، (2001م). **شخصية المرأة في الأدب العربي القديم** مع تحقيق كتاب **العنوان في مكايد النسوان**، تأليف علي بن عمر البتنوني. (ط1). عمان: دار الكرمل، ص73. وسيشار إليه فيما بعد، مرجية، **شخصية المرأة**.

حباً زائداً[1]، وكانت زوجات السلاطين تنال الجاه بولادتها ذكراً[2]، لاعتماد والده عليه في أمور الدولة وليرث ملكه، ومهما يكن فقد كانت المرأة معززة مكرمة وساهمت في جميع جوانب الحياة العلمية والعملية[3]، وجرت العادة أن يصطحب السلاطين حريمهم في نزهاتهم ويقود خيولهن كبار الأمراء والخدام[4]، وإذا ما توفيت إحدى زوجات السلطان أو الأمراء صلى عليها الأمراء، وأكثر السلطان أو الأمير من توزيع الصدقات عن روح زوجته المتوفاة[5]، حتى أن الملك المنصور صاحب حماة لَبِسَ لِبْس الحداد بوفاة زوجته[6]، وكثيراً ما وزعوا الصدقات عن روح أمهاتهم ووضعوا القراء عند قبورهن[7] مثلما فعل الكامل سنة (608هـ/ 1211م) عندما توفيت أمه.

وقد قامت النساء بدور في بناء المدارس والزوايا والربط[8] كالمدرسة القطبية في القاهرة التي أوصت ببنائها الست الجليلة عصمت الدين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل الكبير بن أيوب وهي شقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد، وقد نسبت إليه فضلا عن اهتمامها بالعلم والأدب[9].

أما عن دور النساء في الدولة الأيوبية فتأتي شجر الدر في المقدمة، فقد تسلطنت في مصر، وخطب لها على المنابر[10] ونقش اسمها على

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص367.

(2) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص118.

(3) مرجية، **شخصية المرأة**، ص73.

(4) عاشور، سعيد، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية**. سوسة: دار المعارف للطباعة والنشر. ص34. وسيشار إليه فيما بعد، عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**.

(5) المصدر نفسه، ص35.

(6) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (611 – 620هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1418هـ/1997م، ص378. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبي، **تاريخ الإسلام حوادث ووفيات (611 – 620هـ)**.

(7) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص293.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج1، مقدمة المحقق، ص66.

(9) القضاة، **المرأة في مصر**، ص191.

(10) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص235؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص276؛ الصفدي،

الـــدراهم والـــدنانير[1]، ودبـــرت الأمـــور بنفـــسها[2]، وهـــذا أبـــرز دورهـــا وقـــدرتها على تـــدبير الأمـــور ســـواء أكـــان فـــي حيـــاة زوجهـــا الملـــك الـــصالح أم بعـــد موتـــه، فكانـــت توقـــع علـــى المناشـــير[3] وقربـــت الأمـــراء منهـــا وفرقـــت الوظـــائف علـــيهم، وأغـــدقت الأمـــوال علـــى المماليـــك، وساســـت الرعيـــة بأحـــسن سياســـة حتـــى رضـــي النـــاس بحكمهـــا[4]، وقامـــت شـــجر الـــدر بأعمـــال عديـــدة منهـــا بنـــاء قبـــة الملـــك الـــصالح[5] بجـــوار المدرســـة الـــصالحية، لأجـــل مولاهـــا الملـــك الـــصالح نجـــم الـــدين أيـــوب عنـــدما مـــات ســـنة (647هـــ/1249م)، وبنـــت صـــالة الأعمـــدة التـــي تحـــوي عرشا من الـــذهب وعـــدداً مـــن الأوانـــي الذهبيـــة والفـــضية، وأســـست فرقـــة موســـيقية عسكرية[6].

أما ربيعة خاتون وهي أخت صلاح الدين (ت643هـ/1245م) وإن كانت قد اســـتقرت في دمشق فقد كان لها نشاطها الاجتماعي، وقد وجد لديها الكثير من الجواهر الثمينة والأمـــلاك

صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت764هـ/1362م). **الوافي بالوفيـات**، ط1، (تحقيـق واعتنـاء أحمـد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيـروت، 1420هــ/2000م، ج16، ص70. وسيشار إليه فيما بعد، الصفدي، **الوافي بالوفيات**؛ ابن دقمـاق: **نزهـة الأنـام**، ص194؛ المقريـزي، **السلوك**، ج1، ص459؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص605؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهـرة**، ج6، ص333؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص286.

(1) السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بـن أبـي بكـر الخـضيري، (ت911هــ/1505م). **المستظرف من أخبار الجواري**، ط1، (حققه صلاح الدين المنجد)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963م، ص36. وسيشار إليه فيما بعد، السيوطي، **المستظرف من أخبار الجواري**؛ العمري، ياسين بن خير الله، (1386هـ/1966م). **مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**. (تحقيق رجاء محمـود الـسامرائي). بغداد: دار الجمهورية، ص241. وسيشار إليه فيما بعد، العمري، **الروضة الفيحاء**.

(2) الدواداري، **كنـز الـدرر**، ج7، ص383؛ Gabrieli, Francesco, (1984). **Arab Historians of the Crusades.** London, Melbourne and Henley: Routledge and Kegan Paul, p.297-298. وسيشار إليه فيما بعد، Gabrieli, **Arab Historians**.

(3) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (641 – 650هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربـي، بيروت، 1419هـ/1998م، ص43. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبي، **تاريخ الإسـلام حـوادث ووفيـات (641 – 650هـ)**؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص44؛ كحالة، عمر رضا، (1398هـ/1978م). **المرأة في عالمي العرب والإسلام**. (ط1). دمشق: مؤسسة الرسالة، ج1، ص234. وسيشار إليـه فيمـا بعد، كحالة، **المرأة في عالمي العرب والإسلام**.

(4) ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، ص17.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص492.

(6) فولكف، أولج، (1986م). **القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة**. (ترجمة أحمـد صـليحة). القـاهرة: الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ص83. وسيشار إليه فيما بعد، فولكف، **القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة**.

والأوقاف[1] وبنت المدرسة الحنبلية في جبل الصالحية[2]، وجعلت للمدرس كل يوم درهمين، وللمعيد درهما، وللطلبة كل واحد نصف درهم[3]، ولم يشغلها الترف عن الإحساس بفقراء بلادها.

أما ست الشام خاتون (ت616هـ/1219م) وهي أخت السلطان الملك العادل الكبير، فقد أوقفت مدرستين (واحدة بظاهرة دمشق وأخرى بداخلها) وكانت كثيرة البر والصدقات، وعمل في دارها أشربة وعقاقير وكانت تفرقه على الناس وبابها ملجأ كل قاصد[4].

كما أن خاتون بنت الأشرف، وهي زوجة الملك المنصور محمود بن الصالح أبي الخيش، أقامت في مصر، وشرعت ببيع أملاكها حتى لم يبق منها إلا دار السعادة، وأثبت عدم رشدها وأشهد عليها بأنها سفيهة واحتاطوا على أملاكها[5].

أما فاطمة بنت أحمد بن السلطان صلاح الدين فقد اشتهرت في عصرها برواية الفقه والحديث[6].

---

(1) العمري، **الروضة الفيحاء**، ص239؛ النوايسة، مصلح عبد الحميد، (1419هـ/1998م). **نساء في ذاكرة التاريخ**. الزرقاء: دار العكش للنشر والتوزيع، ص40-41. وسيشار إليه فيما بعد، النوايسة، **نساء في ذاكرة التاريخ**.

(2) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص162؛ التونجي، محمد، (2001م). **معجم أعلام النساء**. (ط1). بيروت: دار العلم للملايين، ص89. وسيشار إليه فيما بعد، التونجي، **معجم أعلام النساء**.

(3) البدوي، خليل، (1419هـ/1998م). **موسوعة شهيرات النساء**. (ط1). عمان: دار أسامة للنشر، ص121-122. وسيشار إليه فيما بعد، البدوي، **موسوعة شهيرات النساء**.

(4) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (611-620هـ)**، ص290-291؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج15، ص75.

(5) الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر، (ت726هـ/1325م). **تالي كتاب وفيات الأعيان**، (تحقيق جاكلين سوبلة)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1974م، ص71-72. وسيشار إليه فيما بعد، الصقاعي، **تالي كتاب وفيات الأعيان**؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج13، ص143.

(6) الزركلي، خير الدين، (1984م). **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. (ط6). بيروت: دار العلم للملايين، ج5، ص130. وسيشار إليه فيما بعد، الزركلي، **الأعلام**.

وقـد تعـددت طـرق الزينـة وشـاعت لفظـة التزيـق[1] لـدى نـساء هـذه الطبقـة، فكـن يـضعن الحنـاء علـى أيـديهن[2]، ويلبـسن أفخـر الملابـس، ووضـعن الزنـانير المذهبـة لتزيـد ملابـسهن جمـالاً[3] وامتـازت هـذه الأزر بأنهـا رفيعـة جدا[4]، أما ملابسهن فهـي طويلـة تـسحب أذيالهـا علـى الأرض فقـد سـاد فـي ذلـك العـصر جـر الـذيل[5]، وقمـصانهن مـصنوعة مـن الحريـر، وعنـد خـروجهن يـضعن الحجـاب أو البرقـع حتـى لا يـتمكن أحـد مـن رؤيـة وجـوههن[6] وتكـون ملابـسهن مـصبوغة بالطيـب والزعفـران[7]، ويـضعن علـى رؤوسـهن الأقـراص المذهبـة المرصـعة بـاللآلئ وأنـواع الجـواهر[8]، ويـضعن فـي أقـدامهن الأخفـاف المثمنـة[9]، وعاشـت الجـواري فـي قـصور الحكـام ونلـن مكانـة عاليـة ولبـسن القمصان المتعددة الألـوان[10]، وفـي كثيـر مـن الأحيـان يلبـسن نوعـاً مـن الخفـاف يسمى الزرابيل[11].

ويظهر الاهتمام بالملابس والشوار[12] عند الحديث عن العروس فقد كانت العروس من بنات السلاطين والأمراء تجهز شورتها كما يذكر المقريزي من فضة وبلور، وخشب مـدهون

---

(1) التزيق: وهي بمعنى التحسين والتزيين. انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبـد القـادر، (ت بعـد 666هـ/1257م). **مختار الصحاح**، ط1، (حققه وخرج أحاديثه يحيى خالد توفيق)، (تقديم عبد الوهـاب عبد الوهاب فايد)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1418هـ/1998م، ص279. وسيشار إليه فيما بعد، الرازي، **مختار الصحاح**.

(2) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص33.

(3) رحمة الله، مليحة، (1967م). الملابس في العراق خلال العصور العباسية. **المجلة التاريخية المصرية**، 13، 185-221، ص191. وسيشار إليه فيما بعد، رحمة الله، الملابس في العراق.

(4) حسن، علي إبراهيم، (1981م). **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نـصيب**. القـاهرة: مكتبـة النهـضة المصرية، ص132. وسيشار إليه فيما بعد، حسن، **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**.

(5) المصدر نفسه، ص132.

(6) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص44.

(7) رحمة الله، الملابس في العراق، ص199.

(8) حسن، **نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب**، ص132.

(9) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص45.

(10) العبيدي، صلاح حسين، (1973م). ملابس الندامى في العصر العباسـي. **مجلـة سـومر**، 29 (1-2)، 221-227، ص224. وسيشار إليه فيما بعد، العبيدي، ملابس الندامى.

(11) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5، ص298.

(12) الشوار، بالفتح متاع البيت والرحل، والشارة اللباس والهيبة. انظر: الرازي: **مختار الصحاح**، ص350.

ونحاس أبيض[1] وغيرها وقد لبسن أفخر الجواهر الثمينة والأطواق المرصعة بالجواهر، وفي اليدين الأساور، وعلى الرأس العصائب المزخرفة بالذهب[2].

وشاع عند النساء لبس الأحجار الكريمة، فكان لكل حجر دلالته فكان لبس الماس[3] يزيد المرأة مكانة[4]، والزمرد[5] يدفع العين عنها[6]، أما العقيق[7] فيمنح البركة أسوة بقول الرسول عليه الصلاة والسلام :"من تختم بالعقيق لم يزل فيه بركة"[8] أما حجر الماطيلس[9] وهو حجر هندي[10] فإنه يبعد السحر.

العلماء ورجال الدين

نال علماء الدين نصيباً وافراً من اهتمام السلاطين الأيوبيين ؛ وذلك تبعا للدور الذي تؤديه هذه الفئة وخدمتها للعامة والخاصة، ويذكر ابن

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص347.

(2) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص38.

(3) الماس: حجر وهو ضربان أحدهما أبيض شديد البياض يشبه البلور ويسمى بلوري، والثاني يخالط بياضه صفرة ويسمى الزيتي، ومن خواصه قطع كل حجر يمر عليه، وإذا وضع على سندان حديد ودق بالمطرقة لم ينكسر، ومن خواصه أنه ذو زوايا مثلثة الشكل. انظر: التيفاشي، أحمد بن يوسف، (ت651هـ/1253م)، **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار**، (تحقيق محمد يوسف حسن ومحمود بسيوني خفاجي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص104-107. وسيشار إليه فيما بعد، التيفاشي، **أزهار الأفكار**؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص113.

(4) الأبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور، (ت854هـ/1450م). **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط1، (عني بتحقيقه إبراهيم صالح)، دار صادر، بيروت، 1999م، ج2، ص578. وسيشار إليه فيما بعد، الأبشيهي، **المستطرف**.

(5) الزمرد: حجر لونه أحمر لشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض، وامتزجت الحمرة بالسواد فصار لونه أخضر وتذكر كتب الأحجار الكريمة منافعه، ويكثر في مصر بين قوص وعيذاب وأصنافه أربعة الذبابي والريحاني والسلقي والصابوني. انظر: التيفاشي، **أزهار الأفكار**، ص78-88؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص114-115.

(6) الأبشيهي، **المستطرف**، ج2، ص579.

(7) العقيق: حجر متعدد الأنواع منه أحمر ورطبي وأزرق وأسود، وأجوده الأحمر، يصنع منه الخواتم، ومن خواصه أنه يابس. انظر: التيفاشي، **أزهار الأفكار**، ص146-147.

(8) الأبشيهي، **المستطرف**، ج2، ص579.

(9) الماطليس: هو حجر يسمى كذلك المغناطيس، ويؤتى به من الهند، ويمتاز بكونه يابساً وقوة جذبه كبيرة وله فوائد فهو يبعد السحر. انظر: التيفاشي، **أزهار الأفكار**، ص152-156.

(10) الأبشيهي، **المستطرف**، ج2، ص580.

الجوزي أثناء دخوله الإسكندرية أنه وجدها مغمورة بالعلماء والأولياء[1]، واشتملت هذه الفئة على العلماء من القضاة والمحتسبين والأطباء والخطباء والفقهاء والقراء وعلماء الحديث، وكتاب الدواوين[2] وباقي موظفي الدولة، واللافت للنظر أن المهنة لدى هذه الفئة كانت متوارثة في كثير من الأحيان، حيث يذكر ابن الأثير عن عبد الرحيم بن علي البيساني المعروف بالقاضي الفاضل "أنه كان من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد أحضره إلى ديوان المكاتبات؛ ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع"[3].

وقد نال علماء الدين مكانة خاصة في المجتمع المصري فقد ارتبطوا بطبقة الحكام وقربوا من مجالس السلاطين، فالقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني[4]، كان وزيرا لصلاح الدين[5]، وهو من مقربيه، حتى كان يقول للناس عنه: "لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل"[6]، ودلالة على تأثيره ومكانته العالية أن الشاعر عمارة اليمني

(1) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (641-650هـ)**، ص6.

(2) ابن مماتي، الأسعد، (ت606هـ/1209م). **قوانين الدواوين**، ط1، (جمعه وحققه عزيز سوريال عطية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م. وسيشار إليه فيما بعد، ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص297- 306؛ ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت749هـ/1348م). **التعريف بالمصطلح الشريف**، ط1، (تحقيق سمير الدروبي)، جامعة مؤتة، الكرك، 1992م، ص99. وسيشار إليه فيما بعد، ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**.

(3) ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **الوشي المرقوم في حل المنظوم**، (تحقيق جميل سعيد)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1409هـ/1989م، ص55. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **الوشي المرقوم**.

(4) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص89؛ النويري: **نهاية الأرب** م13، ج29، ص6؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص142؛ ابن كثير، الدمشقي، (ت774هـ/1372م). **البداية والنهاية**، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1977م، م7، ج13، ص24. وسيشار إليه فيما بعد، ابن كثير، **البداية والنهاية**؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص266.

(5) ابن نقطة، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، (ت629هـ/1231م). **تكملة الإكمال**، ط1، (تحقيق عبد الفيوم عبد رب النبي)، أم القرى، مكة، 1408هـ/1987م، ج1، ص438. وسيشار إليه فيما بعد، ابن نقطة، **تكملة الإكمال**.

(6) عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **الفتح القسي**، (تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مقدمة المحقق، ص27. وسيشار إليه فيما بعد، عماد الدين الأصبهاني، **الفتح القسي**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص140؛ الباشا، حسن، (1409هـ/1989م). **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**. القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ص24. وسيشار إليه فيما بعد، الباشا، **الألقاب الإسلامية**؛ سلام، محمد زغلول، (1997م).

عندما أرادوا أن يعدموه شنقا سنة 569هـ/1173م طلب أن يعرج على قصر القاضي الفاضل ليشفع له، لكن القاضي لم يظهر حتى قال عمارة[1]:

عبد الرحيم قد احتجب   إن الخلاص من العجب

أما القاضي ابن شداد فقد لعب دوراً في التوفيق بين أفراد البيت الأيوبي في مصر والشام، وكلما نشب بينهم نزاع حول أمر ما كان يعمل على حله، وكان كثير التنقل بين حلب والقاهرة لتحقيق هذا الهدف[2]، وكان ملازماً للسلطان صلاح الدين.

كان الفقيه عبد الله اليونيني (ت617هـ/1220م)[3] دائم النقد للملك الأمجد بهرام شاه (ت628هـ/1230م)[4] صاحب بعلبك، وكان الملك الأمجد دائم الاعتذار إليه[5]، وترك عز الدين بن عبد السلام (ت660هـ/1261م)[6] الدعاء على المنبر للملك الصالح إسماعيل بسبب تحالفه مع الصليبيين، فعزله الملك الصالح عن الخطابة وسجنه، ولكنه عاد وأفرج عنه خوفا من نقمة المسلمين. ثم توجه العز بن عبد السلام إلى القاهرة فاستقبله الملك الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وفوض إليه الخطابة في جامع عمرو بن

الأدب في العصر الأيوبي. الإسكندرية: منشأة المعارف، ج1، ص225. وسيشار إليه فيما بعد، سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**.

(1) عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان القحطاني اليمني، (ت569هـ/1173م). **ديوان عمارة**، ط1، (تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الإرياني وأحمد عبد الرحمن المعلمي)، مطبعة عكرمة، دمشق، 2000م، م1، ص36. وسيشار إليه فيما بعد، عمارة اليمني، **ديوان عمارة**؛ ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص55؛ ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م4، ص96.

(2) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، مقدمة المحقق، ص29.

(3) الذهبي، **العبر**، ج3، ص173-174.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص200.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص174.

(6) ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، (ت773هـ/1371م). **طبقات الشافعية الكبرى**، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1906م، ج8، ص209. وسيشار إليه فيما بعد، ابن السبكي، **طبقات**؛ أبو شامة، **ذيل**، م2، ص330؛ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (ت726هـ/1325م). **ذيل مرآة الزمان**، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، 1375هـ/1955م، ص172-176. وسيشار إليه فيما بعد، اليونيني، **ذيل**؛ ابن كثير، **البداية**، ج13، ص235.

العـــاص، وولاه قـــضاء مـــصر، ثـــم اختلـــف معـــه، ومـــع أعوانـــه مـــرارا، وأخيـــرا عزل نفسه عن القضاء، وكانت له مواقف مشهودة مع السلاطين الأيوبيين[1].

(1) ابن السبكي، **طبقات**، ج8، ص210-211، ص215-218.

القضـــاة

نال القضاة منزلة عالية في المجتمع المصري في العصر الأيوبي. وكـــانوا يحكمـــون بالشريعة الإسلامية وإن كان بعضهم يطوعونها بحيث تلائم الرغبات السلطانية[1].

ومن أشهر القضاة في العصر الأيوبي القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علـــي البيـــساني والقاضي ابن شداد.

ومعظم القضاة كانوا ميسوري الحال، حتى يذكر أن القاضي ضياء الدين الـــشهرزوري كان يملك بالقاهرة داراً ومنزلاً في مصر[2] يستضيف الناس فيه، ومن قضاة مصر شرف الدين ابن الصفراوي[3] قاضي قضاة مصر الذي ولي القضاء سنة 584هـــ/1188م، والقاضي كمـــال الدين أبو حامد الذي كان يجالس الملوك[4]، وتوجب أن يتحلى القاضي بالأدب والخلق ومراعاة الحق[5] وهم مسؤولون عن تقويم السلاطين ويمثلون سلطة الأمة، وكثيراً ما لازم القضاة الأعيان والسلاطين[6]، وقد وصل الأمر درجة أن العادل الكبير قد شيع جنازة شهاب الدين الطوسي في مصر سنة 596هـــ/1199م[7]، وكان السلطان صلاح الدين يجتمع مع القضاة والفقهاء في كـــل يوم اثنين وخميس[8] للتشاور معهم، وسار القضاة على نهج السلاطين في بناء المدارس، فبنـــى القاضي الفاضل المدرسة الفاضلية سنة 580هـــ/1184م[9]، وكانت أرزاقهـــم مـــن الأوقـــاف والأحباس[10] التي تستدر من المؤسسات العلمية والدينية.

---

(1) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص55.

(2) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص117.

(3) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص236.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص296.

(5) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص144.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج7، ص180.

(7) الخطيب، إبراهيم، (1993م). **دور التعليم في تحرير بيت المقدس إبان العصر الأيوبي**. عمان، ص88. وسيشار إليه فيما بعد، الخطيب، **دور**.

(8) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ج6، ص9.

(9) الخطيب، **دور** ص89.

(10) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص270.

المحتسب

أما المحتسب[1] فكان يقوم[2] بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[3]، وإحياء السنن[4] وإماتة البدع[5]، ناظراً فيما يقرب من الجنة ويبعد عن النار[6]، وكثرت مخالطته للناس في الأسواق والطرق[7]؛ تفقداً لأحوالهم وتحذيراً من الغش[8]. ومنعا للتعامل بالربا[9] ولاحتكار السلع[10]، وردعا الظالمين عن غيهم[11].

علماء الحديث

وقد نال علماء الحديث اهتماماً واضحاً، فقد كان صلاح الدين شديد الرغبة في سماع الحديث، وإذا سمع عن راوٍ استقدمه[12]، وإن كان من الرواة من لا يطرق

---

(1) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص392.

(2) المصدر نفسه، ق2، ص386.

(3) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، (ت590هـ/1193م). **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، (نشره السيد الباز العريني)، (إشراف محمد مصطفى زيادة)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1365هـ/1946م، ص6. وسيشار إليه فيما بعد، الشيزري، **نهاية**؛ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي الدمشقي، (ت953هـ/1546م). **نقد الطالب لزغل المناصب**، (تحقيق محمد دهمان وخالد دهمان)، (مراجعة نزار أباظة)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص49. وسيشار إليه فيما بعد، ابن طولون، **نقد الطالب**.

(4) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص386–390.

(5) المصدر نفسه، ق2، ص386، .

(6) ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص178.

(7) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص393.

(8) المصدر نفسه، ق2، ص391.

(9) المصدر نفسه، ق2، ص391.

(10) المصدر نفسه، ق2، ص392–393.

(11) ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري، (ت584هـ/1188م). **لباب الآداب**، ط1، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991م، ص311. وسيشار إليه فيما بعد، ابن منقذ، **لباب الآداب**.

(12) ابن الأثير، **الوشي المرقوم**، مقدمة المحقق، ص17.

أبواب السلطان سعى إليه بنفسه، وهذا يدل على مكانة علماء الحديث في هذا العصر فقد ذهب السلطان صلاح الدين إلى الإسكندرية وسمع الحديث من الحافظ السلفي[1].

الفقهاء

نشط الفقهاء في نشر مبادئ الفروسية وتقوية الروح المعنوية والترويج للحرب[2] ونالوا احترام السلاطين والأمراء وعامة المجتمع المصري.

وكان السلطان المعظم يقرب الفقهاء ويمتحنهم في عدة مسائل[3]، ومن الفقهاء الفقيه أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن بنت الجميزي[4]، والشيخ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية ت633هـ/1235م، الذي عرف بشيخ الحديث في الديار المصرية[5]، والفقيه الشيخ الإمام السيد الشريف شمس الدين الأرموي الذي عينه الملك الصالح بدار العدل لإزالة المظالم عن الرعية[6].

القــراء

أما القراء فقد برز منهم عبد الظاهر بن نشوان الإمام رشيد الدين الجذامي شيخ القراء بالديار المصرية[7]، وأبو إسحق المازني[8]، ويشير المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم أن مصر

---

(1) المصدر نفسه، مقدمة المحقق ص8. انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص9.

(2) حمزة، عبد اللطيف، (1999م). **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول**. (تقديم جابر عصفور). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص68. وسيشار إليه فيما بعد، حمزة، **الحركة الفكرية في مصر**.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص450.

(4) فقيه شافعي مصري الأصل انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتدريس جمع بين العلم والورع عرف بابن بنت الجميزي وهي أمه أو جدته نسب إليها. انظر: السيد، فؤاد صالح، (1996م). **معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم**. (ط1). بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ص59. وسيشار إليه فيما بعد، السيد، **معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم**.

(5) الخطيب، **دور**، ص137.

(6) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص133.

(7) الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص263.

(8) هو إبراهيم بن ترجم بن حازم المقرئ الشافعي، قرأ القراءات السبع وتفقه على المذهب الشافعي وأقام بالمدرسة الفاضلية توفي سنة خمس وثلاثين وستمئة بالقاهرة. انظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص122-123.

أكثر البلاد عبادا وقراءً[1].

الخطباء

أما الخطباء فكان لهم تأثير من نوع خـــاص، ولعــل صـــلاة الجمعـــة شـــكلت وقتـــاً مناسباً، لمخاطبة قلوب وعقـــول النـــاس، لمـــا تطرقتـــه مـــن مواضـــيع تخـــص همـــومهم كالحروب والغلاء وقضاياهم الاجتماعية، كما تناولـــت الـــدعوة للتـــابعين والـــسلاطين ومـــن سواهم[2]، وتأتي خطبهم مـــسجوعة واســـتعانوا بالآيـــات القرآنيـــة[3]، وقـــد أشـــاد الخطبـــاء بمناقب خلفاء المسلمين وعظمائهم لتكون هذه المناقب سبلا يـــسلكها الحكـــام مـــن بعـــدهم[4]. ومن الخطباء الخطيب شـــمس الـــدين ابـــن الـــوزير أبـــو الـــضياء وكـــان خطيـــب الـــديار المصرية[5].

ملابس علماء الدين

امتاز القضاة والفقهاء بزي خاص عن غيرهم، فمنهم من ارتـــدى الطيلـــسان الأســـود والدراعة السوداء[6] ووضعوا على رؤوسهم عمامة سوداء[7]، تلبس مـــن شاشـــات كبيـــرة ولا يلبسون الحرير.

ويورد الوهراني شعراً للشيخ أبي جابر المغربي يصف فيه ملابس العلماء فيقول[8]:

---

(1) المقدسي، البشاري، (ت380هـــ/990م). **أحسن التقاسيم في معرفـــة الأقـــاليم**، ط3، مكتبـــة مـــدبولي، القاهرة، 1411هـــ/1991م، ص33. وسيشار إليه فيما بعد، المقدسي، **أحسن التقاسيم**.

(2) ابن طولون، **نقد الطالب**، ص158؛ غانم، حامد زيان، (1969م). بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر زمن صلاح الدين الأيوبي. **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، 31 (1-2)، 65-75، ص71. وسيـــشار إليه فيما بعد، غانم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية.

(3) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص209.

(4) ابن منقذ، **لباب الآداب**، ص173.

(5) ابن كثير، **البداية والنهاية**، م6، ج12، ص297.

(6) رحمة الله، الملابس في العراق، ص208.

(7) معلوف، **الحروب الصليبية**، ص287.

(8) الوهراني، **منامات**، ص101.

يـــا طالـــب العلـــم مـــن كتـــاب	ومـــــن معيـــــد ومـــــن مفهـــــم
بـــــدون هـــــذا تـــــرى فقيهـــــا	فوســـــع الثـــــوب ثـــــم عمـــــم
والـــــبس مـــــن الثـــوب طيلـــسانا	واعقـــده فـــي المنكبـــين وانظـــم

وكان زى الخطباء في هذا العصر بشكل عام لبس العمامة والقبـاء الأسـود ويحمـل الخطيب في كثير من الأحيان العصا عند التأهب للخطابة[1].

واتجه الأيوبيون لكسب علماء الدين والخطباء منهم على وجه الخصوص، رغبـة فـي نشر المذهب السني، وكانوا يحضرون مجالس السلاطين، فهذا السلطان الكامل الـذي يحـضر مجلسه في كل ليلة جمعة الفقهاء والخطباء والعلماء يشاركهم فنونه[2]، ولم يقف الأمر عند هذا، فقد نالوا احترام العامة، فكان لكلمتهم تأثير فيهم، خاصة وأنهم كثيرو السعي والمثـابرة علـى قضاء حوائج الناس.

موظفو الدولة

عنـــدما اســـتولى الأيوبيـــون علـــى الحكـــم فـــي مـــصر ســـنة (569هـــ/1173م)[3]، أصـــبحت نيابـــة الـــسلطنة، وإمـــارات الولايـــات، وقيـــادة الجيوش غالبا فـي أيـدي الأكـراد وممـاليكهم، ومـال كثيـر مـن المتنفـذين والأمـراء إلى العيش المترف، وغالوا في استعمال الذهب والجواهر والفضة[4].

وبالنـسبة لمـوظفي الدولـة مـن كتـاب الـدواوين وغيـرهم فكـان كاتـب السر[5] يقوم بـدور هـام حيـث يقـرأ الكتـب الـواردة علـى الـسلطان ويقـوم بكتابـة أجوبتها، فضلاً عمـا يقـوم بـه مـن الجلـوس لقـراءة القـصص بـدار العـدل[6] ومـن

---

(1) رحمة الله، الملابس في العراق، ص209.

(2) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص97.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص198.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص206–207.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص733؛ ابن طولون، **نقد الطالب**، ص73.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص733.

كتاب الإنشاء البهاء زهير[1]، أما كتاب الدرج، فقد اشترط فيهم النزاهة وقلة الخلطة بالناس؛ إذ أن هذا الديوان لا يحتمل الخلطة بالناس نظراً لطبيعة عملهم[2] وتجدر الإشارة إلى أن رواتبهم قد تفاوتت من موظف لآخر وفق الترتيب الوظيفي في الدولة، فأكبرهم كالوزير له في الشهر مئتان وخمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والغلة ما إذا بسط وثمن كان نظير ذلك، ثم دون ذلك ودون دونه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشمع، والسكر، والكسوة ونحو ذلك، إلى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب و الأراضي المؤبدة، وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف[3].

الأطباء

نظرا لاستمرار الحروب في هذا العصر، وانتشار الأمراض والأوبئة بكثرة، وارتفاع الأسعار والغلاء الحاصل، وحدوث كوارث طبيعية، فقد ارتفع شأن الأطباء وتقرب السلاطين منهم وكان كثير منهم يعيشون في رغد من العيش ويتقاضون مبالغ باهظة، فتقاضى الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المتوفى سنة 628هـ/1230م[4] الذي داوى الملك العادل الكبير من مرض ألم به مبلغ اثني عشر ألف ديناراً، فضلاً عن الذهب والخلع والثياب، وتفاوتت رواتب الأطباء وفق شهرة الطبيب ومهارته، وكان السلاطين كثيراً ما يهدون العلماء والأطباء منهم الفرجية وهي ملابس مصنوعة من الحرير مقصبة بالذهب[5]، ويتميز الأطباء بلبس العمائم الكبيرة[6].

---

(1) عبد الرازق، مصطفى، (1930م). **البهاء زهير**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ص18. وسيشار إليه فيما بعد، عبد الرازق، **البهاء زهير**.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص733.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص53.

(4) الخطيب، **دور**، ص221.

(5) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، (ت668هـ/1269م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، (ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م، ص529. وسيشار إليه فيما بعد، ابن أبي أصيبعة، **عيون**؛ الشربيني، يوسف، **هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف**. (إعداد محمد قنديل البقلي). القاهرة: دار النهضة العربية، ج1، ص100. وسيشار إليه فيما بعد، الشربيني، **هز القحوف**.

(6) رحمة الله، الملابس في العراق، ص209.

الأدباء والشعراء

تناول الأدباء والشعراء هموم الشعب وتطلعاته إلى استعادة البلاد[1] والفقر والغلاء، وفي إثارة المشاعر وتهييج الخواطر وأصبح الشعر في كثير من الحالات وسيلة لكسب الرزق، بعد أن درج كثير من الشعراء للتقرب إلى السلاطين تملقا وطلبا في زيادة العطاء[2]، واتجه بعض الشعراء لتحقيق المصالح الذاتية فقد كان القاضي الفاضل صاحب فضل على الشاعر ابن سناء الملك، ومع هذا لم يمنع ذلك أن يمتدح ابن سناء الملك الوزير ابن شكر وهو العدو الألد للقاضي الفاضل[3].

وآخرون قصدوا المكانة العالية والجاه، فقد قرب البهاء زهير من السلاطين الأيوبيين، ويذكر أنه مات فقيرا في آخر عمره وانكشف حاله حتى باع موجوده وكتبه وأقام في بيته بالقاهرة حتى أدركه الأجل[4]، مع أن البعض يذكر أن ما ألجأه لهذا شدة كرمه[5]، وقد صرح بهذا في ديوانه فيقول:

وصاحب أصبح لي لائماً　　لما رأى حالة إفلاسي
قلت له إني امرؤ لم أزل　　أفني على الأكياس أكياسي

ومهما يكن من أمر فقد اختلفت أوضاع الشعراء، فمنهم من عاش ثريا ومنهم من عاش حياة بسيطة. ومن الشعراء أسامة بن منقذ وله شعر كثير في مدح ملوك بني أيوب، ومما قاله في مدح صلاح الدين الأيوبي قوله[6]:

هو من عرفت فلو عصاه نهاره　　لرماه نقع جيوشه بالغيهب

---

(1) الخطيب، **دور**، ص210.

(2) المرجع نفسه، ص210.

(3) ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**، ص48.

(4) مصطفى عبد الرازق، **البهاء زهير**، ص18-19.

(5) البهاء زهير، **ديوان البهاء زهير**، ص6.

(6) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت626هـ/1228م). **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط1، (حققه ووضع نصوصه وأعد حواشيه وقدم له عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ/1999م، م2، ص313-314. وسيشار إليه فيما بعد، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**.

أما الشاعر عمارة اليمني فقد رثى الدولة الفاطمية واعترف بفضلها وكرم خلفائها وامتدح كذلك الدولة الأيوبية قائلاً[1]:

مذاهبهم في الجود مذهب سنة	وإن خالفوني في اعتقاد التشيع

أما الشاعر سعد بن محمد المعروف بالحيص بيص[2] وقد تسمى بذلك لأنه رأى الناس في حركة فتساءل: ما للناس في حيص بيص فتسمى بذلك[3]، ومن شعره قوله[4]:

لم ألق مستكبرا إلا تحول لي	عند اللقاء له الكبر الذي فيه
ولا حلا لي من الدينا ولذتها	إلا مقابلتي للتيه بالتيه

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة أنه كان يلبس زي العرب ويتقلد سيفا[5].

وبرزت النساء في مجال الشعر والأدب وتقربن من السلاطين والأمراء، فهذه الأديبة الشاعرة تقية الصورية[6]، وهي من أهل الإسكندرية لها شعر جيد وفنون شعرها الفخر والحماسة، ووصفت بأنها أوحد زمانها بالأدب والعلوم[7] والمديح

---

(1) عمارة اليمني، **ديوان عمارة**، م1، ص39.

(2) الشاعر الحيص بيص: هو سعد بن محمد أبو الفوارس، كان شاعراً فاضلاً مدح الخلفاء والوزراء وله ديوان شعر. انظر: ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص93؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص76.

(3) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص76.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص77.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص77.

(6) الأصفهاني، صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي، (ت576هـ/1180م). **معجم السفر**، (تحقيق بهيجة الحسني)، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، بغداد، ج1، ص220. وسيشار إليه فيما بعد، الأصفهاني، **معجم السفر**؛ عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **خريدة القصر وجريدة العصر**، **قسم شعراء مصر**، (نشر أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس)، ج2، ص221. وسيشار إليه فيما بعد، عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر**، **قسم شعراء مصر**؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص297؛ زينب بنت علي فواز العاملية اللبنانية، (1420هـ/1999م). **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**. (ط1). (وضع حواشيه وعلق عليه محمد أمين ضناوي). منشورات محمد علي بيضون. بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، ص204ـ205. وسيشار إليه فيما بعد، زينب، **الدر المنثور**؛ الوائلي، عبد الحكيم، (2001م). **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين**. (ط1). عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ج1، ص82. وسيشار إليه فيما بعد، الوائلي، **موسوعة شاعرات العرب**.

(7) العمري، **الروضة الفيحاء**، ص249.

والهجاء وقد صحبت الحافظ العارف السلفي حتى امتدحها بأنــه لــم يــرَ شــاعرة غيرهــا[1]، وقد قالت في الفخر[2]:

تعيب على الإنسان إظهــار علمــه	أبا الجد هذا منك أم أنــت تمــزح
أروني فتاة فــي زمــاني تفــوقني	وتعلو على علمي وتهجــو وتمــدح

وكان الشعراء يسعون للحصول على الخلع وكانت هذه الخلع بمنزلة مرتبة أدبية، ومكانة اجتماعية ترفع من قدر الشاعر بين الشعراء كالتي حصل عليها ابن سناء الملــك[3]، وجــرت للشعراء مجالس خاصة تتم فيها المحاورات، فكانت دار ابن سناء الملك حافلة بالترف واللهــو، ففيها الزهور والبساتين والتماثيل التي ينساب منها الماء[4]. وكان شعرهم امتدادا للفن الذي يلائم الحياة المصرية ومواضيعها الاجتماعية، وامتازت ألفاظهم بسهولتها دون اللجوء إلى التكلــف[5] وقد حاول البعض الخروج عن هذا الأسلوب، فكانوا متكلفين في شعرهم، وممــن تــأثر بهــذا القاضي الفاضل[6].

ويلاحظ في أدب العصر الأيوبي اختفاء فكرة الشعوبية، وفكرة تفضيل العــرب علــى الأعاجم باستثناء أمثلة قليلة[7]، منها ما كتبه ابن الأثير على لسان أحد مخدوميه مفتخــرا علــى العجم عندما انهزم جلال الدين الخوارزمي[8]، فقال: "ويكفي في غض لجام هذا العدو العجمــي

---

(1) ابن العمادية الإسكندراني، وجيه الدين منصور بن سليم، (ت673هـ/1274م). **ذيل تكملة الإكمــال**، ط1، (تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي)، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1419هـ، ج1، ص147. وسيشار إليه فيما بعد، ابن العمادية الإسكندراني، **ذيــل تكملــة الإكمال**؛ التونجي، **معجم أعلام النساء**، ص60.

(2) الخطيب، **دور**، ص211.

(3) ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**، ص62.

(4) المصدر نفسه، ص48.

(5) ابن سناء الملك، **ابن سناء الملك حياته وشعره**، ص27.

(6) المرجع نفسه، ص27.

(7) ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **رسائل ضياء الدين ابن الأثير**، (تحرير أنيس المقدسي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1959م، ص36، ص42، ص45-46، ص52-53، ص57، ص59. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثيــر، **رسائل**.

(8) ابن واصل، **مفرج**، ج4، ص179، ص186، ص190، ص300، ص322؛ النسوي، محمد بــن أحمــد، (ت639هـ/1241م). **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، (نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م، ص71. وسيشار إليه فيما بعد، النسوي، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**.

أن يسمع قبل أن يرى، ويسري إليه الرعب، فيأخذ في هربه بإدمان السرى، ويستدل على ذلــك من نسبته في أنه يعجم عوده، وتهزم جنوده، ومن أين له ولرجاله صبر العرب فــي مواقــف الجلاد، أو لهم مثل خيولهم التي من صفاتها أنها تسمى الجياد، أو لهم مثل سلاحهم في إرهــاف نصوله، وبعد أطراف القنا من أصوله؟!" [1].

وقد تمتع كثير مــن علمــاء الــدين بــسعة العــيش فاشــتهر كثيــر مــنهم بكثــرة التــأنق فــي المأكــل والملــبس والــشرب[2] واقتنــوا الخيــول والــدور الفــاخرة والأوانــي الثمينــة، واجتمعــت فــي بيــوت بعــضهم المجلــدات النفــسية، وكانــت تجــري علــيهم رواتــب مــن خــلال الأوقــاف والأحبــاس ويحــصلون علــى الأرزاق، وتعدى ذلك للأرزاق العينية من لحم وتوابل وخبز وكسوة[3].

فئة التجــار

تعــددت المراكــز التجاريــة فــي مــصر كالفــسطاط والقــاهرة وقــوص[4] والإسكندرية وغيرهــا ونلمــح هــذا مــن خــلال وصــف المقدســي لمــصر فهــي أكثــر الــبلاد "عبــاداً وقــراءً وأمــوالاً ومتجــراً وخــصائص وحبوبــاً"[5] ووصــفت بكثــرة الذهب والدنانير، حتى كــان يقــال فــي المثــل : "مــن دخــل مــصر ولــم يــستغن فــلا أغناه الله"[6].

---

(1) ابن الأثير، **رسائل**، ص42.

(2) عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1980م). الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية. **مجلة عــالم الفكــر**، 11 (1)، 85-126، ص94. وسيشار إليه فيما بعد، عاشور، الحياة الاجتماعية.

(3) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص94.

(4) قوص: هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وهــي محط التجار القادمين من عدن. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4، ص413.

(5) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص33.

(6) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر، (ت861هــ/1456م). **خريدة العجائــب وفريــدة الغرائــب**، (صححه وأعده للطباعة وعلق عليه محمود فاخوري)، دار الشرق العربي، بيروت. وسيشار إليه فيمــا بعد، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ص241.

واحتلت مصر هذه المكانة تبعا لموقعها الجغرافي المتميز؛ فهي متصلة بالبحر المتوسط وتشرف على موانئ البحر الأحمر[1]، واكتسبت التجارة مكانة عالية، فإذا ما أريد مدح أي سلطان فكان هذا بناءً على الأمان الذي يناله التجار، فيقول ابن دقماق واصفا فترة حكم السلطان الكامل "وكان كثير السياسة حسن التدبير، وكانت الأعمال في أيامه آمنة والطرق آمنة لا يخاف تاجر على ماله"[2]، بل إن كثيراً منهم كانوا يسافرون بصحبة السلاطين[3].

اهتم الأيوبيون بتنشيط التجارة في مصر[4] وقد أدى ذلك إلى كثرة الموانئ، ولا سيما ميناء الإسكندرية[5]، الذي امتاز بموقعه التجاري وهو أقرب ثغور مصر. وقد نال ميناء الإسكندرية اهتماماً واضحاً لدوره في التبادل التجاري[6]، حيث تنقل البضائع من أيدي الشرقيين إلى أيدي الغربيين وبالعكس، وتتكدس المنتجات في سوق الإسكندرية. أما قوص فقد كثرت فيها الأسواق والمرافق[7]، وميناء دمياط الذي عد محطة تجارية، لأهمية موقعه حيث يصل النيل والبحر الأحمر[8] وتتردد عليه الكثير من السفن، أما عيذاب[9] فقد وصفها المقريزي "بأنها آهلة بما يصدر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى أن أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها

---

(1) هايد، ف.، (1994م). **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى.** (عربه عن الترجمة الفرنسي أحمد رضا محمد رضا). (مراجعة وتقديم عز الدين فودة). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ص27. وسيشار إليه فيما بعد، هايد، **تاريخ التجارة**؛ الطواهية، فوزي خالد علي، (2008م). **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م).** رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص135. وسيشار إليه فيما بعد، الطواهية، **الحياة الاقتصادية.**

(2) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص97.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص103.

(4) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص163.

(5) هايد، **تاريخ التجارة**، ج2، ص33؛ رمضان، هويدا عبد العظيم، (1994م). **المجتمع في مصر الإسلامية.** (تقديم عبد العظيم رمضان). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص218. وسيشار إليه فيما بعد، رمضان، **المجتمع في مصر الإسلامية.**

(6) هايد، **تاريخ التجارة**، ج3، ص300.

(7) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص 171.

(8) هايد، **تاريخ التجارة**،ج3، ص300؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص140.

(9) عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4، ص171 .

والقفول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد إلى أن يأخذها صاحبها"[1] وهذا يدل على أنها كانت تعج بالحركة بسبب الأجواء الآمنة التي خيمت على مصر أيام الأيوبيين.

ووصف ابن الوردي عيذاب بأنها مدينة حسنة يتجمع بها التجار براً وبحراً وأهلها يتعاملون بالدراهم عدداً ولا يعرفون الوزن[2] وتأتي السفن العربية والمصرية من عدن إلى عيذاب محملة بالبضائع[3].

وشكلت الأسواق مظهراً اقتصاديا واجتماعياً في آن واحد، وكان انتشار الأسواق دلالة على ازدهار التجارة، فتميزت مصر بكثرة الأسواق واتساع مرافقها[4]، وتخصصت كل سوق في مجال معين كسوق الشماعين[5]، وهو متخصص ببيع الشمع، وسوق الدجاجين[6] ويباع فيه الدجاج والإوز وأنواع الطيور، إضافة إلى الأسواق الواقعة داخل باب الفتوح التي عدت من أعمر أسواق القاهرة، ويقصدها الناس من كافة أقطار البلاد لشراء اللحوم بكافة أنواعها[7] وكذلك الخضراوات، وانتشرت أسواق متخصصة بالملابس كسوق الفرائين[8] وسوق الأخفافيين[9]، وسوق الجملون الصغير لبيع ثياب الكتان[10]، وسق البخانقيين لبيع الكوافي

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص550. انظر أيضا: ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت930هـ/1523م). **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**. قسم الأرشفة والمصغرات الفلمية في الجامعة الأردنية، ورقة 96. وسيشار إليه فيما بعد، ابن إياس، **نشق الأزهار**.

(2) ابن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ص71.

(3) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص133؛ هايد، **تاريخ التجارة**، ج2، ص 29.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص40.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص319- 320.

(6) المصدر نفسه، م3، ص320.

(7) المصدر نفسه، م3، ص317.

(8) المصدر نفسه، م3، ص342.

(9) المصدر نفسه، م3، ص338.

(10) المصدر نفسه، م3، ص336.

والطواقي[1]، وسوق القصبة الذي يعج بأنواع من المآكل والمشارب[2]، وسوق الحلاويين الـذي يباع فيه أنواع عديدة من الحلوى[3].

وتسهيلاً للتجارة فقد وجدت مؤسسات اجتماعية مرتبطة بالتجارة كالخانات والوكـالات والفنادق[4]، وهي مبانٍ مربعة، وتتجلى وظيفتها في كونها أماكن ينزلها التجار ببضائعهم، وكثيراً ما يصطحب التجار أسرهم، مما يولد حراكاً اجتماعياً، وقد كان لكل جالية فندق خاص بهـا[5]، ويحيط بكل فندق حدائق وأشجار كثيرة[6]، ومن أشهر الفنادق فندق مسرور أحد خدام القصر في عهد السلطان صلاح الدين، وقد كان قبل بنائه ساحة لبيع الرقيق، وكان تجار الشام ينزلونه وهو على غاية من العمارة[7] ومن القياسر قيسارية ابن ميسر الكبرى[8] في خط سويقة وردان يأتيها التجار يومي الأحد والأربعاء لشراء القماش من الكتان الأبيض والأزرق[9].

ودلالة على أهمية السوق فقد أقيمت الأسواق في كل مدينة حتى لـو كانـت عـسكرية للجند، كمدينة الصالحية[10] التي اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة (644هـ/1246م)، وقد بنى فيها سوقاً وجامعاً.

ولما كان للسوق هذا الدور كان من الضروري وجود من يراقب أحوال الـسوق، وقـد تولى هذا المحتسب، ليمنع الغش ويراقب المكاييل والموازين[11]، وعُرفت في مصر دار العيار

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص343.

(2) المصدر نفسه، م3، ص316.

(3) المصدر نفسه، م3، ص330.

(4) هايد، **تاريخ التجارة**، ج3، ص303؛ عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص81-82.

(5) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص83.

(6) هايد، **تاريخ التجارة**، ج3، ص303.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص304-305.

(8) المصدر نفسه، م3، ص302.

(9) المصدر نفسه، م3، ص302.

(10) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص379؛ المقريزي، **المـواعظ**، م1، ص500؛ ابـن إيـاس، **نـشق الأزهار**، ورقة 104.

(11) الشيزري، **نهاية**، ص18؛ ابن الإخوة، محمد بن أحمد القرشي، (ت729هـ/1328م)، **معالم القربة فـي أحكام الحسبة**، (عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي)، مطبعـة دار الفنـون، كمبـرج، 1937م، ص83.

التي تتولى الإشراف على المكاييل والأوزان[1]، وسميت بذلك لأن العادة جارية بأن يعاير فيها على أرباب الموازين.

ويظهر تعاون أهل السوق بالمحافظة على تنظيفه[2]، وبما أن السوق يستقطب أعداداً هائلة من الرجال والنساء الأجانب، فقد شكل مركزاً اجتماعياً هاماً، وقد كان تزيين الأسواق مظهراً من مظاهر إظهار الولاء للسلاطين، فيذكر المقريزي سنة (590هـ/1193م) "دقت البشائر بالقاهرة فرحا بالصلح بين الأولاد الناصرية وزينت الأسواق وفيه انحط السعر"[3] وهذا يدل على فرحة أهل السوق بهذا الصلح، ومحاولتهم كسب ولاء السلاطين.

وازدهرت في مصر التجارة الخارجية، فقد أقام عدة مئات من الإيطاليين في مصر[4]، وحصلوا على تسهيلات مختلفة في التجارة[5]، وقد سهّلت هذه الجماعة من تجار الفرنج التي تسكن الإسكندرية مهمة الحروب الصليبية، فيذكر النويري أنه في سنه (613هـ/1216م) "توجه العادل الكبير إلى ثغر الإسكندرية، وأنه اجتمع بها من تجار الفرنج نحو ثلاثة آلاف رجل، فخاف أهل الثغر جانبهم، فخرج السلطان بعساكره إلى الثغر، وبه ملكان من ملوك الفرنج. فأحضرهما، فذكرا أن التجار صمموا على الوثوب بأهل الثغر وقتلهم، وأخذه، فقبض حينئذٍ على تجار الفرنج، واستصفى أموالهم واعتقلهم، واعتقل الملكين وعاد إلى القاهرة"[6]؛ ولعب اليهود دوراً هاماً في التجارة الخارجية[7]؛ حيث كانت جماعة كبيرة من اليهود يمارسون التجارة.

وسيشار إليه فيما بعد، ابن الإخوة، **معالم**.

(1) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص333.

(2) الشيزري، **نهاية**، ص13؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص79.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص236. انظر أيضا: ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت777هـ/1375م). **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م، م1، ص203. وسيشار إليه فيما بعد، ابن بطوطة، **رحلة**.

(4) معلوف، **الحروب الصليبية**، ص274.

(5) هايد، **تاريخ التجارة**، ج2، ص47.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص50. انظرأيضا: المقريزي، **السلوك**، ج1، ص305؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص471 –472.

(7) رمضان، **المجتمع في مصر الإسلامية**، ج1، ص212.

وعقدت معاهدات تجارية بين مصر والبندقية[1] لتحسين أوضاع التجار ومعاملاتهم، وتحديد الرسوم الواجب دفعها لأهم السلع وهي القطن والفلفل، وكان السكر والكتان من أهم المواد التي يأخذها التجار من مصر إلى بلاد الشام[2] وانتشرت تجارة الزمرد المتوافر في مدينة قفط[3]، وكان يحمل إلى الفسطاط ويحمل إلى البلاد[4] وسادت تجارة الشب لكثرته بالصعيد[5]، وعُدَّ من عجائب مصر[6] وكان يباع منه لتجار الروم.

وجرت العادة أن يُجبى من التجار غير المسلمين الواردين في البحر العشر، لكن الإمام الشافعي أباح أخذ الخمس[7]، وقد هلل التجار إثر إلغاء المكوس على يد صلاح الدين[8] وتأثروا بإعادة فرضها وزيادة نسبتها، فقد قللت أرباح التجار الصغار[9].

وعلى الرغم من حالة الحرب بين المسلمين والصليبيين، فقد كانت قوافل المسلمين تخرج من بلاد الإفرنج وسبيهم يدخل بلاد المسلمين[10].

وقد تباينت أحوال التجار من تاجر لآخر، فقد عاش بعضهم في مستوى عالٍ من الترف، وآخرون عاشوا حياة بسيطة، وقد شهدت التجارة بشكل عام تحولاً واضحاً فكثير منهم تحسنت

---

(1) إسكندر، توفيق، (1957م). نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط. **المجلة التاريخية المصرية**، 6، 37–46، ص38. وسيشار إليه فيما بعد، إسكندر، نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص219.

(3) قفط: مدينة بالصعيد الأعلى إلى أسوان في المشرق، فيها أسواق، وأهلها أصحاب ثروة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4، ص383.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص632.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص185.

(6) ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، (ق3هـ/9م). **البلدان**، ط1، (تحقيق يوسف الهادي)، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/1996م، ص129. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الفقيه، **البلدان**.

(7) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص531.

(8) ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 54.

(9) آشتور، آ. (1985م). **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**. (ترجمة عبد الهادي عبلة). (مراجعة أحمد غسان سبانو). دمشق: دار قتيبة، ص306. وسيشار إليه فيما بعد، آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**.

(10) ابن جبير، **رحلة**، ص271.

أوضاعه وبعضهم من فقد أمواله؛ فالتجارة تقوم على تنمية المال[1]، وكانت التجارة تتطلب الجرأة والإقدام والتقرب إلى الحكام؛ حيث أن التجارة احتراف[2].

وكثيراً ما تمت مصاهرة بين كبار رجالات الدولة وكبار التجار؛ فقد زوج القاضي صدر الدين ابنته لابن زين التجار على صداق كثير[3].

كانت فئة التجار من أحسن فئات الشعب حالا، وقد قرب بعض الحكام أغنياءهم ليمدوهم بالمال حين الحاجة، إذ كان التجار أحيانا يقرضون الدولة بكفالة الخليفة للإنفاق على الحرب[4].

ملابس التجار

أما عن ملابس التجار، فقد اختلفت ملابسهم من تاجر لآخر؛ وذلك تبعا للمناطق التي يأتون منها. وبشكل عام كان لباسهم مكونا من رداء وطيلسان[5] ونعال، أما التاجر الغني فيلبس ردائين[6]، وبعضهم يضع الطاقية على رؤوسهم[7].

الطبقة العامة

فئة الفلاحين

لقد ارتبطت أوضاع الفلاحين في مصر بالنيل ومقياسه حتى عُدَّ النيل من أحد عجائبهم[8]، ووصف ماؤه بأنه أشد عذوبةً وحلاوة وبياضاً من سائر الأنهار[1] أما ابن الوردي

---

(1) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص421.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص421.

(3) الوهراني، **منامات**، ص189.

(4) ابن شداد، **النوادر**، ص212.

(5) الطيلسان: نوع بسيط من الخمار الذي يُطرح على الرأس والكتفين أو يُلقى على الكتفين فقط. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص229.

(6) رحمة الله، الملابس في العراق، ص210.

(7) دوزي، **المعجم المفصل**، ص210.

(8) ابن الفقيه، **البلدان**، ط1، ص120.

فقد ذكر أنه أطول أنهار الدنيا[2] وأنه " ليس في الدنيا أكبر من نيلها ولا أحكم من مقياسها أمراً"[3].

ووصفت مصر بوجه عام أنها عند الفيضان درة (لؤلؤة) بيضاء وعند انحسار الماء وفترة البذر مسكة سوداء، تفوح من أرضها رائحة عطرة، وهي إذا كبر الزرع زبرجدة (زمردة) خضراء، ثم هي أخيراً عندما يصفر الزرع ويتناهى سبيكة (ذهب) حمراء[4]، ووصف بنيامين التطليلي مصر بأنها كثيرة الجفاف لا ينزل فيها المطر، ومناخها حار ويفيض النيل فيها مرة في العام فتغمره مياهه[5].

وكان تأثير ارتفاع مقياس النيل[6] يؤثر بشكل ايجابي في نفوس الفلاحين، حتى أن الحارس الموكل بإعطاء وتقديم البشائر حول مقدار ارتفاع الماء ينادي بالناس: "الحمد لله إن النيل قد ارتفع اليوم كذا وكذا قياسا"[7]، وفي كثير من الأحيان يتولى هذه المهمة خطيب الجامع[8]، وعندئذ يبادر الفلاحون وأصحاب المزارع إلى حفر القنوات التي يدخلها الماء

---

(1) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت367هـ/945م). **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص139. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حوقل، **صورة الأرض**.

(2) ابن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ص161.

(3) المصدر نفسه، ص242.

(4) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، 1407هـ/1987م، ج1، ص339. وسيشار إليه فيما بعد، المسعودي، **مروج الذهب**؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 38، عبد الحميد، سعد زغلول، (1954م). ملاحظات عن مصر. **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، 8، 91-118، ص100. وسيشار إليه فيما بعد، عبد الحميد، ملاحظات عن مصر؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص54.

(5) بنيامين التطيلي، ابن يونه النباري الأندلسي، (ت569هـ/1173م). **رحلة بنيامين التطيلي**، ط1، (ترجمها عن النص العبري وعلق على حواشيها وكتب ملاحقها عزرا حداد)، (دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ص351. وسيشار إليه فيما بعد، بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**.

(6) المقياس: بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع، وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع إلى السلطان في كل يوم مقدار ما زاد. انظر: المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص206.

(7) المصدر نفسه، ص206؛ ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص96-97؛ بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص352.

(8) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص23.

ويدخلها السمك الذي يكبسونه بالملح[1] ويبيعونه، وهو سمك لذيذ يستخدم الفلاحون سمنه للإضاءة وإذا قلت زيادة ارتفاع النيل قنط الناس، ووقع اليأس واشتد المحل وغلت الأسعار، ويئس الفلاحون[2]، مما جعلهم يشكون ويبكون من قلة الغيث[3] وغلاء الأسعار، ويقاس الغلاء والرخص بأسعار المزروعات والمواشي وغيرها، فالنويري يذكر سنة (601هـ/1204م) رخص الأسعار حين بلغ سعر القمح ستة أرادب بدينار[4]، وكان قبل ذلك قد حل غلاء بأرض مصر سنة (595هـ/1198م)، حيث بلغ سعر القمح ثمانين درهماً[5]، وعندما تتوالى سنوات الغلاء يفر الناس من مصر، وفي المجاعة التي حدثت في عام (597هـ/1200م)، بسبب هبوط مستوى الفيضان في عهد السلطان العادل الكبير[6] الذي أدى إلى القحط[7] ففر كثير من الناس. وازدادت الأمور سوءا في السنة التالية[8]. ففي سنة 598هـ/1201م ضربت الزلازل مصر[9].

واللافت للنظر أن كثيراً من المصادر تسوق مبالغات عدة حول الغلاء[10]، فيشير المقريزي إلى أنه سنة (616هـ/1219م) حدث غلاء "حتى بيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير، وصار السكر في عزة الياقوت، وفقدت اللحوم"[11]، بل إن الرجل يذبح ولده وتساعده الأم على طبخه وشيه[12] واختطاف الصبيان وأكلهم، ودعوة الأطباء للمنازل وذبحهم

---

(1) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص352.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص 463.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص18.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص23.

(5) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص139.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص156؛ غنيم، **الدولة الأيوبية والصليبيون**، ص136-137.

(7) البغدادي، **الإفادة**، ص85.

(8) المصدر نفسه، ص96.

(9) المصدر نفسه، ص99-100.

(10) ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، (ت738هـ/1337م). **تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1419هـ/1998م، ج1، ص284. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**.

(11) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص319؛ المقريزي، **المواعظ**، م1 ، ص590-591.

(12) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت807هـ/1404م). **تاريخ ابن الفرات**، (عني بتحرير نصه ونشره حسن محمد الشماع)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1389هـ/1969م، م4، ج2، ص208. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6،

وأكلهم[1]. ومن الشائعات أكل الكلاب والقطط والحمير والبغال، حتى لم يبق في مصر دابة، وأصبح الجار يأكل جاره[2] حتى وصل الأمر أن الغواسل الذين يقومون بغسل الموتى يتم دعوتهم للدار وأكلهم[3].

واستخدم في مصر نظام إقطاع الفلاح، وكثيراً ما يكون ذلك في مواضع مفرقة، مما يضعف الفلاح، أما في حال قرب إقطاعاته من بعضها فإنه يؤدي لعمار البلاد وتقوية الفلاح[4] وتنبه لهذا السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وأورد هذا في وصيته لولده توران شاه، فأوصاه ألا يكون إقطاع الجندي مفرقا بل في موضع أو موضعين قريبين[5].

واتبعوا نظام ري الحياض الذي يقوم بتقسيم الأرض إلى حياض كبيرة تغمرها مياه النيل وقت الفيضان، ثم تصرف المياه وتبذر البذور، وأدت هذه الطريقة لجعل البلاد تعيش تحت رحمة الفيضان، مما زاد في ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية، وعرفت في مصر الجسور التي تساعد في حفظ النيل[6]، ووصفت الزراعة في مصر بأنها متطورة ونلمح هذا من خلال تتبع أصناف أراضي مصر وأقسامها ومنها الباق[7] والبرايب[8] والمستبحر[9] وغيرها الكثير ويقدم المقريزي شرحا وافيا حول هذه الأصناف وما يصلح للزراعة فيها.

وقد تحسنت أحوال الفلاحين بصفة عامة من خلال قيام صلاح الدين بإلغاء المكوس وتخفيف الضرائب[10]. لكن هذه الضرائب ما برحت أن عادت إليهم مرة أخرى بعد صلاح

ص156؛ حمزة، **الحركة الفكرية في مصر**، ص62.

(1) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص156.

(2) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص254.

(3) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص254.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص225.

(5) النويري، **نهاية الأرب** ، م13، ج29، ص220–225.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص272.

(7) الباق: هو أثر القرط والقطاني والمقاثي ويصلح لزراعة القمح. انظر: المصدر نفسه، م1، ص270.

(8) البرايب: هو أثر القمح والشعير وسعرها دون الباق. انظر: المصدر نفسه، م1، ص271.

(9) المستبحر: كل أرض وطيئة حصل بها الماء ولم تجد مصرفا حتى فات أوان الزرع وهو باق في الأرض. انظر: المصدر نفسه، م1، ص272.

(10) ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 54؛ فليفل، محمد الحاج محمود خليل، (1998م). **مدينة دمشق في**

الدين، فضلاً عن تعرضهم للغارات الصليبية[1]، وشكّل الفلاحون السواد الأعظم من الشعب، وكان الفقر يغلب على معظمهم[2].

طعام الفلاحين

كان طعام الفلاحين يتمثل بالمواد الغذائية المتوافرة، فكان الخبز يشكل الغذاء الأساسي بالنسبة إليهم، فقد عرفوا نوعا من الخبز يسمى الكعك[3] ويصنعونه من جريش الحنطة ويتم تجفيفه، وهناك خبز شديد البياض يعجن بغير خميرة[4]، وإن كان الخبز بائتا فإنه يباع ستة الأرطال بربع درهم[5] لكنهم يحبذون أكل الخبز الطازج، ويصنعون الأرز بالحليب[6] المحلى ويكثرون فيه الأرز ويعدونه من الأطعمة الخفيفة لديهم، أما الكشك[7]، فقد كرهه الفلاحون من كثرة أكله[8]، وكان يكثر من أكله أولئك الذين يشكون ألما في معدهم[9]، وعدوا الفول أساسيا بالنسبة إليهم[10]، مع أن

العصر الأيوبي (570-656هـ/1174-1258م). رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص178. وسيشار إليه فيما بعد، فليفل، **مدينة دمشق**.

(1) فليفل، **مدينة دمشق**، ص178.

(2) المقريزي، **المواعظ**، ج2، ص138.

(3) المقريزي، **المواعظ** ، م1، ص117؛ الجعيدي، شلبي إبراهيم، (2003م). **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي 567-648هـ**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص117. وسيشار إليه فيما بعد، الجعيدي، **طبقة العامة**.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص221.

(6) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص 358؛ الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص268.

(7) الكشك: طعام من القمح يوضع على النار ثم يجفف ويصب عليه اللبن. انظر: الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص 226.

(8) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117؛ نعيسة، يوسف جميل، (1994م). **مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين 1186-1256هـ**. (ط2). دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ج2، ص486. وسيشار إليه فيما بعد، نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**؛ مصيقر، عبد الرحمن عبيد، (1423هـ/2003م). **قاموس الأغذية والأكلات الشعبية في الوطن العربي**. (ط1). دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، ص32. وسيشار إليه فيما بعد، مصيقر، **قاموس الأغذية**.

(9) الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص227.

(10) الدوداري، **كنز الدرر**، ج7، ص149؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص224؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص118.

سعره كان بازدياد، ويأكلون البيسار[1]، ويحبون الملوخية[2] ويطهونها خضراء، ولكي يتفادوا لسع النحل كانوا يقومون بطحن الحلبه وقليها ودق الملوخية وعصرها وخلطها مع بعضها بزيت، ويدهن البدن والوجه وبذلك يتفادون لسع النحل[3]. أما المش[4] فكثيرا ما يتناولونه حتى درجوا على القول في أمثالهم "زي المش كل يوم في الوش"[5]، وأكثروا من تناول الصير[6] والصحناة[7] والدلينس[8]، وعرفوا أصنافا مختلفة من السمك[9] ويوجد لديهم السمك الذي يقال له البوري[10]، ولجأوا إلى كبس السمك بالملح وأكله[11]، ويحبون الأجبان والألبان[12] وقد لازم المخلل أطعمتهم[13]. ومع هذا فقد اتصف تنوع غذاء الأسرة الريفية بالرتابة وقلة التغيير إلى حدٍ كبير.

---

(1) البيسار: طعام من الملوخية والفول المغمور بالماء، الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص236؛ مصيقر، **قاموس الأغذية**، ص15.

(2) الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص237.

(3) ابن حجاج الإشبيلي، أحمد بن محمد، **المقنع في الفلاحة**، (تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفبة)، (تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري)، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1402هـ/1982م، ص69. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حجاج الإشبيلي، **المقنع في الفلاحة**.

(4) المش: عبارة عن جبن ناعم ومخمر وناضج، يرتفع محتواه من الملح ويحضر من جبن القريش، مصيقر، **قاموس الأغذية**، ص35.

(5) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117.

(6) الصير: وهو السمك المملح الذي تعمل منه الصحناة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص478؛ الفيروز آبادي، مجد الدين، (ت817هـ/1414م). **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، م2، ص74. وسيشار إليه فيما بعد، الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**؛ المرتضى الزبيدي، محمد، (ت1205هـ/1790م). **تاج العروس**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، م3، ص346. وسيشار إليه فيما بعد، المرتضى الزبيدي، **تاج العروس**.

(7) الصحناة: إدام يتخذ من السمك. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م13، ص245؛ الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، م4، ص241.

(8) البغدادي، **الإفادة**، ص75.

(9) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص479.

(10) نسبة إلى بورا فيما بين تنيس ودمياط. انظر: المقريزي، **المواعظ**، م1 ، ص492؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 116.

(11) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص352.

(12) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص 345.

(13) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص 119.

أما الحلوى لديهم فقليلة ويذكر البغدادي في هذا السياق "أما أطبختهم فالحوامض منهـا والسواذج، أما المحلاة فغريبة"[1] لذلك فقد أكثروا من أكل الفاكهة وهي كثيـرة فـي مـصر[2]، فأكثروا من أكل التمور المزروعة في أسوان وحلوان، أما النيدة فهي حلاوة القمـح[3] وتطـبخ حتى يخرج النشا منها ثم تصفى ويذر الدقيق ويعقد[4]، وصنعوا الزلابية[5] وهي نوع من الحلوى يصنع من العجين.

أما مشروبهم المفضل فهو قصب السكر[6]، وتوافرت لديهم أحجار لاعتصاره، وكـانوا يشربون الأقاقيا[7] والكراويا[8] التي كانوا يقومون بزراعتها، وفي أوقات فراغهم يتسلون بأكـل الترمس[9].

ملابس الفلاحين

بما أن الفلاح كان ملازما لأرضه، فـلا بـد مـن ملابـس معينـة تناسـب قيامـه بزراعة الأرض وحراثتهـا؛ حيـث أن تعرضـه الـدائم للـشمس، كـان يجبـره أن يلـبس العمامة[10]؛ ليبعد عن رأسه الأذى الناتج عن الحر، ولونها في العـادة أحمـر، تلـف حـول الرأس عدة لفات، وكثيراً ما يعصب رأسه بقطعه قماش، إذا اشتد وجـع رأسـه مـن ألـم أو حر[11]، خاصة وأن رقبته تكون مسودة مـن شـده الحـر[1]، وتميـزت ملابـسهم بخفتهـا؛

---

(1) البغدادي، **الإفادة**، ص73.

(2) انظر: القلقشندي، **صبح**، ج3، ص344–345؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص537.

(3) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص206؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص 230.

(4) البغدادي، **الإفادة**، ص73.

(5) الشربيني، **هز القحوف**، ج1، ص28.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص345؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص554، 629؛ آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، ص304؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص119.

(7) الأقاقيا: وهو عصارة ورق شجر القرظ. انظر: البغدادي، **الإفادة**، ص32.

(8) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص122.

(9) الترمس: المراد به المملح بعد نقعه في الماء أياماً. انظر: الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص327.

(10) رحمة الله، الملابس في العراق، ص188، عبد الرسول، سليمة، (1981م). ملابس العمل لذوي المهـن والحرف. **مجلة سومر**، 37 (1–2)، 341–250، ص242. وسيشار إليه فيما بعد، عبد الرسول، ملابس العمل.

(11) الشربيني، **هز القحوف**، ج1، ص115.

لتساعد على الانتقال والحركة وبأكمام واسعة، وكان من العادة إذا فرغ من أكله مسح فمه بكمه[2]، وتميزت ملابس الفلاح أيضاً باتساعها حتى لا تعيق الحركة ويرتدون الملابس الملونة[3]، وخاصة الملونة بالأزرق وذلك لتوفر نبات النيلة الذي يقوم الفلاحون المصريون بزراعته بكثرة في الصعيد[4] وفي الواحات، وربما لأن هذا اللون قادر على تحمل الأوساخ والأتربة أكثر من غيره ويرتدون التبان أو السراويل ويشد على الوسط[5] ويرتدون الجبة أو الدراعة[6] وهو قميص[7] أو ثوب طويل يلبس من الكتان[8].

وعرف الفلاحون بأنهم أكثر حركة ورياضة من غيرهم لصحة أبدانهم[9] ولكثرة حركتهم التي تعمل على تقوية أجسادهم.

ممتلكات الفلاحين

امتلك الفلاحون في مصر بالإضافة إلى الأراضي الدواب، فامتلكوا الحمير والبغال التي كانت تعينهم في حراثة الأرض والنقل وتتميز بسرعة السير وحسن المشي، ويصف ابن حوقل بغال وحمير مصر بأنها "لا يعرف في شيء من بلدان الإسلام والكفر أسْيَرَ منها ولا أحسن ولا أثمن"[10]. وكانوا يقومون بتربية الحمام والدجاج والإوز والبط للاستفادة من لحمه وريشه وبيضه[11].

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص26.

(2) الشربيني، **هز القحوف**، ج1، ص102.

(3) رحمة الله، الملابس في العراق، ص 188؛ عبد الرسول، ملابس العمل، ص242.

(4) رمضان، **المجتمع في مصر الاسلامية**، ج1 ، ص161.

(5) عبد الرسول، ملابس العمل، ص242.

(6) الدراعة: نوع من الملابس مفتوحة من الجهة الأمامية ومزررة بأزرار وعرى. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص146.

(7) القميص: وهو الذي يلبس فوق السراويل. انظر: المرجع نفسه، ص300.

(8) الشربيني، **هز القحوف**، ج1، ص73؛ رحمة الله، الملابس في العراق، ص 193.

(9) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص117.

(10) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص151.

(11) نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص484.

ولم يقتصر دور الفلاحين على زراعة الأرض وحراثتها فكانوا مسخرين في كثير من الأحيان للقيام بأعمال البناء كبناء القلعة والأسوار[1] وغيرها، مما يعرضهم للعناء فضلا عن عناء الزراعة والحراثة فيذكر البغدادي أنه في سنة (598هـ/1201م) حدث وباء شديد عند وقت الزراعة بالفيوم والغربية ودمياط والإسكندرية[2] أدى إلى موت العديد من الفلاحين، وكثيراً ما كانت تتعرض محاصيل الفلاحين إلى الآفات الزراعية، ومن هذه الآفات وقوع الجراد بمصر سنة (570هـ/1174) الذي يأكل الكروم والمحاصيل وتبعه الغلاء[3]، ووجود الفئران التي تأكل المحاصيل[4] مثلما حدث سنة (577هـ/1181م)، كما تأثرت المزروعات بسقوط كميات كثيرة من البرد الكبير الأمر الذي ألحق الضرر بالمزروعات[5].

ووقفت زوجة الفلاح إلى جانب الرجل ونالها الجهد والمشقة، فهي التي تساعد زوجها في الفلاحة وتعد الطعام لزوجها وأطفالها، وتقوم بخبز الخبز[6].

منازل الفلاحين

كانت منازل الفلاحين تبنى بالتراب، حيث تقام منه حيطان "بأن يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير. وأوسطه أربع أذرع، في ذراعين فينصبان على أساس، وقد بوعد ما بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدل. ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين، ثم يوضع فيه التراب مختلطاً بالكلس، ويركز بالمراكز المعدة لذلك، حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاؤه بالكلس، ثم يزاد التراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلىء ذلك الخلاء بين اللوحين، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً. ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة الأولى، ويركز كذلك إلى أن يتم وتنتظم الألواح كلها سطراً فوق

---

(1) فولكف، **القاهرة مدينة ألف ليلة وليله**، ص83.

(2) البغدادي، **الإفادة**، ص98.

(3) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص58؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص127.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص185؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص127.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص421؛الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص127.

(6) عاشور، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية**، ص42.

سطر، إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحماً، كأنه قطعة واحدة، ويسمى الطابية وصانعه الطواب"[1]. ثم "تجلل الحيطان بالكلس"[2]. ويعمل السقف "بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت، ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالدساتر، ويصب عليها التراب والكلس، ويبلط بالمراكز حتى تتداخل أجزاؤها وتلتحم ويعالى عليها الكلس كما عولي على الحائط"[3]. كما بنيت بعض المنازل "بالحجارة المنجدة أو بالآجر، يقام بها الجدران ملصقاً بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها فيلتحم كأنها جسم واحد"[4].

وكان أثاث الفلاحين بسيطا للغاية؛ حيث احتوت منازلهم صندوقا لحفظ الملابس، وحصيرة لنومهم وجلوسهم، ومائدة لطعامهم فضلا عن أدوات الطهي المصنوعة من الفخار أو النحاس[5] وكثرت في بيوت بعضهم البراغيث[6]، ويمنعون الأذى الناتج من البراغيث باستخدام بخور قشر اللارنج الناشف عند النوم[7]، أما القمل فإن وجد في رؤوس بعض أبنائهم كانوا يقتلونه بالحناء وتسريح الشعر[8]، ولم تكن هذه حال جميع الفلاحين؛ فقد وجد منهم من يمتلك أراضي واسعة وعاشوا ميسوري الحال.

فئة الصنّاع

عرّف ابن خلدون الصناعة بأنها ملكة في أمر عملي فكري[9]، وهي تتطلب جهدا جسمانيا، وقد ساهمت الظروف على إبراز مصر كمنطقة تزدهر فيها الصناعة والصناع، حيث ازدهرت الزراعة وتوافرت المعادن، وتنوعت الصناعات في مصر، حتى ارتبطت كل صناعة

---

(1) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص434.

(2) المصدر نفسه، م1، ص434.

(3) المصدر نفسه، م1، ص434-435.

(4) المصدر نفسه، م1، ص434.

(5) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص116.

(6) الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص175؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص116.

(7) الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص175.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص175.

(9) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص426.

بسوقٍ خاصٍ بها فوجد مثلا سوق اللجميين[1]، الذي يصنع ويباع فيه اللجم وما يتخذ من الجلـد وصناعة السروج بكافة أنواعها، ووجدت قيسارية العصفر[2]، التي اختصت بدق العصفر.

كانت الأحوال المعيشية للصناع وأرباب المهن الحرة حسنة نسبيا، وقد ازدهرت أحوالهم في عهد صلاح الدين وخلفائه، حيث استقرت الأمور نسبيا في البلاد وازدهرت الصناعات[3].

ومن بين الصناعات التي اشتهرت بها مصر في ذلك العصر:

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص325.

(2) المصدر نفسه، م3، ص296.

(3) ديماند، م.س.، (1958م). **الفنون الإسلامية**. (ترجمة أحمد محمد عيسى). القاهرة: دار المعارف، ص153، ص199، ص237، ص267. وسيشار إليه فيما بعد، ديماند، **الفنون الإسلامية**.

صناعة النسيج

كثرت صناعة النسيج في مصر، وقد وصف المقدسي مصر بأنها "لا نظير لصوفهم وخيشهم وبزهم وكتانهم وجلودهم"[1]، وكانت الإسكندرية مركزاً هاماً لصناعة الحرير[2]، واشتهر أهل سنباط بنسج الأثواب الناعمة وذلك لزراعة الكتان فيها[3]، أمّا مدينة البهنسا[4]، فاشتهرت بصنع الأكسية والستور، وكتابة اسم المتخذ له عليها[5]، ونشأ في مصر ما يسمى بدار الطراز التي ينسج فيها الديباج، وعمل الصناع فيها بصناعة الحرير وتخصصت به سويقة الصاحب[6]، وكثر القماش من الكتان الأبيض والأزرق والطرح[7]، وتخصص الصناع في أنواع معينة فبعضهم في صناعة ملابس من الجوخ[8]، ووجد صناع الفراء[9].

وينسج بتنيس القصب الملون من عمامات ومما يلبس النساء، وبها صناع متخصصون بنسيج ملابس السلطان، ووصفت مصانعها بكثرتها[10].

---

(1) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص203.

(2) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص163.

(3) بنيامين، **رحلة بنيامين**، ص359.

(4) البهنسا: مدينة تقع في جهة الغرب من النيل. انظر: المقريزي: **المواعظ**، م1، ص643.

(5) المصدر نفسه، م1، ص643.

(6) سويقة الصاحب: من الأسواق القديمة في القاهرة. انظر: المصدر نفسه، م3، ص344.

(7) المصدر نفسه، م3، ص302.

(8) المصدر نفسه، م3، ص326.

(9) المصدر نفسه، م3، ص336.

(10) التنيسي، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، **أنيس الجليس في أخبار تنيس**، ط1، (تحقيق وتقديم جمال الدين الشيال)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1420هـ/2000م، ص37، 40. وسيشار إليه فيما بعد، التنيسي، **أنيس الجليس**؛ ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص91-94.

الصناعات الغذائية

ازدهر الصناع في الصناعات الغذائية كالجبانين والخبازين والطباخين والشوائين والبواردية[1]، وقد ساعد على تطور الصناعات الغذائية توافر المواد الأولية اللازمة لزراعة الحبوب وتوافر الطواحين التي تُدار بواسطة الدواب[2]، ويراعى تنقيتها من الغبار وطحنها وعدم خلط رديء الحنطة بجيدها[3]، وقد توافرت في كل قريةٍ طاحونة[4] لطحن الحبوب. وتنوعت صناعة المآكل والمشارب خاصة بعد توافر معاصر لقصب السكر، فأكثروا من زراعة قصب السكر[5]، واتخذوا منه الحلوى فوجد سوق الحلاويين[6]، وصنعوا أصنافا عديدة من الحلوى كالخبائص[7] وكعب الغزال[8] والزلابية، وكان كلما حصل غلاء على قصب السكر أدى ذلك إلى قلة الحلوى[9]، ومات أكثر صناعها، وكثير من صناع الحلوى أصبحوا دون عمل، حيث غلا سعر الغذاء الأساسي، وأصبحت الحلوى غير متوافرة.

الصناعات المعدنية

توافرت معادن الزمرد في مصر ويذكر المقريزي وجودها بكثرة في مدينة قفط[10]، وكثر الشب الأبيض[1]، في بلاد الواحات وهي بين بلاد مصر وبلاد

---

(1) البواردية: هم بائعوا الطرشي والمخللات ووجدوا في حارة برجوان. انظر: المقريزي، **المواعظ**، م3، ص318.

(2) الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص261.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص21؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص89.

(4) ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ/1406م). **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، (تحقيق لجنة التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ق2، ص22، ص24. وسيشار إليه فيما بعد، ابن دقماق، **الانتصار**.

(5) ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 23.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص330.

(7) الخبائص: وهي جمع خبيصة وهي الحلوى التي تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج، ثم يُضاف إليها العسل. انظر: الشيزري، **نهاية**، ص41.

(8) كعب الغزال: وهي من الحلويات المعروفة في مصر. انظر: الشيزري، **نهاية**، ص41؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص114.

(9) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص330.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص629.

الصعيد[2]، وأدخل في صناعاتهم، ووجد في مدينة الأبيار[3]، معدن النطرون[4]، أما الذهب فقد وجد في الفسطاط وأدخل في صناعة بعض الملابس المقصبة بالذهب[5]، وكثر معدن الزمرد في مصر بين قوص وعيذاب[6].

الصناعات الخشبية

نشطت الصناعات الخشبية في مصر للحاجة إليها في صناعة السفن والأبواب[7]، وفي صناعة الأدوات الزراعية، وصناعة الأسلحة للدفاع وصد الخطر الصليبي، كصناعة الأقواس[8] المستخدمة لقذف النشاب المصنوعة من خشب السنديان واللتوت[9] وهي أعمدة من حديد لها مقابض من خشب.

وقد كانت الأسواق تمثل مراكز اقتصادية يتم فيها عرض السلع المصنعة، ولم يقتصر دورها في هذا المجال؛ بل تعدى لأن يكون مركزا اجتماعيا، يلتقي فيه الباعة مع العملاء ويتم تبادل الأحاديث والنوادر[10]، خاصة وأن الحوانيت تتصف بتلاصقها مع بعضها مما يفتح المجال للتفاعل الاجتماعي، وأمر أصحاب الحوانيت بوضع زير من الماء أمام كل حانوت، تفاديا

---

(1) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص328.

(2) ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 23.

(3) الأبيار: اسم قرية بجزيرة بني نصر بين القاهرة والإسكندرية. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص85.

(4) ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 25.

(5) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف، (ت560هـ/1164م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، ص40. وسيشار إليه فيما بعد، الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص274.

(6) التيفاشي، **أزهار الأفكار**، ص88؛ الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي، (ت748هـ/1347م). **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، (تحقيق سعد محمد حسن)، (مراجعة طه الحاجري)، ص43. وسيشار إليه فيما بعد، الأدفوي، **الطالع السعيد**.

(7) الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص259.

(8) المرجع نفسه، ص294.

(9) الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص296.

(10) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص89.

لحدوث الحريق[1]، ووجدت جماعة في الأسواق يسمون بأصحاب المقاعد[2]، ويجلسون بأطباق الخبز وأصناف أخرى يعدونها، وكثيرا ما يتعرضون للمنع من الإقامة في الأسواق لما يعملونه من تضييق في الشوارع، ومقابل ذلك وجدت فئة من الصناع عاشت مرفهة.

وعقب كل غلاء أو رفع للضرائب كان الصناع والتجار يلجأون لرفع أسعار المأكولات والسلع التي يبيعونها[3]، أما أجور حوانيتهم قد أجرت لأرباب الحرف والصناعات بأجرٍ يتراوح بين دينارين وعشرة دنانير[4].

ملابس الصنّاع

كان لكل صنعة ملابس خاصة بها، فالخبازون مثلاً يرتدون أثواباً مقطوعة الأكمام[5]، ويضعون اللثام لأنهم ربما يعطسون أو يتكلمون، ويشدون على جبينهم عصابة بيضاء حتى لا يسقط الشعر في العجين، وهذا اللباس كان متوافراً لدى الصناعات الغذائية، أما باقي الصناعات فاختلفت ملابسهم حسب ما يلزم الصنعة ذاتها.

الرقيق

كان الأرقاء من الغلمان والجواري يشكلون إحدى فئات الشعب؛ فالوجيه أو الثري حوله طائفة من هؤلاء المماليك، فالرجال يستخدمون في الحراسة والخدمة، والنساء يستخدمن في تربية الأولاد، وخدمة البيوت، وكان بعض هؤلاء المماليك يرقون إلى مكانة رفيعة لدى أسيادهم لإخلاصهم لهم، وتفانيهم في خدمتهم[6].

وسادت تجارة الرقيق وهم الذين أُحضروا إلى الديار المصرية عن طريق التجار[7] وكان يتم أخذ المكوس عن الرقيق من الجواري والعبيد[1]، وقد حُوِّلت هذه التجارة إلى قوة

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص356.

(2) المصدر نفسه، م3، ص316.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص238.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص39.

(5) الشيزري، **نهاية**، ص22؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص91.

(6) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص186.

(7) بيبرس الدوادار المنصوري، ركن الدين، (ت702هـ/1302م). **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ط1،

اجتماعية من خلال امتلاك العبيد، فبعض هؤلاء كانوا خدماً، والبعض الآخر استُخدموا كعملاء في الأعمال التجارية وبخاصة في تجارة التوابل، وكان تجار العبيد يحتفظون غالباً بعبيد يقومون بخدمتهم قبل أن يقوموا ببيعهم إلى الأحرار[2].

وأدت حروب المسلمين مع الصليبيين إلى امتلاء أيدي المسلمين سبياً لا يحصى عدده من الإفرنج، ومن فرقة من اليهود تعرف بالسمرة منسوبة إلى السامري[3]. وبلغ ثمن الأسير في دمشق بعد معركة حطين ثلاثة دنانير، وكان يباع الرجل وزوجته وأولاده في المناداة بيعة واحدة[4].

كما أدت حروب المسلمين إلى وقوع بعض المسلمين في الأسر، وكان بعض السلاطين والأثرياء يفتدون أسرى المسلمين بأموالهم ويخلصونهم من أعدائهم[5].

وكانت المرأة المسلمة تحرص على عدم وقوعها سبية في يد الصليبيين أو الباطنية، ومن ذلك ما يرويه أسامة بن منقذ من أنه عندما تعرضوا لغزو الباطنية أحضرت أمه أختا له كبيرة في السن وقالت: "البسي خفك وإزارك". فلبست وأخذتها إلى روشن في الدار يشرف على الوادي من الشرق أجلستها عليه وجلست إلى باب الروشن، حتى إذا رأت الباطنية وصلوا إليهم دفعتها ورمتها إلى الوادي، فتراها قد ماتت ولا تراها مأسورة. ولكنهم انتصروا على الباطنية فلم تنفذ خطتها[6]. كما يروي أسامة قصة رجل كردي يقال له أبو الجيش وله بنت اسمها رفول قد سباها الإفرنج، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من لقيه يوماً: "سبيت رفول"! فخرجوا من الغد يسيرون على النهر فرأوا في جانب الماء سواداً فقالوا لبعض الغلمان: "اسبح أبصر ما هذا السواد". فمضى إليه فإذا ذلك السواد رفول عليها ثوب أزرق وقد رمت نفسها من على فرس

(تحقيق دونالد س. ريتشاردز)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1419هـ/1998م، ص5. وسيشار إليه فيما بعد، بيبرس الدوادار، **زبدة الفكرة**؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص79.

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص297.

(2) لابدوس، إيرا، (1987م). **مدن إسلامية في عهد المماليك**. (نقله إلى العربية علي ماضي). بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ص200. وسيشار إليه فيما بعد، لابدوس، **مدن إسلامية في عهد المماليك**.

(3) ابن جبير، **رحلة**، ص272.

(4) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج3، ص299.

(5) ابن جبير، **رحلة**، ص245.

(6) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص124-125.

الإفرنجي الذي أخذها فغرقت، وعلق ثوبها في شجرة الصفصاف، فسكنت لوعة أبيها أبي الجيش[1].

العربان والجند

مثّلَ العربان والجند قوة واضحة في المجتمع المصري، وكان الجند مكوناً من جنود نظاميين وآخرين مساعدين يتقاضون أجراً مقابل الخدمات العسكرية التي يقدمونها، ويتكون الجند من التركمان والأكراد والعربان[2]، ويشير المقريزي إلى أن السلطان صلاح الدين قد أبعد جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين وغيرهم، واتخذ عسكرا من الأتراك والأكراد[3] وكانت سياسة الدولة الأيوبية في بدايتها استيعاب الأجناد البطالين وهم العاطلون عن العمل، ففي سنة (577هـ/1181م) قام السلطان صلاح الدين بإرسالهم إلى الثغور[4].

ووصف أبو شامة الجنود الأتراك في الجيش الأيوبي بقوله: "إن قنطاريات (نوع من الرماح يصنع من الخشب)[5] الفرنج ليس لها إلا سهام الأتراك، فإن الفرنج لا يرعبون إلا منهم[6]، وأشاد أسامة بن منقذ بحسن بلاء الأتراك في مواجهة الغزاة[7]، وشجاعة الجنود الأكراد الذين وقفوا يدافعون عن البلاد جنبا إلى جنب مع سكانها العرب[8].

---

(1) المصدر نفسه، ص149-150.

(2) غنيم، **الدولة الأيوبية والصليبيون**، ص131.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص254. انظر أيضا: الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص199؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 61؛ كحالة، عمر رضا، (1394هـ/1974م). **مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام**. دمشق: مطبعة الحجاز، ص306. وسيشار إليه فيما بعد، كحالة، **مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام**.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص186.

(5) دوزي، رينهارت، (1997م). **تكملة المعاجم العربية**. (ط1). (ترجمة محمد سليم النعيمي). بغداد: دار الحرية للطباعة، ج8، ص397، وسيشار إليه فيما بعد، دوزي، **تكملة المعاجم العربية**.

(6) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص144.

(7) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص2، ص73-76.

(8) المصدر نفسه، ص95-99.

دور العربان والجند والرقيق الاجتماعي

وقد أدى الجند دوراً اجتماعياً من خلال مساهمتهم في بناء الدور والفنادق والحمامات والأسواق[1] والمؤسسات الاجتماعية في المنصورة[2] وأعمال الحفر[3] والبناء[4] في مختلف الديار المصرية، وقام العربان بدور فعال في إحضار ونقل بعض المواد اللازمة في الصناعة، فقد كانت العربان تنقل الشب من مكانه في الصعيد[5] إلى ساحل إخميم[6] وأسيوط[7] وبهنسا[8] ليحمل إلى الإسكندرية، ويقوموا ببيعه لتجار الروم، وعملوا على نقل الملح إلى غزة والرملة[9]، فضلا عن دورهم في الحروب الصليبية، إذْ قاموا بخطف أسرى الفرنج[10] وكانوا يؤدون دور السفراء بين الملوك في كثير من الأحيان[11]، في حين نجد أن بعضهم قد اتفقوا مع الفرنج على المسلمين[12].

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص591.

(2) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م5، ص212.

(3) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص47.

(4) ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، م5، ج1، ص124.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص294.

(6) إخميم: بلد بالصعيد في الإقليم الثاني، وهو بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1، ص123.

(7) أسيوط: مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر وفيها بعض نصارى. انظر المصدر نفسه، م1، ص193.

(8) بهنسا: وهي مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة، وليست على ضفة النيل. انظر المصدر نفسه، م1، ص516-517 .

(9) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص493؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 117.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م1 ، ص598.

(11) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت821هـ/1418م). **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط2، (حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري)، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م، ص84. وسيشار إليه فيما بعد، القلقشندي، **قلائد الجمان**.

(12) المصدر نفسه، ص84.

وقد أقطع العربان أراضي عدة[1] بالشرقية والبحيرة[2]، وقد قامت بعض قبائل العربان بالإخلال بالأمن وإثارة القلاقل مما دفع صلاح الدين لمصادرة أقطاعاتهم[3]، وكثيراً ما يقومون بأعمال السلب والنهب[4].

وكان بعض الأعراب (وهم بنو أبي فرقة من طيء) لا يأكلون إلا الميتة ويقولون: "نحن خير العرب، ما فينا مجذوم ولا أبرص ولا زمن ولا أعمى". وإذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم[5].

كما عمل بعض الأعراب على سلب من يمر بهم، حتى لو كانوا في مهمة جهادية ضد الإفرنج[6].

وكثرت أعداد الجند والعربان في الدولة الأيوبية[7] حيث كثر تجمعهم في منطقة الصعيد[8]، وقد زود العسكر والعربان بالخلع والخيول، مع أن العربان كانوا يمتلكون ثروة حيوانية كبيرة[9]؛ مما سهل تجنيدهم في الحروب، وإن كان هذا مؤقتاً، وسعى الأمراء والسلاطين لكسب ولاء الجند[10] وإكرامهم، حيث يذكر أن السلطان صلاح الدين كان يمد لهم الطعام وينعم عليهم بما تطيب به قلوبهم، وتضرب خيامهم في مكان قريب وينزل بهم في خيمته[11]، ولجأ بعضهم إلى إرسال الخيول كهدايا سنوية للسلطان لكسب ولائهم[1]، وقد جرى

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص223.

(2) البحيرة: هي ليست بحيرة ماء، إنما هي كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1، ص351.

(3) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص98.

(4) أحمد، ليلى عبد اللطيف، (1986م). **سياسة محمد علي إزاء العربان في مصر**. (ط1). القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ص16. وسيشار إليه فيما بعد، أحمد، **سياسة محمد علي إزاء العربان في مصر**.

(5) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص12.

(6) المصدر نفسه، ص27-28.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص603.

(8) ابو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص183؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص198؛ القلقشندي، **قلائد الجمان**، ص87، ص168؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص466.

(9) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص98.

(10) معلوف، **الحروب الصليبية**، ص227.

(11) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص213.

توزيع الرواتب الجارية على الجند، وتوزيع الشعير والزيت والسكر والشمع والكسوة في السنة[2]، ويمكن استخلاص بعض المعلومات من إشارات كاتب ديوان صلاح الدين أن معدل دخل الجندي في عام (577هـ/1181م) هو مبلغ (429) ديناراً في السنة، وكان الجزء الأعظم من دخل الدولة مخصصاً لدفع رواتب الجند، حتى لجأ السلاطين إلى إنقاص رواتب الجند[3].

وقد قام صلاح الدين بتوزيع الإقطاعات على الجند[4]، وجرى استخدام مصطلح الخبز[5]، وهو يشير إلى الإقطاع وفي وصية السلطان الملك الصالح لابنه توران شاه دعاه فيها لأن يكون إقطاع الجندي في مواضع قريبة حتى تكون النتيجة عمار البلاد[6] وكان أكابر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مئتي ألف دينار جيشية، وربما زاد على ذلك. ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبلخاناه ثلاثين ألف دينار فأكثر، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار؛ ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى ما دون ذلك؛ ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمي الحلقة إلى ألف وخمسمئة دينار، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مئتين وخمسين ديناراً. ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت؛ ولأعيانهم الكسوة والشمع؛ وكذلك المماليك السلطانية، وذوو الوظائف من الجند، مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه. وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنانير وخبزٌ ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطبلخاناه على حسب الحظوظ والأرزاق[7].

(1) الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص100.

(2) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص261.

(3) آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، ص302.

(4) غنيم، **الدولة الأيوبية والصليبيون**، ص137.

(5) انظر ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج5، ص68، ص200؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص113، ص320.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص225.

(7) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص51-52.

ملابس الجند

يرتدي الجند السربال وهو قميص أو قباء أبيض يرتديه الجنود لوقاية ملابسهم[1]، ويضعون على رؤوسهم الكلوتة[2]، وهي مختصة بسائر العسكر، ويلبسون في أقدامهم الأخفاف، وهي مصنوعة من الجلود[3]، وقد عرفوا نوعاً آخر من الأخفاف وهو السقمان[4] ويرتدونه في أرجلهم من فوق الخف كخف ثان.

توزع القبائل العربية في مصر

تعددت القبائل العربية في مصر، ففي بلاد أسوان بنو هلال[5]، وفي بلاد أخميم بلي[6]، وفي بلاد منفلوط وأسيوط جهينة[7]، وفي بلاد الأشمونين قريش، وفي معظم بلاد البهنسا لواته، وتوزعت طوائف منهم بالجيزة وبالمنوفية وبالبحيرة وببلاد الفيوم بنو كلاب[8]، ووجد بنو كنز[9] في الصعيد.

وقد أدت قبيلة طيء دوراً منذ أيام الفاطميين واستمر هذا الدور في الدولة الأيوبية[10]، وكانت العربان في هجرة دائمة، حيث هاجرت جماعات إلى بلبيس وهي جماعات من العائذ

---

(1) دوزي، **المعجم المفصل**، ص167.

(2) الكلوتة: الطاقية وهي ما يلامس الرأس كل الملامسة، وهي تؤلف هيكل العمامة. انظر: المرجع نفسه، ص 313، ص209.

(3) المرجع نفسه، ص128.

(4) المرجع نفسه، ص174.

(5) بنو هلال: بطن من بني عامر وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها. انظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، ط1، (تحقيق عبد المجيد عابدين)، عالم الكتب، القاهرة، 1961م، ص28. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **البيان والإعراب**.

(6) بلي: قبيلة فيها بطون عدة كانت بالشام وتفرقت بأرض مصر. انظر: المصدر نفسه، ص29.

(7) جهينة: من قبائل اليمن وهي من أكثر عرب الصعيد. انظر: المصدر نفسه، ص32.

(8) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص68–70؛ المقريزي، **البيان والإعراب**، ص27–28.

(9) بنو كنز: بطن من ربيعة بن نزار كانوا ينزلون اليمامة وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله وسكنوا في أعالي الصعيد. انظر: الأدفوي، **الطالع السعيد**، ص30.

(10) المقريزي، **البيان والإعراب**، ص117.

ويقال إنها من جذام، وكان عرب العائذ حراساً يُؤمِّنون الطريق بين القاهرة ومكة إلى أيلـــة[1]، ووجدت قبائل قوية في الصعيد المصري كانت لها ثورات متعددة في عصر الفــاطميين وفـــي عصر الأيوبيين[2] مع أن بعض القبائل قد لجأت إلى إرسال الخيول كهدايا سنوية للسلطان لكسب ولاء السلاطين[3].

ملابس العربان

أما زي العربان فكان يتناسب وطبيعة حياتهم، حيث يرتدي الرجال منهم كساء فضفاضاً أو عباءة[4]، وهذا الكساء مشكل من نسيج من الصوف الغليظ[5]، وهو يظهر الوجاهة، ولا يعيق الحركة عند ركوب الخيل[6] ويضعون على رؤوسهم الكوفية[7]، وكانوا يلجـأون إلـى وضـع اللثام[8]، وهي قطعة يغطي بها البدوي الجزء الأسفل من وجهه؛ وكـانوا يـضعون الطاسـات النحاسية البيضاء على رؤوسهم عوضاً عن الخوذ[9].

وبالنسبة إلى نسائهم فقد ارتدين عباءة وهي أضيق من عباءة الرجال، وتكون محاكة مع خيوط أخرى[10]، ووضعن على رؤوسهن الطرحة والخرق وتسمى عندهم الـشملة، والنـساء الكبيرات في السن يتخذنها من اللون الأسود[11] أما الأخريات فتكون من اللون الأحمر وتـسمى المقرونة[12]، ولزينتهن فهن يضعن طاقية من الفضة أو الذهب على رؤوسهن وعنـد عـرائس

---

(1) المصدر نفسه، ص118.

(2) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص59.

(3) الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص100.

(4) العباءة: تشير إلى ملحفة قصيرة ومفتوحة من الجهة الأمامية ولا أكمام لها؛ ولكن تستحدث فيها تقويرات لإمرار الذراعين. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص238.

(5) المرجع نفسه، ص240.

(6) دوزي، **المعجم المفصل**، ص239.

(7) الكوفية: منديل مربع يلبس فوق الرأس له من الطول ذراع ومثله من العرض. انظر: المرجـع نفـسه، ص315.

(8) المرجع نفسه، ص322.

(9) ابن إياس: **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص280.

(10) دوزي، **المعجم المفصل**، ص239.

(11) المرجع نفسه، ص293.

(12) المرجع نفسه، ص293.

الأمراء منهم يضعن العرقية[1]، وفي كثير من الأحيان يرتدين النقاب، وفيه ثقبان ليستطعن رؤية مواقع أقدامهن[2]، أما صبيانهم فيلبسون العلقة[3] وهو قميص.

أهــل الذمـــــة

تأتي لفظة ذمة[4] كما وردت في معاجم اللغة العربية بمعنى العهد والأمـــان والـــضمان والحرمة، وقد سمِّي أهل الذمة بهذا الاسم لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم.

وقد جاء مصطلح أهل الذمة للتعبير على من يجوز عقد الذمة معهم من أهل الكتاب[5]، وكانوا يدفعون الجزية، ويذكر ابن قيم الجوزية أن الجزية وضعت صـــغاراً وإذلالاً للكفـــار لا أجرةً عن سكنى الدار[6]، أما الرحالة ابن جبير الذي زار مصر فقد لاحـــظ أن للإفـــرنج علـــى المسلمين ضريبة يؤدونها وغايتها الأمن والحماية[7]، فضلا عما كان يؤخذ منهم وعما يـــصدر ويرد من البضائع[8] وعلى تجارتهم.

وكان لهذه الفئة دورها في المجتمع المصري، ولها نشاطها الاجتماعي الذي لا يمكـــن إغفاله ، فعلينا أن ندرك أن يهود مصر ومسيحييها شكلوا جزءاً هاماً ارتبط بالكل المصري، فهم يؤثرون ويتأثرون، ورغم أن محور الدراسة حول العصر الأيوبي إلا إنه لا بد من العودة إلـــى العصر الفاطمي؛ حيث أن النسيج الاجتماعي بقي متماسكاً ومستمراً حتى خلال العصر الأيوبي، إذ أن التغيرات الاجتماعية بطيئة التحول، فهي تشكل استمرارية للعصر الفاطمي.

---

(1) العرقية: وهي تاج من الفضة يحطنه بخمار حريري أسود مطرز باللآلئ ومرصع بالأحجار الكريمـــة. انظر: المرجع نفسه، ص244.

(2) المرجع نفسه، ص343.

(3) المرجع نفسه، ص249.

(4) الرازي، **مختار الصحاح**، ص223؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م12، ص221؛ الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ج4، ص115.

(5) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت751هـ/1350م)، **أحكام أهل الذمـــة**، ط1، جامعة دمشق، دمشق، 1381هـ/1961م، ج1، ص1. وسيشار إليه فيما بعد، ابن قـــيم الجوزيـــة، **أحكام أهل الذمة**؛ قاسم، قاسم عبده، (1977م). **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى دراسة وثائقيـــة**. (ط1). القاهرة: دار المعارف، ص23. وسيشار إليه فيما بعد، قاسم، **أهل الذمة في مصر**.

(6) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص25.

(7) معلوف، **الحروب الصليبية**، ص233.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص288.

أهل الذمة في الدولة الفاطمية

في الوقت الذي عدّ البعض أن العصر الفاطمي كان يقوم على التسامح مع أهل الذمـــة، نظر الآخرون إلى سياسة الحاكم بأمر الله وتشدده على اليهود والنصارى، ومنعهم مـــن عمـــل الشعانين[1] وإلزامهم بوضع الأجراس في أعناقهم، إلا أن هذه السياسة حالة استثنائية، فقد تولوا المناصب الرفيعة أمثال إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس، وهو نصراني وكان في خدمة الحـــاكم بأمر الله، وعيّنه رئيسا على سائر الأطباء[2]، ومع ذلك فكان أهل الذمة يثيـــرون القلاقـــل فـــي المجتمع الإسلامي آنذاك، ففي سنة (564هـــ/1168م) كان الحريق بمصر، وقد أُحرق الجـــامع العتيق، مع أن سبب ذلك هو أن البطريرك كان يحثهم على هذا الأمر[3] رداً على سياسة الحاكم بأمر الله، بالرغم من طول المدة التي مضت على هذه الحادثة، ومع هذا فقد ظلوا يعيشون بأمان خلال العصر الفاطمي، وبلغوا مبلغاً كبيراً من الثروة والنفوذ والسلطان.

أهل الذمة في العصر الأيوبي

كان لأهل الذمة وهم المعاهدون من أهل الكتاب من النصارى واليهود مذاهب متعـــددة، وكانوا يعيشون مع المسلمين في مدنهم وقراهم، وقد يتجمعون أحيانا في أحياء أو قرى خاصـــة بهم[4]، وقد تسامح الأيوبيون مع أهل الذمة[5]. ويدل على ذلك ما ورد في تقليد كتبه ضياء الدين بن الأثير على لسان الأفضل علي بن صلاح الدين سنة 589هـــ/1193م لأحد الأعيان بولايـــة دمشق، إذ يقول: "ومن الرعية الذين تحت يدك أهل الذمة، وهم قوم سكنوا بين أظهر المـــسلمين سكنى الإذلال، وبذلوا الجزية فعصموا بها مباح الدماء والأموال، فعليك بأن تملي علـــيهم ظـــل المعدلة، وتنزلهم حيث أنزلهم الله ورسوله من المنزلة، وأن تحفظ كلا منهم في نفسه وعرضه، ولا تحمله ثقلا يخف عليه حمل بعضه، وأن تحفظ عليه عهده من النقض إلا في ســـبب يحكـــم بنقضه، ومن إحسان السيرة فيهم ألا تطلب الجزية من راهب انقطع في صومعته، ولا من شيخ

---

(1) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـــ/1441م). **تـــاريخ الأقباط المعروف "بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي"**، (دراسة وتحقيق عبد المجيد ذياب)، دار الفضيلة، القاهرة، ص111. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **تاريخ الأقبـــاط**؛ المقريـــزي، **المـــواعظ**، م4، ج2، ص1007–1008؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص56.

(2) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص500.

(3) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص39.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص217.

(5) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

حال الضعف بينه وبين الانتفاع به كما حال بينه وبين منفعته"[1].

وانعكست سياسة التسامح الأيوبية على العلاقات بين أهل الذمة والمسلمين، فكان النصارى المجاورون لجبل لبنان إذا رأوا به بعض المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون: هؤلاء ممن انقطع الله عز وجل فتجب مشاركتهم[2].

لم تعش هذه الفئة بمنأى عن الظروف التي أحاطت بالدولة الأيوبية، وإن كان لهم طقوس خاصة، فيذكر المقريزي سنة (612 هـ/1215م) حادثة استغاثة النصارى بالسلطان الكامل إثر خلاف حدث بين اثنين من المتنافسين على منصب البطريرك، فخرج الكامل إلى الكنيسة المعلقة بالفسطاط لفضّ النزاع حتى خلا كرسي البطريركية مدة طويلة قدرت بتسع عشرة سنة ومئة وستين يوما[3].

واشتهر السلطان الكامل بتسامحه الديني حتى بلغ عطفه على رعاياه من أهل الذمة درجة جعلت الكنيسة القبطية تعده من أكثر الملوك إحسانا على أبنائها[4].

القيود الاجتماعية

ملابس أهل الذمة

شاعت لفظة الغيار للإشارة إلى ملابس أهل الذمة، والغيار: مصدرها غاير أي خالف ويطلق في العُرف على العلامات والقيود التي وضعت على أهل الذمة لتمييزهم، فيتناول كل ما خالف زي المسلمين من أزياء النصارى واليهود كالزنار والعمامة، وما خالف العادات والألوان المختصة بالمسلمين وملابسهم[5]. ويذكر ابن القيم أن بداية الغيار لم تكن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما أحدثت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ أن خالداً بن عرفطة أمير الكوفة جاءت إليه امرأة نصرانية

---

(1) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

(2) ابن جبير، **رحلة**، ص259.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص302-303؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص59.

(4) الخطيب، **دور**، ص48.

(5) انظر: المقريزي، **تاريخ الأقباط**، ص111، هامش رقم 2؛ ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، (ت779هـ/1377م). **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1976م، ج1، ص233، هامش رقم 1. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حبيب، **تذكرة النبيه**؛ وتأتي لفظة الغيار بشكل عام بمعنى يستثنى. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م5، ص39؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص26.

وقد أسلمت، وذكرت أن زوجها يضربها، مقيمة علـى ذلـك بينـة، فـضربه خالـد وحلقـه، وفرّق بينه وبينها، فشكاه النصراني إلى عمـر بـن الخطـاب، وسـأل عمـر خالـدا فقـال: الحكم ما حكمت به وكتب عمر بعد ذلك للأمصار أن يجزوا نواصيهم[1].

وقد امتازت ملابس النصارى بوجود الزنار[2] على أوساطهم[3] فوق الثياب، ويلبـسون العمائم الزرق[4] تمييزا لهم عن المسلمين، وجرت العادة أن يعلقوا الصليب على صدورهم[5] أما اليهود فكان لباسهم العمائم الصفر[6] وألزموا لبس الغيار. فكان النصراني يـشد عقـدة إزاره، ويصفر اليهودي على إزاره[7].

أمّـا النـساء فيلبـسن الزنـانير فـوق الإزار[8]، وتحـدد إزار النـصرانية بـاللون الأزرق، وإزار اليهوديـة بـاللون الأصـفر، وإزار الـسامرية أحمـر اللـون[9]، وتخـالف المرأة بين لوني خفيها، فواحدٌ أسود والآخر أبـيض[10]، وأن يجعلـن فـي أعنـاقهن أطواقـا

---

(1) انظر: الشيزري، **نهاية**، ص106؛ ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص236.

(2) الزنار: كلمة تدل على حزام، ولبسه أهل الذمة تحت الإزار. انظر: دوزي، **المعجـم المفـصل**، ص33، 162.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص106؛ ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص237؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص247؛ المقريزي: **المواعظ** م2، ص230؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354؛ ساويرس ابن المقفع، **تاريخ البطاركة**، ط1، (إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م، ج3، م2، ص1598. وسيشار إليه فيما بعد، ساويرس ابن المقفع، **تاريخ البطاركة**.

(4) المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص349.

(5) ابن الفوطي، كمال الدين، أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي، (ت723هـ/1323م). **الحـوادث الجامعـة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، المكتبة العربية، بغداد، ص69. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص39؛ المقريزي، **تاريخ الأقباط**، ص112.

(6) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، 247؛ المقريزي، **المقفى الكبيـر**، ج1، ص349؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص230؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص254.

(7) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص397.

(8) الإزار: هو قطعة من النسيج تلتف بها النساء عادة عندما يبرزن للجمهور، ويكون عرض الإزار ذراعين أو أكثر، وطوله ثلاثة أذرع. انظر: دوزي، **المعجم المفصل**، ص32؛ الباشا، **الألقاب الإسلامية**، ص138.

(9) دوزي، **المعجم المفصل**، ص33.

(10) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68؛ النويري الإسكندراني، محمد بن قاسـم بـن محمـد، (ت بعـد 775هـ/1373م). **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، (تحقيق اتيين كومب وعزيز سوريال عطية)، مطبعة مجلس دائرة المعـارف العثمانيـة، حيـدر آبـاد الـدكن، 1389هـ/1969م، ج2، ص204. وسيشار إليه فيما بعد، النـويري الإسـكندراني، **الإلمـام بـالإعلام**؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354.

إذا دخلن الحمامات[1]، ويبدو أن اختلاف الألوان مفاده التمييز بين المرأة المسلمة والذمية.

واللافت للنظر أن الذميين لم يلتزموا بالأوامر والنواهي فيما يتعلق بالملابس، فلم يعن هذا إلغاء هذه القيود، بل كان هذا عائد إلى السلطان ذاته وتشدده في مراعاة تطبيق هذه القيود أو تسامحه أو من جانب سخط العامة على الذميين[2]. فكانت هذه القيود عرضة للتغير والتبدل حتى تلائم الظروف والأوضاع التي تمر بها.

ما يركبه أهل الذمة من الدواب

وبالنسبة إلى ما يركبونه من دواب، فقد ألزموا بعدم ركوب أحدهم فرسا ولا بغلة[3]، مع أن ابن الفوطي ذكر أنهم أحظر عليهم ركوب الخيل، بل يركبون البغال والحمير دون السروج[4]، ويذكر البغدادي أن رؤساء اليهود والنصارى يركبون الحمير العالية التي يبلغ ثمن الواحدة عشرين ديناراً إلى أربعين[5]، ومنعوا من حمل السلاح والتقلد بالسيوف[6].

ووضعت على أبوابهم الخشب تمييزا لبيوتهم عن بيوت المسلمين، ولا يتساوى بنيانهم وبنيان المسلمين[7]، فلا تكون بيوتهم عالية على بيوت المسلمين، وتوابيت موتاهم[8] تكون مشدودة بحبال الليف[9].

---

(1) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68–69؛ النويري الإسكندراني، **الإلمام بالأعلام**، ج2، ص204؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354؛ ترتون، أ.س.، (1967م). **أهل الذمة في الإسلام**. (ط2). (ترجمة حسن حبشي). القاهرة: دار المعارف، ص134. وسيشار إليه فيما بعد، ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**.

(2) ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ص135.

(3) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص237–238؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص349؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354؛ ساويرس ابن المقفع، **تاريخ البطاركة**، م2، ص1598.

(4) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص69. انظر أيضا: ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ص134، 137.

(5) البغدادي، **الإفادة**، ص38.

(6) الشيزري، **نهاية**، ص106؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص40؛ حجازي، فايزة عبد الرحمن، (1992م). **أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص157. وسيشار إليه فيما بعد، حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**.

(7) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68؛ ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص238.

(8) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص 238.

(9) الليف: ليف النخل القطعة منه ليفة، وأجود الليف ليف النارجيل، وهو جوز الهند تجيء الجوزة ملفوفة فيه، وهي بائنة من قشرها، ويقال لها الكنبار، وأجود الكنبار يكون أسود شديد السواد. انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص611؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م9، ص322.

عادات أهل الذمة

وقد أثر أهل الذمة وتأثروا بالمجتمع المصري، فقد عرف اليهود نوعاً من الخبز يسمى الفطير، وهو الخبز الذي لم يختمر عجينه[1]، وهو تقليد يهودي[2] وما زال مرتبطا ببعض بيوت الريف المصري، ويبدو أنهم لا يأكلون اللحم المطبوخ باللبن متأثرين باليهود، حيث يرد في سفر الخروج "لا تطبخ جدياً بلبن أمه"[3]. وكان النصارى يكثرون من طبخ العدس المصفى في يوم الخميس المسمى خميس العدس حتى درج القول عند أهل مصر خميس العدس[4]، ويعظمون نباتاً هو البلسان الذي يغتسلون به[5] ويتهادونه بينهم.

أماكن وجود اليهود والنصارى

تركز وجود اليهود في مدينة القاهرة والفسطاط[6] وبجزيرة تنيس[7] ودمياط[8]، بيد أن الرحالة بنيامين التطيلي ذكر في رحلته أعداد اليهود في مدن وقرى مصر، فالإسكندرية قُدّر عدد اليهود فيها حوالي ثلاثة آلاف يهودي ودمياط نحو مئتي يهودي[9]، وفي بلبيس[1] قُدّر

---

(1) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص77–78؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص961.

(2) انظر: **الكتاب المقدس، العهد القديم**، السفر الثاني (سفر الخروج)، الأصحاح 12، عدد 15.

(3) المصدر نفسه، الأصحاح 34، عدد 26.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ ابن الشحنة، أبو الفضل محمد الحلبي، (ت890هـ/1485م). **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، (وقف على طبعه وعلق حواشيه يوسف بن اليان سركيس الدمشقي)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م، ص95–96. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الشحنة، **الدر المنتخب**؛ ابن الحاج، **المدخل**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م، ج2، ص56. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الحاج، **المدخل**.

(5) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص204؛ البغدادي، **الإفادة**، ص23؛ ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص113–114؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص624؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 103؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص127–128؛ رمضان، **المجتمع في مصر الإسلامية**، ج1، ص160.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص230.

(7) تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص51.

(8) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب. انظر: المصدر نفسه، م2، ص472.

(9) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص359.

بثلاثمئة ألف يهودي[2]، وفي مصر البلدة القديمة قُدّر عدد اليهود بحوالي ألفي يهودي[3]، وفــي حلوان[4] ثلاثمئة يهودي[5]، وفي الدميرة[6] قدرهم بسبعمئة يهودي أمّا المحلــة[7] ففيهــا نحــو خمسمئة يهودي، وفي بنها[8] حوالي ستين يهودياً، وتجمع النصارى بكثرة في جزيــرة تنــيس ودمياط[9].

وظائف أهل الذمة في المجتمع المصري

تولى أهل الذمة وظائف عدة في المجتمع المــصري، فقــد بــرزوا فــي مجــالات عديدة، فقد برع اليهود في مجال الطب[10]، ونجد أسماء كثيرةً قد لمعــت فــي هــذا المجــال أمثال ابن جميع[11]، الذي خدم السلطان صلاح الدين، وحظي عنــده بمنزلــة عاليــة، وأبــي البيان بن المدور وكان يهوديا، وأطلق له السلطان صــلاح الــدين فــي كــل شــهر أربعــة وعشرين ديناراً مصرية، تصل إليه ويكون ملازمــا لبيتــه[12]، وبــرع أبــو الفــضائل بــن الناقد وهو يهودي بالكحالــة[13]، ومــن الأســماء الأخــرى الــرئيس موســى بــن ميمــون

---

(1) بلبيس: مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1، ص479.

(2) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص354.

(3) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص348.

(4) حلوان: قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة علــى النيــل، وبها دير. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص293.

(5) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص347؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص60.

(6) الدميرة: قرية كبيرة بمصر، قرب دمياط، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيــل فــي طريق من يريد دمياط. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص472.

(7) المحلة: مدينة مشهورة بالديار المصرية وهي عدة مواضع منها محلة دقلا وهي أكبرها وأشهرها وهــي بين القاهرة ودمياط. انظر: المصدر نفسه، م5، ص63.

(8) بنها: من قرى مصر، وهي على شعبة من النيل، وأكثر عسل مصر الموصوف بالجودة مجلوب منهــا. انظر: المصدر نفسه، م1، ص501.

(9) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص480.

(10) قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص61.

(11) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص532.

(12) المصدر نفسه، ص535.

(13) المصدر نفسه، ص535.

اليهودي[1]، وقد قرر له القاضي الفاضل رزقا وضمانا لبقائه في مصر فقد تزوج موسى بن ميمون من أخت رجل كاتب من اليهود عرف بأبي المعالي[2]، وقد طلب في وصية له أن يُدفن في طبرية؛ لما فيها من قبور بني إسرائيل وقد تمّ ذلك[3]، وكان يقوم بخدمة السلطان صلاح الدين، وبرع ولده إبراهيم في الطب وكان في خدمة السلطان الكامل[4]، مما يدل على أن هذه المهنة كانت متوارثة، ومن النصارى برع الطبيب أبو سليمان داود بن أبي فانة، وكانوا بشكل عام مقربين لدى السلاطين، وتقلدوا الوزارة فكان وزير الملك الصالح إسماعيل يهودياً سامرياً[5]، وقد حصلوا على العديد من الهبات، وملك بعضهم الإقطاعات والضياع.

ويورد بنيامين التطيلي وجود عدد من العلماء من اليهود[6]، وكان من بين هؤلاء اليهود عدد من التجار، حيث برع اليهود في مجال التجارة حتى أنهم شكلوا عدداً من أغنياء مصر[7]، كما لعبوا دوراً كبيراً في التجارة الخارجية، إضافة إلى عملهم في مجال الكتابة والصيرفة وكان منهم الأغنياء، إذ قاموا بدورٍ ملحوظٍ في التجارة الخارجية[8]، وعملوا ككتاب وصيارفة[9].

وقد ساعدت سياسة التسامح في العصر الأيوبي على تزايد أعداد النصارى واليهود الذين اعتنقوا الدين الإسلامي برغبتهم[10]، ويضاف إلى ذلك أن فساد رجال

---

(1) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص537؛ معلوف، **الحروب الصليبية**، ص269.

(2) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف، (ت646هـ/1248م). **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، (عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي)، مطبعة السعادة، القاهرة، ص210. وسيشار إليه فيما بعد، القفطي، **إخبار العلماء**.

(3) المصدر نفسه، ص210.

(4) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص538.

(5) الخطيب، **دور**، ص48.

(6) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين**، ص363.

(7) المصدر نفسه، ص351.

(8) رمضان، **المجتمع في مصر الإسلامية**، ج1، ص212.

(9) آرنولد، توماس. و.، (1970م). **الدعوة إلى الإسلام**. (ط3). (ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجداوي). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص129. وسيشار إليه فيما بعد، آرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**.

(10) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص174.

الدين المسيحي كان عاملاً بارزاً في زيادة أعـداد المعتنقـين للإسـلام[1]، ومـع هـذا فقـد أشـار المقريـزي إلـى أن القاضـي الفاضـل قـد بـيّن ارتفـاع الجـوالي[2] سـنة (587هـ/1191م) حتى وصلت إلى مئة وثلاثين ألف ديناراً[3].

ولم يسلم أهل الذمة من الغزو الصليبي ففي سنة (601هـ/1204م) وصل الفرنجة إلى الإسكندرية، ونهبوا ما في كنيستها من عجائب المصوغات وغرائب الصناعات[4].

طوائف أهل الذمة في مصر

انقسمت الطوائف اليهودية إلى ثلاثة أقسام وهم القراؤون والربانيون والسامرة[5].

القراؤون

يذكر القلقشندي أن هذه الطائفة قد اتفق على يهوديتها[6] وهم يعتقدون بالقدر كما تقـول الأشعرية[7]، ويعتمدون على الأهلة في تقويم أعيادهم[8].

الربانيون

أما الربانيون فيشكلون الطائفة الثانية ويختلفون عن القرائين كونهم ينكرون سابق القدر فهم كالقدرية عند المسلمين[1]، ويعتمدون على الحساب في معرفة أعيادهم[2].

---

(1) آرنولد، **الدعوة إلى الاسلام**، ص128–129.

(2) الجوالي: هو ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة، وهي جمـع جاليـة، وتطلق على أهل الذمة، وقد قيل لهم ذلك لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم هـذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وإن لم يجلوا عن أوطانهم. انظر: البقلي، **التعريـف**، ص94؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص70.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص288. انظر أيضا: قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص111.

(4) الدواداري، **كنز الدرر** ، ج7، ص158.

(5) السامرة: هؤلاء قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرى من أعمال مصر ويتقشفون في الطهارة أكثر مـن سائر اليهود، الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت548هـ/1153م). **الملل والنحل**، (تحقيق محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص218. وسيشار إليـه فيمـا بعـد، الشهرستاني، **الملل والنحل**.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج13، ص260.

(7) المصدر نفسه، ج13، ص261؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص136.

(8) قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص111.

السامرة

اشتهرت هذه الفئة من اليهود لسكنهم مدينة سمرون وهي مدينة نابلس[3]، وهم أتباع السامري[4] الذي أخبر الله تعالى عنه في سورة "طه": (وأضلهم السامري)[5].

واختلف القول حول السامرة هل هم من اليهود أم لا؛ فالربانيون والقراؤون ينكرون كون السامرة من اليهود ولهم توراة خاصة، وهي غير التوراة التي بيد القرائين والربانيين[6] فهم ينفردون عنهم بإنكار نبوة ما بعد موسى ما عدا هارون ويوشع عليهم السلام[7]. ولا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ولهم عاداتهم الخاصة بهم، وقد تشددوا في أحكام الطهارة، وقد نسبت أسماء عدة إلى السامرة؛ كالمهذب السامري الحكيم، الذي كان مقرباً عند الملك الأمجد صاحب بعلبك حتى قيل فيه[8]:

الشاعر الأمجد الذي شهدت ... له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً ... معتقد السامري في العجل

أما طوائف النصارى في مصر فقد انقسمت إلى:

اليعاقبة

وهم يقولون إن المسيح هو الله[9] وقد زعموا أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار هو الإله[1].

---

(1) القلقشندي، **صبح**، ج13، ص261.

(2) قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص110.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص16؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص137.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج13، ص270؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص137.

(5) سورة "طه"، آية 85.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج13، ص271.

(7) المصدر نفسه، ج13، ص271.

(8) ابن النظيف، **التاريخ المنصوري**، ص133.

(9) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص226.

(1) المصدر نفسه، ج1، ص225؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص133.

الملكانية

وهم الذين يزعمون أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت ناسوته[1] فهم يقولـــون إن للمسيح طبيعتين اتحدتا في إله واحد[2]. وعامة أهل مصر من النصارى هم الأقباط، وهم ملكانية ومنهم الكتاب والتجار والأساقفة ومنهم أهل الفلاحة وأهل الخدمة والمهنة.

النسطورية

أما النساطرة فيزعمون أن الكلمة اتحدت بجسد عيسى عليه السلام[3].

ألقاب رجال الدين ورؤساء الطوائف

نال رجال الدين في المجتمع المصري مكانة مرموقة، ونلمح هذا من خلال الألقاب التي تسبغ عليهم الاحترام والتبجيل، فقد خوطب رئيس اليهود بـــ"الرئيس الأوحد، الأجـــل الأعـــز، الأخص الكبير شرف الدواوين"[4].

أما بالنسبة لألقاب ومخاطبة النصارى فقد أورد القلقشندي طريقتين للمخاطبة هما:

الطريقة الأولى

وتصف البطريرك بـــ"البطرك المحتشم المبجل، فلان، العالم بأمور دينه المعلـــم أهـــل ملته، ذخر الملة المسيحية، كبير الطائفة العيسوية المشكور بعقله عند الملـــوك والـــسلاطين وفقه الله تعالى"[5].

الطريقة الثانية

وتصف البطريرك بـــ"مجلس القسيس الجليل الروحاني، الخطير المتبتل ابن المطـــران، الناصب، الخاشع المبجل، قدوة دين النصرانية، فخر الملة العيسوية، عماد بني المعموديـــة،

---

(1) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص222.

(2) قاسم، **أهل الذمة في مصر**، ص104؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص134.

(3) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص224.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج12، ص289.

(5) المصدر نفسه، ص289.

جمال الطائفة الفلانية، صفوة الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى بهجته"[1].

وكانوا يشاركون السلطات الحاكمة من خلال إظهار مراسم الاحترام والولاء لكل سلطان جديد[2].

(1) القلقشندي، **صبح** ، ج12، ص289.

(2) حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص61.

الفصل الثاني

مظاهـــر الحيـــاة الاجتمـــاعية فـــي مصـــر في العصر الأيوبي

يتناول هذا الفصل مظاهـــر الحيـــاة الاجتمـــاعية فـــي مصـــر في العصر الأيوبي، فيتناول الأعياد والاحتفالات والزواج والطعام والشراب والملابس والأسرة والعادات والتقاليد في مصر في هذا العصر.

الأعياد والاحتفالات

أعياد المسلمين

رافق التحول من المذهب الشيعي إلى السني تغيرات شتى في مصر امتدت لتشمل الأعياد والاحتفالات، ونلحظ هذا جلياً من خلال مبالغة الفاطميين في احتفالاتهم[1]، في حين نجد الأيوبيين قد أعرضوا عن هذا الترف، فألغيت كثير من الأعياد التي كانت في الدولة الفاطمية واكتفوا ببعضها، كما اقتصدوا في مظاهرها، وجعلوا لبعضها معنىً غير الذي جعله الفاطميون له، ومع أن هذا التغير لم يتم بسهولة، إذ لقي السلاطين والأمراء الأيوبيون في سبيل ذلك العناء والمشقة[2]، ويبدو أن هذا عائد للظروف والأحوال التي مرت بها الدولة الأيوبية من مواجهة الخطر الصليبي الذي تعرضت له المنطقة[3]، إضافة لحدوث المجاعات التي توالت في ذلك

---

(1) ابن المعز، تميم بن معد بن إسماعيل، (ت374هـ/984م). **ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي**، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م، مقدمة المحقق، صفحة س. وسيشار إليه فيما بعد، ابن المعز، **ديوان تميم بن المعز**.

(2) ابن العديم، (ت660هـ/1261م). **الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب**، (تحقيق سليمى محجوب ودرية الخطيب)، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1406هـ/1986م، ج1، ص377. وسيشار إليه فيما بعد، ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**.

(3) יהושע פראוור . חאגי בן- שמאי، **ספר ירושלים: התקופה הצלבנית**، הוצאת יד יצחק בן צבי. ירושלים. תשנ"א، המרכז לחקר תולדות ארץ- ישראל ויישובה، **1991**، فبراور، حاجي، يهوشع، ابن شماي، **ذاكرة القدس الفترة الصليبية والأيوبية (1099-1250)**. (ط1). القدس: مركز أبحاث تاريخ أرض إسرائيل وسكانها، ص11، ص12. وسيشار إليه فيما بعد، **ספר ירושלים: התקופה הצלבנית** ، **ذاكرة القدس**؛ الخطيب، **دور**، ص69.

العصر[1]، كما كان للزلازل[2] أثرها في الاقتصاد بأمر الأعياد واقتصارهم على الأعياد الإسلامية[3].

كان المسلمون في مصر يحتفلون في مناسبات دينية معينة كعيدي الفطر والأضحى، وكانوا يهتمون بإقامة الموالد النبوية، وكان السلاطين والملوك يبذلون في سبيل إحياء هذه الأعياد أموالا كثيرة، ويمدون فيها الأسمطة للفقراء والمساكين[4].

عيد الفطـــر

وهو العيد الذي يتبع شهر رمضان، ويلتقي الناس ويتصافحون في صلاة العيد[5]، وهو كنظيره من الأعياد يرافقه شراء الملابس الجديدة[6]، وإعداد الكعك المحشو بالعجوة[7] من أهم مظاهر الاحتفال بعيد الفطر في مصر وغيرها، الذي تصنعه النساء في أواخر الشهر الكريم، واعتادت النساء أن تتهادى أطباق الكعك[8] فتقوم كل واحدة بتبادل هذه الأطباق والتفنن في صناعته.

وشاع التكلف في مثل هذه المناسبات وذلك بمهاداة الأقارب والأصهار، خاصة إذا كانت المصاهرة جديدة، أو لم يدخل بالزوجة بعد، فالنسوة يكلفن أزواجهن بهذه التكاليف التي أحدثوها[9]. وتقدم الأسمطة التي تحوي أصنافاً من الحلوى والأطعمة

(1) ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**، ج1، ص284؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص590–591؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص319.

(2) غوانمة، يوسف، (1990م). **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**، ص36، ص43. وسيشار إليه فيما بعد، غوانمة، **الزلازل**.

(3) الخطيب، **دور**، ص69.

(4) ابن قاضي شهبة، **الكواكب**، ص228؛ البنداري، **سنا**، ص52.

(5) ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، (ت677هـ/1278م). **المنتقى من أخبار مصر**، (انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي)، (حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص159. وسيشار إليه فيما بعد، ابن ميسر، **المنتقى**.

(6) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص139.

(7) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص281.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص282.

(9) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، 286.

الفاخرة[1]، وتقوم النساء فيه بزيارة القبور[2]، وتعج الأسواق بالأطفال الذين يسيرون في الشوارع والطرقات حاملين الدفوف ويقبلون على منازل الأغنياء لينالوا بعض النقود[3].

ويبدو الاحتفال واضحاً من خلال دار الفطرة[4] وتخصصها لعمل ما يحمل إلى الناس في العيد من الكعك[5]، وكان هذا الاهتمام جلياً من حيث تخصص أشخاص لصنع الكعك والحلوى فيها[6].

وتنوعت مظاهر فرحة المصريين بالعيد في مدن مصر وريفها رغم أن لكل إقليم في مصر عادات يحتفلون بها إلا أنه ثمة قواسم مشتركة في الريف المصري والمدن، كحرص المصريين على التزاور وتناول الطعام وسط تجمعات عائلية.

عيد الأضحى

يعد عيد الأضحى من أعظم أعياد المسلمين ومواسمهم[7] حيث ارتبط بفريضة الحج، كما ارتبط بسنة مؤكدة تمثلت بالنحر[8]، ويرافق حلول هذا العيد استعدادات تتمثل في تجهيز ملابس العيد خاصة للأطفال[9]، وترتيب المنازل وتجهيز أنواع الحلوى حيث تكثر الزيارات في الأعياد،

---

(1) ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى البطائحي، (ت588هـ/1192م). **نصوص من أخبار مصر**، (تحقيق أيمن فؤاد السيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1983م، ص67. وسيشار إليه فيما بعد، ابن المأمون، **نصوص**؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص588، ص601؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص598؛ الخطيب، **دور**، ص70.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص280.

(3) الغزي، كامل البالي الحلبي، (1419هـ/1999م). **نهر الذهب في تاريخ حلب**. (ط2). (قدم له وصححه وعلق عليه شوقي شعث ومحمود فاخوري). حلب: دار القلم العربي، ج1، ص213–214. وسيشار إليه فيما بعد، الغزي، **نهر الذهب**؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص139.

(4) دار الفطرة: بنيت في العصر الفاطمي وخصصت لعمل ما يحمل إلى الناس من الكعك ومكانها بجوار الباب الأخضر بالمشهد الحسيني وكان العمل في دار الفطرة يبدأ في النصف الثاني من رجب ليلاً ونهاراً كان يصنع فيها ألوان مختلفة من الكعك. انظر: البقلي، **التعريف**، ص130–131.

(5) ابن المأمون، **نصوص**، ص26؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص602–603.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص602–603.

(7) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص276.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص276.

(9) ابن ظهيرة، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي، (ت891هـ/1486م). **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**، (تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس)، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1969م، ص199. وسيشار إليه فيما بعد، ابن ظهيرة، **الفضائل**؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص75؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص139.

ويكون تجمع الناس والتقاؤهم في صلاة العيد[1]، وتضاء المساجد بالمصابيح ذات الألوان المتعددة[2]، ويقومون بتزيين منازل الحجاج احتفاءً بقدومهم من بيت الله الحرام، وفي عيد الأضحى تعم الخيرات الرعية[3]، وتمد الأسمطة التي تحوي أفخر الأطعمة والحلوى[4]، كما تفرق الكسوة والأضاحي على الأمراء والجنود على مقادير رتبهم[5]، كما اعتاد الناس، وخاصة النساء منهم، زيارة القبور[6] اعتقاداً منهم بمشاركة الموتى، وذلك من باب البر والتفجع عليهم حيث افتقدوهم في هذا العيد.

ويبادر الناس بتوزيع اللحم في هذا العيد، وينتقد ابن الحاج ما يصنعه البعض بلجوئهم إلى ترك الأضحية وشراء اللحم وطبخه وعد هذا جهلاً وبدعة[7]، فقد ترك البعض هذه السنة بحجة أن لهم معارف كثر والأضحية الواحدة لا تعمهم[8].

واعتادت البنات اللائي أطلق عليهن بنات العيد الخروج والتجوال في الطريق والأسواق في كامل زينتهن بالدفوف والغناء[9] فيجمعن ما يجود به الناس عليهن.

وكان أهل دمشق يتمسحون بالحجاج عند صدورهم، ويتهافتون عليهم تبركاً بهم. فيخرج الناس لتلقيهم: الجم الغفير نساء ورجالاً، يصافحونهم ويتمسحون بهم، ويخرجون الدراهم لفقرائهم يتلقونهم بها، ويخرجون إليهم الأطعمة[10].

---

(1) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص180.

(2) لوبون، غوستاف، (1375هـ/1956م). **حضارة العرب**. (ط3). (نقله إلى العربية عادل زعيتر). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص421. وسيشار إليه فيما بعد، لوبون، **حضارة العرب**؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص75.

(3) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص333.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص589، ص601؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص599؛ الخطيب، **دور**، ص70.

(5) ابن المأمون، **نصوص**، ص24-25؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص261؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص599.

(6) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص280؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص75.

(7) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص277.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص278.

(9) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص280؛ فليفل، **مدينة دمشق**، ص196؛ الرواشدة، آمنة محمود سليمان، (1997م). **حيوات المرأة في الدولة المملوكية في مصر والشام (648-923هـ/1250-1517م) دراسة سياسية اجتماعية فكرية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص125. وسيشار إليه فيما بعد، الرواشدة، **حيوات المرأة**.

(10) ابن جبير، **رحلة**، ص259.

كما كان أهل دمشق في كل سنة يتوخون الوقوف يوم عرفة بجوامعهم إثر صلاة العصر، كاشفي رؤوسهم داعين ربهم التماساً لبركة الساعة التي يقف فيها وفد الله عز وجل وحجيج بيته الحرام بعرفات، فلا يزالون واقفين داعين متضرعين إلى الله عز وجل، وبحجاج بيته الحرام متوسلين، إلى أن تغيب الشمس ويقدروا نفرة الحاج فينفصلوا باكين على ما حرموه من ذلك الموقف العظيم بعرفات، وداعين الله عز وجل أن يوصلهم اليها ولا يخليهم من بركة القبول في فعلهم ذلك[1].

شهر رمضان

يتم الاحتفال بشهر رمضان المبارك من خلال رؤية الهلال[2]، ولهذا الشهر حرمة خاصة، ولاستقبال هذا الشهر وإحياء لياليه احتفالات مشهورة لا تزال آثارها واضحة في الشعب المصري حتى اليوم، وتختلف مراسم الاحتفال بشهر رمضان عنها في العيدين، ففي هذا الشهر الفضيل يحذر من بيع الخمر[3]، وتزين الأسواق والبيوت بالفوانيس[4]، وتمد الأسمطة التي تحوي ألواناً مختلفة من الأطعمة والحلوى[5]، ويجري توزيع السكر والحلوى في شهر رمضان[6] على الأمراء والجنود والعامة.

ومن الحلوى التي اختصت بشهر رمضان القطائف[7]، والطيافير[8]، واعتادت الأسر في شهر رمضان أن يتهادوا أطباق الطعام فيما بينهم.

---

(1) ابن جبير، **رحلة**، ص264، ص268.

(2) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص583.

(3) عوض الله، الأمين، (1399هـ/1979م). **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**. جدة: دار المجمع العلمي، ص31. وسيشار إليه فيما بعد، عوض الله، **الحياة الاجتماعية**.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص243.

(5) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص339؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص600-601؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص595.

(6) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص261.

(7) القطائف: وهي عجينة تُحشى باللوز أو الفستق أو الجوز، وتقلى أو تخبز، وتغمس في العسل وترفع. انظر: ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص382؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص113؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص595؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص33.

(8) الطيافير: هي حلوى تصنع في شهر رمضان خاصة وهي من الطفر، وهي وثبة في ارتفاع وسميت بذلك لأنها تنتفخ وترتفع فجأة. انظر: ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص343.

ومما يرافق هذا الشهر الكريم السحور، حيث يقوّي الإنسان على الصوم[1]، ويتولى إيقاظ الناس "المسحراتي"[2] مستخدماً الطبلة[3]، ومع انتهاء شهر رمضان يطرق الأبواب وكل شخص يعطيه على قدره من الدراهم مع إطعامه من حلاوة العيد[4]، وارتبطت هذه الشخصية بشهر رمضان حتى قيل في المثل: "سمُّوك مسَحِّر، قال فرغ رمضان"[5].

وفي هذا الشهر تكثر الخيرات من خلال الصدقات التي يتصدق بها السلاطين والأمراء والأثرياء على الفقراء[6]، وكانت الأسرة تحث الطفل على الصيام، حتى أن البعض لجأ في أول يوم يصومه الطفل بإعداد أنواعٍ من الحلوى يفطر عليها[7] تشجيعاً له على ذلك.

المولد النبوي

احتفل المسلمون في مصر بإحياء المولد النبوي وأصبح الاحتفال بهذه الذكرى عند عامة الناس سنة واجبة[8] وكان من عادة النساء أن يلبسن أحسن الثياب ويخرجن بكامل الزينة

---

(1) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص259.

(2) المسحراتي: وهو من يوقظ الناس لتناول السحور في شهر رمضان يدور على البيوت قبل الفجر وبيده طبلة يضرب عليها بجلدة ويتغنى بأقوال مختلفة فينبه أصحاب البيوت. انظر: القاسمي، جمال الدين والعظم، خليل، (1960م). **قاموس الصناعات الشامية**، ج2، ص439. وسيشار إليه فيما بعد، القاسمي، **قاموس الصناعات**.

(3) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص261؛ القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج2، ص439؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص139.

(4) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ص439.

(5) الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص132؛ أشقر، سعيد عبود، (1933م). **الطرفة الباهجة في الأمثال والحكم العربية الدارجة**. القدس، ص104. وسيشار إليه فيما بعد، أشقر، **الطرفة الباهجة**.

(6) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص99-100؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص139.

(7) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص196.

(8) السندوبي، حسن، (1367هـ/1948م). **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول**. القاهرة: مطبعة الاستقامة، ص65. وسيشار إليه فيما بعد، السندوبي، **تاريخ**

وترافقهن آلات الموسيقا والطرب[1] ووجدت نساء ينشدن في الموالد والمناسبات الدينية[2] ويرافق ذلك التهليل والتكبير. وجرت العادة أن يعمل في دار الفطرة أصناف من الحلوى وتفرق بهذه المناسبة[3].

يوم عاشوراء

يصادف يوم عاشوراء العاشر من شهر محرَّم[4]، وهو اليوم الذي استشهد فيه الحسين بن علي، وقد اعتاد الفاطميون اتخاذ هذا اليوم يوم حزن، ويبدو هذا واضحاً من خلال سماط الحزن[5]، والظاهر أن اسمه يوحي بأنه يختلف عن الأسمطة الأخرى؛ حيث لا يقدم فيه الحلوى والأطعمة الفاخرة، وإنما اقتصر فيه على تقديم زبادي من العدس الأسود والملوحات والمخللات والأجبان[6] والخبز المغبر بالقصد[7] دلالة على الحزن، ويفرش السماط بالحصر[8] كما تتجلى البساطة في كل ما يحيط بهذه المناسبة الحزينة، فتغلق الدكاكين وتعطّل الأسواق[9].

ومع العصر الأيوبي السني تغيرت طريقة الاحتفال بهذا اليوم إذ أصبح يوم فرح وسرور[10]؛ إذ يصنع فيه أفخر أنواع الحلوى والأطعمة، واستمر هذا الاحتفال بهذا اليوم متبعاً في العصور التالية، حيث يتم فيه التوسعة على الأهل والأقارب[11]، ومن العادات الدارجة يوم

الاحتفال؛ عاشور، الحياة الاجتماعية، ص99.

(1) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص137؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص125.

(2) العسلي، كامل جميل، (1989م). **وثائق مقدسية تاريخية**. عمان: الجامعة الأردنية، م3، ص53. وسيشار إليه فيما بعد، العسلي، **وثائق مقدسية**.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص576؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص28-29.

(4) عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص25.

(5) ابن المأمون، **نصوص**، ص15؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص27.

(6) ابن المأمون، **نصوص**، ص15؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص27.

(7) عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص27.

(8) أحمد، نريمان عبدالكريم، (1993م). **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص87. وسيشار إليه فيما بعد، أحمد، **المرأة في مصر**.

(9) ابن ميسر، **المنتقى**، ص164.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص26.

(11) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص283؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592.

عاشوراء اتخاذ الأواني الجديدة[1]، واستعمال النساء الحناء والبخور حماية لهـن مـن العـين والحسد[2].

الاحتفالات الحربية

كانت الاحتفالات في الدولة الأيوبية تأخذ مساراً آخر يختلف عن الدولة الفاطمية، وذلك من خلال مرافقتها للحروب الصليبية[3]، وما كان يجري إثر تحقيق انتصار ضدّ الفرنج، فتقـام البشائر في البلاد ويمد السماط فتنال طبقات الشعب منها[4]، فيكون هذا اليوم يوم فرح وسرور، وكان للحروب الصليبية أثرها في عدم المبالغة في الاحتفالات الأخرى نتيجة لانـشغال الدولـة بمواجهة الخطر، ومن هذه الاحتفالات ملك السلطان صـلاح الـدين مدينـة دمـشق[5] سـنة (570هـ/1174م) حيث التقاه أهل دمشق ولم يغلق في وجهه باب.

ولما هاجم الفرنجة دمياط سنة (616هـ/1219م)، وواجههم أسطول المـسلمين، أدرك الفرنجة بالهلاك فأرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح وتسليم دمياط، فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمة كبيرة وقدم سماطاً، واحتُفِلَ بتسليم دمياط للكامل[6].

أعياد أهل الذمة

كان لأهل الذمة أعياد خاصة بهم، يحتفلون بها ضمن ما تقتضيه شريعتهم، وكانت هذه الاحتفالات تتم على نطاق حاراتهم وأديرتهم وكنائسهم[7].

واختلفت طريقة احتفال كل طائفة من هذه الطوائف؛ وذلك تبعاً لوجود تقويم خاص بكل احتفال، ونظرتهم في قدسية العيد[1]، وإن تعددت هذه الأعياد فإنها تكشف جانبـاً مـن حيـاتهم الاجتماعية.

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص284.

(3) יהושע פראוור . חאגי בן- שמאי ، ספר ירושלים: התקופה הצלבנית؛ **ذاكرة القدس**، ص135.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص215؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص142.

(5) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص65–66؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص67.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص210–215.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص184؛ نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص680.

أعياد اليهود

صنفت أعياد اليهود في توراتهم إلى أعياد شرعية وأخرى محدثة، فالأعياد الشرعية هي:

عيد رأس السنة

ويسمى عندهم عيد رأس هاشنا أي رأس الشهر ويأتي هذا العيد في أول يوم من تشري (من شهور السنة العبرية)[2] وهو بمنزلة عيد الأضحى عند المسلمين، وسبب تعظيمهم لهذا اليوم أن إبراهيم عليه السلام افتدى ولده إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم[3]، أما النويري والمقريزي فيذكران أن الذي فدي هو إسحاق عليه السلام[4]، ويحتفلون به بنفخ الأبواق أثناء الصلاة في معابدهم[5]، ويمتاز بالهتاف وهو بمنزلة دعوة يستعد اليهود بها للحضور أمام الرب.

عيد صوماريا

ويسمونه عيد الكِبّور، وهو يمثل الصوم العظيم عندهم[6] ففيه فرض الله عليهم الصوم، ومدة صومهم خمس وعشرون ساعة تبدأ قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من تشري، وتختم بمضي ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر، ولجواز الإفطار عندهم يشترط رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار، ولا يجوز الصوم عندهم في يوم الأحد والثلاثاء والجمعة، ويزعمون أن الله يغفر لهم جميع ذنوبهم سوى الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل

---

(1) نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص680.

(2) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص463؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص463.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص184؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962.

(5) نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص682.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص184؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص463؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962؛ نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص682.

أخـــاه، وجحـــده ربوبيـــة الله تعـــالى[1]، وقـــد تـــشدد الـــسامرة فـــي صـــيام ذلـــك اليـــوم حتى لم يستثنوا منه الأطفال الرضع، وعرف هذا العيد بالعاشور[2].

عيد المظلة

ويرد فـــي ســـفر اللاويـــين باســـم عيـــد المظـــال[3] وعـــرف بالعبريـــة "ســـكوت" وهـــو ســـبعة أيـــام، ويـــستظلون فيهـــا تحـــت ظـــلال مـــن جريـــد النخـــل وأغـــصان الزيتـــون[4] والـــشجر الـــذي لا يـــسقط ورقـــه، ويقدســـون هـــذا العيـــد تـــذكاراً مـــنهم لإظلال الله إيـــاهم فـــي التيـــه بالغمـــام[5]، ويقربـــون فيـــه وقـــوداً للـــرب، وعـــرف هـــذا العيد بالفرح الشديد وكثرة الذبائح والعطايا[6].

عيد الفطير

ويسمونه عيد الفصح، ويكون في الخامس عـــشر مـــن نيـــسان (مـــن شـــهور الـــسنة العبرية) وهو سبعة أيام[7]، وقد تسمى هذا العيد بـــذلك لأنهـــم يـــأكلون فيـــه الفطيـــر، ويـــرد في سفر الخروج "سبعة أيام تأكلون فطيراً اليوم الأول تعزلـــون الخميـــر مـــن بيـــوتكم فـــإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطـــع تلـــك الـــنفس مـــن إســـرائيل"[8]، وهذه الأيام عندهم هي التي خلـــص الله بهـــا بنـــي إســـرائيل مـــن يـــد فرعـــون، وأغرقـــه فخرجوا إلى التيه حتى أكلوا اللحم والخبز الفطير[9].

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص184؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464.

(2) نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص682.

(3) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، السفر الثالث: (سفر اللاويين)، الأصحاح 23، عدد 34.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962.

(5) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464؛ نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص682.

(6) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، السفر الثالث: (سفر اللاويين)، الأصحاح 23، عدد36.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص184؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص961.

(8) **الكتاب المقدس، العهد القديم**، السفر الثاني: (سفر الخروج)، الأصحاح 12، عدد 15.

(9) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص961.

عيد الأسابيع

ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب[1] أو عيد الاجتماع، وموعده بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع[2]، وسبب اتخاذهم هذا العيد أنه اليوم الذي كلم الله تعالى فيه بني إسرائيل من طور سيناء[3] ولهذا العيد طقوسه، فيتناولون فيه القطائف بدلاً من المن[4] الذي أنزله الله عليهم في هذا اليوم[5].

أما الأعياد المحدثة عند اليهود فهي

عيد الفوز

ويسمى بالعبرية عيد الفوريم، ويصف القلقشندي هذا العيد بأنه عيد لهو وخلاعة يهدي فيه بعضهم إلى بعض[6]، وموعده في الثالث عشر من آذار (من شهور السنة العبرية)[7]، وسبب تعظيمهم لهذا اليوم إنقاذ الرب لهم من مؤامرة هامان، ونجاتهم من مؤامرة كانت تدبر لهم في العراق.

عيد الحنكة

وهو ثمانية أيام، وفيها يوقدون على كل باب من أبوابهم سراجاً، في كل يوم سراج، ومعنى الحنكة أي التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقذار شيعة الجبار[8].

---

(1) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص464.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص465؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص185؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص465؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص962؛ سيناء: اسم موضع وهو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م3، ص 300.

(4) المن: طلٌ ينزل من السماء على شجر أو حجر ينعقد ويجف وهو حلو يؤكل. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م13، ص418.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص185؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص465.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص465.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص185؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص188.

(8) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص186؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص466؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد**

أعياد النصارى

صنفت الأعياد عند النصارى في مصر إلى سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً وسبعة يسمونها صغاراً:

الأعياد الكبار

عيد البشارة

وهو بشارة جبريل لمريم عليهما السلام، بميلاد المسيح عليه السلام، وهم يسمون جبريل عليه السلام غبريال وتوقيته في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات من شهور القبط[1] (يعادل شهر آذار)[2].

عيد الزيتونة

يسمى بعيد الشعانين ومعناه بالعربية التسبيح[3]، ويأتي يوم الأحد لسبعة أيام من صومهم، وكانوا يخرجون فيه من الكنائس يحملون سعف النخيل، وهو يوم ركوب السيد المسيح لحماره المدعو يعفور في القدس ودخوله جبل صهيون[4].

عيد الفصح

وهو يمثل العيد الكبير ويعملونه يوم الفطر من صومهم الأكبر، ويزعمون أن المسيح قام فيه بعد صلبه بثلاثة أيام وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء[5]، ويأتي هذا العيد عندهم بعد

الشام، ص189.

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص180؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص715.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 2، ص 159.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص180؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص715.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص180–181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص715؛ جبل صهيون: وهو موضع معروف بالبيت المقدس أو محلة فيها كنيسة صهيون. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م3، ص436.

(5) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454.

عيد الصلبوت بثلاثة أيـــام[1]، ويحتفـــل الأقبـــاط بمـــا يـــسمى عنـــدهم بعيـــد شـــم النـــسيم ويأكلون السمك المملح.

عيد خميس الأربعين

ويسمى هذا العيد عند أهل الشام بالسلاق[2] ويقال له أيضاً عيد الصعود[3] وموعده فـــي اليوم الثاني والأربعين من الفطر[4]، ومناسبة هذا العيد أن المسيح عليه السلام قد تسلق فيه مـــن بين تلاميذه إلى السماء[5] بعد أربعين يوماً من القيام[6].

عيد الخميس

ويسمى عيد العنصرة، وموعده بعد خمسين يوماً من القيام[7]، ويقولون إن روح القدس قد حلت في التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس حتى تكلموا بجميع الألسنة وبدؤوا يدعون إلـــى الدين المسيحي[8].

عيد الميلاد

وهو اليوم الذي يزعمون فيه أن المسيح ولد في بيت لحم[9]، ويقام في التاسع والعشرين من كيهك (يعادل شهر كانون الأول)[10] من شهور القبط وهم يقولون إنه ولد يـــوم الاثنـــين[11]

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص454–455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(5) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص716؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(8) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455 ؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص717؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(9) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455 ؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص717؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(10) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 2، ص 159.

(11) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1،

وجرت العادة عندهم في هذا العيد أن يوقدوا المصابيح بالكنائس[1] وأن يتخذوا الفوانيس في الحوانيت[2]، وأن يصنعوا أشكالاً من الأطعمة والأشربة، كالمثارد التي فيها السميذ وقرابات الجلاب والزلابية والسمك البوري[3].

عيد الغطاس

ومناسبة هذا العيد تعميد المسيح عليه السلام على يد يوحنا المعمدان في مياه نهر الأردن[4] ويتم الاحتفال في الحادي عشر من طوبة[5] **(يعادل شهر كانون الثاني)**[6] وفي هذا اليوم يغطس النصارى فيه أولادهم بالماء على الرغم من شدة البرد[7] زاعمين في ذلك الأمان من المرض[8]، وقد درج المصريون على القول في مثلهم "غطستم صيفتم ونورزتم شتيتم"[9]، ويعدون أصنافاً كثيرة من المآكل والمشارب احتفالاً بهذا اليوم[10].

ص717؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص717؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص180.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص717؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص717.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص718؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص181.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص718؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص181.

(6) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 2، ص 159.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص718؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص181.

(8) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1، ص352.

(9) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455.

(10) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1، ص352؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص718.

أما الأعياد الصغار فهي

عيد الختان

وفيه يزعمون أن المسيح عليه السلام قد ختن في هذا اليوم[1] ويقام في سادس شهر بؤنة من شهور القبط[2] الذي يصادف الحادي والثلاثين من أيار[3]، وقد كان الأقباط دون غيرهم يختتون أولادهم في ذلك اليوم[4].

عيد الأربعين

وهو الاحتفال بذكرى مباركة سمعان الكاهن للسيد المسيح في الهيكل بعد أربعين يوماً من مولده[5] وموعده في الثامن من شهر أمشير من شهور القبط ويصادف الثاني من شباط[6].

خميس العهد (خميس العدس في مصر)

ويسمى هذا العيد في مصر "خميس العدس"[7]؛ حيث إن النصارى يطبخون فيه العدس المصفى[8] والبيض وأنواع السمك[1]، وفي الشام يسمى خميس الأرز[2]، ومناسبة هذا العيد وهو

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص719؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص181؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص719؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(3) حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص181.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص719؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص455؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص719؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص182.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص95–96؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121.

(8) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720.

وهو الخميس الذي يسبق عيد الفصح، وفيه يغسل البطاركة أرجل النصارى ليعتادوا على التواضع وكسر جبروت النفس زاعمين أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه[3]، وفي هذا العيد يشارك المسلمون النصارى؛ حيث إن النصارى يقومون بإهداء المسلمين السمك والبيض الملون[4].

سبت النور

وكان يحل قبل عيد الفصح بيوم، ويقولون إن النور يظهر على قبر المسيح، فتوقد منه كل مصابيح كنيسة القيامة[5].

ومن طقوسهم في هذا العيد قيام النصارى بجمع أوراق الشجر من الريحان وغيره ويبيتونه في إناء مملوء بالماء ويغتسلون به في اليوم التالي ظناً منهم أن هذا يقيهم شر السحر والعين والمرض[6].

كما كانوا يكتحلون بالكحل الأسود معتقدين أنه يزيد من قوة أبصارهم وأن شرب الدواء في هذا اليوم يؤدي لفائدة تفوق أي يوم آخر[7].

عيد حد الحدود

ويأتي بعد عيد الفصح بثمانية أيام، ويعمل في أول أحد بعد الفطر كون أيام الآحاد قبله مشغولة بالصوم[1]، ويقومون في هذا العيد بتجديد الأثاث والآلات واللباس، فيستعدون فيه للأمور الدنيوية[2].

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص95-96.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص719؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص121-122.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(6) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص58؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص183.

(7) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص59؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص183.

عيد التجلي

ويقيمونه في الثالث عشر من مسرى من شهور القبط[3] ويصادف في السابع من آب[4] حيث يقول النصارى إن المسيح قد تجلى فيه لتلاميذه بعد أن رفع إلى السماء، فتمنوا عليه أن يحضر لهم من أنبياء بني إسرائيل إيليا وموسى فأحضرهما بمصلى بيت المقدس ثم صعد إلى السماء[5].

عيد الصليب

ويقام هذا العيد في السابع عشر من توت من شهور القبط[6] الذي يصادف السابع من أيلول[7]، وهو ذكرى عثور هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين على خشبة الصليب[8] فاتخذ النصارى هذا اليوم عيداً لهم احتفالاً بظهور الصليب، وفي سنة (402هـ/1111م) منع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ذلك الاحتفال، وبقي هذا المنع جارياً حتى أن المقريزي ذكر "لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة"[9].

عيد النيروز

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص182؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص456-457؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص183.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص183؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص457؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(4) حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص184.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص183؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص457؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص720؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص184.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص183؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص457؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص721؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(7) حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص184.

(8) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص183؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص457؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص721؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص122.

(9) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص724.

ويعد هذا العيد من الأعياد غير الشرعية عند النصارى وهذه اللفظة فارسية معربـــة[1] وتعني اليوم الجديد[2]، مع أن البعض يجعلون مناسبة عيد النيروز مرتبطة بالنيل، وأنه الـــسبب الأعظم في عمارة أرض مصر[3].

ويمثل هذا العيد رأس السنة القبطية[4] والنيروز عند الأقباط يقع في أول يوم من تـــوت (يعادل شهر أيلول) وهو بداية السنة القبطية[5]، وكثرت الاحتفالات في هـــذا اليـــوم، وإظهـــار السرور والفرح، فكانت الأسواق تغلق في ذلك اليوم[6]، ويتراش العامة بالماء، ويشير المقريزي إلى أنه في سنة (592هـ/1195م) "واستجد التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به"[7]، ويفعل ذلك الأعيان في منازلهم وبساتينهم[8]، كما يقومون بإيقـــاد النـــار[9]، وإعـــداد أصـــناف عديـــدة مـــن المآكـــل والمشارب[10].

ويذكر القلقشندي أن لهم أعيادا ومواسم عدة وهي مرتبة حسب شهور القبط وقد أحصاها مئةً وثمانية وسبعين عيداً وموسماً[11] ولكن يتصدرها شهرة عيد النيروز.

الـــــزواج

يعد الزواج من أهم المظاهر الاجتماعيـــة فـــي المجتمـــع المـــصري، فهـــو أســـاس

---

(1) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص458.

(2) قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص162؛ نداء، طه، (1963م). الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي. **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، 17، 1-44، ص2. وسيشار إليه فيما بعد، نداء، الأعياد الفارسية.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص727؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص162.

(4) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص458؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص724.

(5) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص176؛ نداء، الأعياد الفارسية، ص42.

(6) قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص162.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص729؛ نداء، الأعياد الفارسية، ص19.

(8) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص53.

(9) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص176؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص458.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص729؛ حجازي، **أهل الذمة في بلاد الشام**، ص185.

(11) القلقشندي، **صبح**، ج2، ص458-463؛ قاسم، **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى**، ص123.

تكوين الأسرة والمحافظة على استمراريتها[1] وحمايتها من الرذائل والفواحش، ويمر الزواج بمراحل عدة تحكمها العادات والتقاليد المتعارف عليها في المجتمع المصري، ولا شك بأن تقاليد الزواج اختلفت باختلاف البيئة والوضع الاقتصادي والاجتماعي في ذلك العصر.

---

(1) ابن دانيال، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال**، (ت710هـ/1407م). (دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1961م، ص161. وسيشار إليه فيما بعد، ابن دانيال، **خيال الظل**.

الخطبة

وهي أول مراحل الزواج، وقد تباينت الخطبة عند الطبقة الخاصة عنها عند الطبقة العامة. فكانت الفتاة في الأسرة الحاكمة ليست بحاجة لأن توصف للرجل ليقوم بخطبتها[1]، إذ إن اختيارها يكون بناء على حسبها ونسبها، فيقوم والد الشاب بخطبة الفتاة من وليها أو إرسال من ينوب عنه، ثم يقرر وليها بالقبول أو الرفض. ففي سنة (590هـ/1193م) أرسل الملك العزيز كبراء دولته طالباً مصاهرة عمه العادل الكبير فزوجه ابنته الخاتون[2]. وفي سنة (626هـ/1228م) أرسل الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي صلاح الدين صاحب حلب القاضي بهاء الدين بن شداد لخطبة ابنة الملك الكامل[3]، وتمت خطبة الملك العزيز على الخاتون ابنة الملك الكامل.

أما الخطبة عند الطبقة العامة فكانت النساء التي تقوم بهذا الدور، وكان طالب الزواج يقوم بإرسال النساء ليقمن بنقد الفتاة والتحري في صفاتها[4]، وقد وجد في المجتمع المصري كنظيره من المجتمعات الأخرى "الخاطبة"، وهي تتردد على البيوت كوسيط لاختيار العروس[5]، ويبدو أن الخاطبة هي ذاتها الدلالة وإن كانت الدلالة تقوم بدور أكبر فهي تتردد على البيوت لبيع الأقمشة والعطور وما يلزم النساء[1]، مما يتيح لها رؤية الفتيات ومعرفة صفاتهن ودخول البيوت والتعرف على أحوال النساء فيها، وتسهل الخاطبة مهمة الخطبة بما تبديه للطرفين من إعجاب ومبالغة في ذكر محاسن كلا الطرفين، وقد يكون هذا الأمر من باب التوفيق بينهما، فيذكر أسامة بن منقذ دور الخاطبة في وصف الفتيات، فقد وصفت لعمه عز الدين أبي العساكر فتاة أنها في غاية الجمال وزينة العقل، فلما دخل عليها رأى غير ما وصفت، فإذا هي خرساء، فوفاها

---

(1) القضاة، **المرأة في مصر**، ص32.

(2) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص111.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص356.

(4) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص71؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص121؛ فليفل، **مدينة دمشق**، ص198؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص32.

(5) أحمد، **المرأة في مصر**، ص121؛ فليفل: **مدينة دمشق**، ص198؛ الزعبي، فايزة أحمد محمود، (2003م). **مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام (من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك) "دراسة تاريخية"**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص47 وسيشار إليه فيما بعد، الزعبي، **مراسيم الزواج**؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص32.

مهرها، ويسوغ ابن منقذ هذا بأنهم بذلوا لها مـالاً أو أروهـا غيرهـا[2]، وكانـت الخاطبـة تحصل على مبلغ من المال من كلا الطرفين، فضلاً عن الهـدايا التـي تنالهـا مـنهم، وفـي كثير من الأحيان تجد النساء مناسبات الأفراح فرصة لانتقـاء الفتيـات وخطبـتهن، ولجـأت بعض النساء إلى الذهاب إلى الحمامات لاختيـار العـروس؛ حيـث تكـون الفتيـات هنـاك بكثرة وتكون فرصة الانتقاء كبيرة فتتمكن من رؤيـة جـسمها وملامحهـا ونقـدها والنظـر في محاسنها وعيوبها لتصفها للشاب، ويصف ابن دانيـال فـي حكاياتـه الخاطبـة أم رشـيد ودورها حيث ذكر: "فاطلـب لـي أم رشـيد الخاطبـة، وإن كانـت كـالتي تخـرج بالليـل حاطبة، لأنها تعرف كل حرة وعاهرة وكل مليحة بمصر والقـاهرة، ولأنهـن يخـرجن مـن الحمامات متنكرات في ملاحف الخدامات، وتعيرهن الثياب والحلى بلا أجرة"[3].

معايير ومقاييس الجمال

وفي العادة تضع النساء شـروطاً ومواصـفات للعـروس المـراد اختيارهـا، ولعـل اختيار العروس ومواصفاتها في ذلك العصر لـه خطـوط عامـة، فكـانوا يفـضلون الفتـاة الصغيرة السن، ولعل هذا ما نجـده مـن خـلال الأمثـال العامـة التـي درج المـصريون وغيرهم على تداولها، حيث المثل يقول: "يا آخذ الصغار مـا مغالـب التجـار" فعُـدَّ الـزواج من الصغيرة مكسباً، ومثل آخر يقولـون فيـه: "ومـا حـسن يـد هنـد فـي الـسوار بعـد السبعين"[4]، حيث يوضح المثل أنه لا حاجة للفتـاة بالـسوار إذا كبـرت فـي الـسن، وهـو يشبه مثل آخر يقول: "وما تصنع دعد بالشنوف[5] إذا صرّ الـنعش[6]"، ويـشير هـذا المثـل إلى أن المرأة الكبيرة ليست بحاجة إلى القرط الـذي يـزين أذنيهـا، إذ إن القـرط والـسوار تعد حاجة من حاجات تجهيز العروس، ويبـدو أن انتقـاء الفتـاة الـصغيرة يعـود لأسـباب عدة منها النظرة الاجتماعية التي سادت المجتمع في ذلك الوقـت، والقـدرة علـى الإنجـاب

---

(1) أحمد، **المرأة في مصر**، ص79؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص33.

(2) انظر: ابن منقذ، **الاعتبار**، ص71.

(3) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص161.

(4) الوهراني، **منامات**، ص82.

(5) الشنوف، الأقراط. انظر: العسكري، أبو هلال، (ت بعد 395هـ/1004م). **التلخيص في معرفة أسـماء الأشياء**، (عني بتحقيقه عزة حسن)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1389هـ/1969م، ج1، ص353. وسيشار إليه فيما بعد، العسكري، **التلخيص**؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص348.

(6) الوهراني، **منامات**، ص82-83.

بسبب الحاجة إلى عدد أكبر من الأولاد، حيث تكون القدرة على الإنجاب أكبر عند الفتاة الصغيرة في السن، وهذا هو الغالب.

وكانت مقاييس الجمال في ذلك العصر هي اختيار الفتاة التي تميل إلى البدانة والتي تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة[1]، ويفضلون الوجه المستدير، ويظهر وصف الوجوه من خلال الشعر، فقد وصفت الوجوه بالبدر ومنه قول الصفدي[2]:

يقابل بدر التم منه بطلعة	هي البدر لكن حسنها منه أشهر
وفي خده ورد وفي الروض مثله	ولكن ما تحت النواظر أنضر

ويفضلون العيون التي تشبه الحلقات وإن كانت أحيانا على شكل لوزي[3]. ويفضلون كحلاء العينين والتي شعرها أسود[4].

وكان الذوق العام لرجال ذلك العصر "الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في الأنف والحلاوة في العينين، والملاحة في الفم والرشاقة في القد، وكمال الحسن في الشعر[5]؛ وكانوا يستحسنون في الوجه حمرة الوجنتين ويشبه لونهما بالورد ويستحسن في العين الحور

(1) ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، ط1، (تحقيق عكاشة عبد المنان)، دار اليوسف، بيروت، مكتبة الإمام علي للنشر، الزرقاء، 2001م، ص187. وسيشار إليه فيما بعد، ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص11؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص174. ومما قيل في ذلك:

وحبذا العيش مع هيفاء لو ظهرت	للبدر والغصن لم يشرق ولم يمس

انظر: ابن نباتة، جمال الدين أبو بكر المصري الفارقي،(ت 768هـ). **ديوان ابن نباتة**، المطبعة اللبنانية، بيروت، 1304هـ، ص10. وسيشار إليه فيما بعد، ابن نباتة، **الديوان**.

(2) انظر: ابن أيبك الصفدي، أبو الصفاء خليل، (ت764هـ/1364م). **الروض الباسم والعرف الناسم**، ط1، (تحقيق محمد عبد المجيد لاشين)، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1425هـ/2005م، ص115. وسيشار إليه فيما بعد، ابن أيبك الصفدي، **الروض الباسم**.

(3) أحمد، **المرأة في مصر**، ص174.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج2، ص35؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج3، ص198.

(5) انظر: ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، ص185. ص188؛ التيجاني، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت بعد 711هـ/1311م). **تحفة العروس وبهجة النفوس**، جامعة برنستون، رقم 2058 مجموعة جاريت. مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 232 (صورة بالميكروفيلم)، ورقة 37. وسيشار إليه فيما بعد، التيجاني، **تحفة العروس**.

وهو خلوص بياض العين ويستحسنون طول الشعر[1].

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، ص188؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص8-12.

وقد اعتنت الفتيات بأنفسهن لينلن إعجاب النساء، وأخذن يهتممن بمقاييس الجمال المطلوبة في ذلك العصر؛ إذ كانت السمنة مطلوبة؛ فلجأن إلى أكل لقيمات الخبز وفتاته ويبتلعنه مع الماء[1] وإن كن من النحيفات يواظبن على تناول العشاء[2] ليصبحن أكثر امتلاءً، وكان من الغرابة تركهن الصوم في شهر رمضان بغير عذر شرعي خوفاً من تغير أجسامهن عن الحسن والسمن[3] وشاع تردد النسوة على العطارين والعشابين، ويذكر ابن البيطار[4] وهو إمام العشابين في ذلك العصر بعض وصفات التسمين كتناول الزبد والسمسم المغلي مع العسل[5]، إضافة لتناول القلقاس (وهو صنف من اللوف، له ورق يشبه التراس، والورقة الواحدة طولها أربعة أشبار وعرضها ثلاثة أشبار وخضرتها مائلة للسواد، وهو شبيه بلب البطاطا، ويؤكل بعد طبخه أو نقعه بالماء)[6] الذي يسمن[7].

واستخدمت أعشاب كالزعتر والمستكى لتحسين اللون، فيذكر ابن البيطار أنه إذا طليت البشرة بمسحوق المستكى ودهنها حسن لون البشرة[8]، مما يعني أن النساء كن يلجأن إلى العشابين للاهتمام بزينتهن.

وبعد موافقة النساء على الفتاة يتقدم الرجال لأخذ الموافقة من وليها، فإن وافق وليها توافق الفتاة على هذا الاختيار[9]، ويذكر القلقشندي بعض نصوص الخطب التي تذكر أوصاف

---

(1) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص65.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص66.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص62؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص169.

(4) ابن البيطار: هو أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار (575هـ-646هـ/1189م-1248م) ولد في مالقة ووصل مصر في أيام الملك الكامل الأيوبي، وعين رئيساً على سائر العشابين، عرف بإمام العشابين وشيخ علماء النبات. انظر: ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، (ت646هـ/1248م). **تحفة ابن البيطار في العلاج بالأعشاب والنباتات**، (تحقيق أبي مصعب البدري)، دار الفضيلة، القاهرة، ص127. وسيشار إليه فيما بعد، ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**.

(5) المصدر نفسه، ص127.

(6) انظر: أبو الخير الإشبيلي (القرن 6هـ/12م)، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، ط1، (تحقيق محمد العربي الخطابي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ج2، ص508. وسيشار إليه فيما بعد، أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص864.

(7) ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص127.

(8) ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص128.

(9) القضاة، **المرأة في مصر**، ص34.

الخاطب ومناقبه والتي تسهل عملية الموافقة[1]، ومن هذه الخطب ما يذكر القلقشندي: "ومفاوضاً في الحال والسبب، مرتاد من يقنع بالموافقة ويرتضي بالعشرة والمرافقة حتى أفضى في الانتقاد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط، وألقى المقصود على اشتطاط، فدعاه ذلك إلى التهجم بعد الإحجام، وحمله على التجاسر والإقدام، والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار إلى الأخيار، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والانبساط في خطبة كريمته فلانة على أن يعاشرها بغاية الأنس ويصحبها صحبة الجسد للنفس"[2]؛ ولا يمكن إغفال دور والدة الفتاة في إقناع زوجها بمواصفات الشاب وترتيب أمور الزواج إن وافقت على ذلك، وفي استبعاد هذا الأمر إن رأته غير مناسب[3].

عقد القران

عد عقد القران مرحلة تالية للخطبة، ويبرز عقد القران أسماء الزوجين، وقيمة الصداق المؤجل والمعجل[4]، وأسماء الشهود على هذا العقد[5]، كما يتضمن شروطاً معينة تتعلق إما بالزوجة أو الزوج وفي الغالب تكون هذه الشروط عامة؛ كأن يتقي الزوج الله في زوجته[6] ويحسن صحبتها بالمعروف، كما يتضمن العقد أن تكون العروس بالغاً[7].

---

(1) القلقشندي، **صبح**، ج9، ص163-164.

(2) انظر: القلقشندي، **صبح**، ج9، ص163-164.

(3) الزربا، فريال بدوي، (1980م). **الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص319. وسيشار إليه فيما بعد، الزربا، **الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**؛ فليفل، **مدينة دمشق**، ص198؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص34.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص 75؛ Goitein, S.D., (1978). **A Mediterranean Society**. Berkeley, Los Angeles and London: University of California Press, vol.3, p.120. وسيشار إليه فيما بعد، Goitein, **A Mediterranean Society**؛ النبراوي، رأفت محمد، (1407هـ/1987م). درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية. **مجلة العصور**، 2 (1)، 95-98، ص97. وسيشار إليه فيما بعد، النبراوي، درهم أيوبي.

(5) جروهمان، أدولف، (1994م). **أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية**. (ط2). (اشترك في نقل الكتاب إلى العربية حسن إبراهيم حسن). (راجع الترجمة عبد الحميد حسن). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ج1، وثيقة (45)، ص101. وسيشار إليه فيما بعد، جروهمان، **أوراق البردي**.

(6) الحلوة، حسن علي حسن، (1963م). ملاحظات في تحقيق النص علىعقد زواج من القرن الخامس الهجري. **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، 25 (2)، 39-54، ص53-54. وسيشار إليه فيما بعد، الحلوة، ملاحظات في تحقيق النص على عقد زواج من القرن الخامس الهجري.

(7) Goitein, **A Mediterranean Society**, vol.3, p.120؛ جروهمان، **أوراق البردي**، ج1، وثيقة (42) ، ص93، ج2، وثيقة (139)، ص204.

ويجب أن تكون صيغة العقد واضحة لا لبس فيها، ويتم عقد القران في القصر عند الطبقة الحاكمة في القصر أو في القلعة[1]. أما العامة فيتم العقد في المسجد[2] أو في منزل والد العروس.

وكان يتولى عقد القران عند السلاطين والأمراء أشهر القضاة في ذلك العصر[3]، وكان القضاة يعنون بعقود الزواج التي تتصل بعلية القوم، من خلال تنميقها وتحليتها بأنواع البيان[4]، ويحضر عقد القران أكابر العلماء[5]، ولتكتمل مظاهر الفخامة والأبهة جرت العادة عندهم أن يكتب العقد على ثوب أطلس أبيض[6]، فقد كتب عقد زواج ابنة العادل الكبير على ابن عمها العزيز في ثوب أطلس[7]، وقد يكتبونه على ثوب من الحرير يبلغ عدة أذرع، ولعل هذا من مظاهر الإسراف والتبذير[8]، وكان يرافق عقد الزواج عند علية القوم نثر الذهب والفضة والدراهم[9]. أما عند العامة فيكتب عقد الزواج على ورق أبيض[10]، وتظهر البساطة في عقود

---

(1) ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت660هـ/1261م). **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ط1، (حققه وقدم له سهيل زكار)، دار الكتاب العربي، دمشق، 1418هـ/1997م، ج2، ص686. وسيشار إليه فيما بعد، ابن العديم، **زبدة الحلب**؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص330؛ النبراوي، درهم أيوبي، ص97.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص270؛ الرواشدة ، **حيوات المرأة** ، ص91.

(3) فقد تولى عقد قران غازية خاتون على السلطان غياث الدين كيخسرو سنة (636هـ/1232م) القاضي ابن العديم. انظر: الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص331؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص386؛ النبراوي، درهم أيوبي، ص97؛ وتولى ابن شداد عقد قران ابنة الملك الكامل فاطمة على الملك العزيز سنة (616هـ/1219م) . انظر: المقريزي، **السلوك**، ج1، ص356.

(4) العسلي، **وثائق مقدسية**، م3، ص54.

(5) ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**، ج1، ص121.

(6) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص72.

(7) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص232.

(8) علوان الحموي، علي بن عطية بن الحسن بن محمد الهيتي، (ت936هـ/1529م). **نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء والأخيار**، ط1، (تحقيق أحمد فريد المزيدي)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م، ص346. وسيشار إليه فيما بعد، علوان الحموي **نسمات الأسحار**؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص91.

(9) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج2، ص686؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص331؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (601 – 610هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م، ص38. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (601 – 610هـ)** ؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص295؛ النبراوي، درهم أيوبي، ص97.

(10) يصف جروهمان هذا الورق أنه ورق أبيض غير نظيف. انظر: جروهمان، **أوراق البردي**، ج2، وثيقة

الزواج عندهم من خلال قيمة المهر أو الصداق[1].

الصـــداق

تختلف قيمة الصداق التي ينص عليها عقد الزواج فعند العامة يدفع العريس جزءاً مـــن المهر (المقدم) ويسدد الباقي على أقساط[2]، وكان يحدد في عقد الزواج السنوات التي يدفع فيها الزوج المؤخر[3]، أما قيمة الصداق عند علية القوم فقد تفاوتت عند الطبقة ذاتها، فمنهم من بلغت قيمة الصداق عنده ألف دينار[4]، ومنهم من بالغ في قيمة الصداق، فكان صداق الخاتون فاطمـــة ابنة الملك الكامل عندما تزوجها الملك العزيز خمسين ألف دينار[5]، وكان صداق غازية خاتون عندما عقد قرانها على السلطان غياث الدين كيخسرو مئة ألف درهم[6]، وكان صداق بنت العادل الكبير ضيفة خاتون[7] عندما تزوجها صاحب حلب خمسين ألف دينار[8]، وقدم لها جواهر بقيمة ثلاثمئة ألف دينار.

---

(139)، ص203، وثيقة (140)، ص207، وثيقة (140)، ص211.

(1) الصداق، ويقال الصدقة والصُّدقة وهو مهر المرأة. انظر: ابن منظور، **لسان العـــرب**، م10، ص197. وهناك مصطلحات تعني الصداق منها: النحلة وهو مهر المرأة وهي الهبة والعطية من غير اســتحقاق. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م11، ص650، ويسمى المهر كذلك العــوض. انظــر: المقريـــزي، **السلوك**، ج3، ص108، والعقر وهو مهر المرأة وهو ثواب تثابه المرأة من نكاحها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص595، والحباء وهو مهر المرأة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م14، ص163، والفريضة وهي العطية بغير قرض. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م7، ص203، وأجر المرأة وهو مهرها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4 ، ص10، والعلائق ومفردها علاقة وهي المهر. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م10، ص262، والفيد وهو إعطاء المال للغير. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م3، ص341.

(2) جروهمان، **أوراق البردي**، ج2، وثيقة (139)، ص205؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص131.

(3) جروهمان، **أوراق البردي**، ج2، وثيقة (139)، ص205؛ الزعبي، **مراسيم الزواج** ، ص52.

(4) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص102.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص356.

(6) الدواداري، **كنز الدرر** ، ج 7، ص 331.

(7) ضيفة خاتون: ولدت في سنة (581هـ/1158م) بقلعة حلب حينما كان أبوها ملكاً على حلب وكان عنـــد أبيها ضيف فسماها ضيفة، ولما كبرت تزوجت الملك الظاهر غازي. انظر: ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص212.

(8) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (601ـ 610هـ)**، ص38؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص204.

وتقدم أوراق البردي معلومات عن قيمة الصداق عند العامة ومقدارها دينار واحـــد[1]، وقد يكون دينارين[2]، ويصل أحياناً إلى أربعة دنانير[3]، وإن كان الزوج مقتدراً دفع صداقاً بقيمة أكبر قد تصل عشرين ديناراً[4]، وأحياناً ثمانين ديناراً[5].

جهاز العروس

شاعت في المصادر التاريخيـــة والأدبيـــة لفظـــة "الـــشوار"[6] للدلالـــة علـــى جهـــاز العروس، فبعد عقد القـــران تباشـــر العـــروس بتجهيـــز الأثـــاث والملابـــس وغيرهـــا مـــن الحوائج في حين يقـــوم الـــزوج بتهيئـــة المـــسكن[7] ومـــا يتبعـــه مـــن ضـــروريات، وقـــد تخصصت قيسارية الفاضـــل لبيـــع جهـــاز النـــساء وشـــوارهن[8]، واختلـــف نـــوع الجهـــاز وقيمته في هذا العصر فكان جهاز العروس عند علية القـــوم مبالغـــا بـــه، فتتبـــاهى العـــروس وتتفاخر بكثرته وقيمته.

ففي زفاف بنت العادل الكبير ضيفة خـــاتون إلـــى صـــاحب حلـــب حمـــل جهازهـــا على ثلاثمئة جمل وخمـــسين بغـــلاً[9]، ويـــشير المقريـــزي إلـــى أن العـــروس مـــن بنـــات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز في شـــورتها عنـــد بنـــاء الـــزوج عليها سبع دكك[10]: دكة من فضة ودكة من كفت (وهـــو مـــا تطعّـــم بـــه الأوانـــي النحـــاس

---

(1) جروهمان، **أوراق البردي**، ج1، وثيقة(44)، ص99.

(2) جروهمان، **أوراق البردي**، ج1، وثيقة (49)، ص112.

(3) المصدر نفسه، ج1، وثيقة (45)، ص100.

(4) المصدر نفسه، ج1، وثيقة (42)، ص93، ج2، وثيقة (141)، ص213.

(5) المصدر نفسه، ج2، وثيقة (139)، ص205.

(6) ابن شيث القرشي، عبد الرحمن بن علي، **معالم الكتابة ومغانم الإصابة**، (عني بتعليق حواشيه قسطنطين المخلصي)، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م، ص175. وسيشار إليه فيما بعد، ابن شيث، **معالم الكتابة؛** المقريزي، **المواعظ**، م3، ص347.

(7) كحالة، عمر رضا، (1404هـ/1984م). **الزواج**. (ط3). بيـروت: مؤسـسة الرسـالة، ج2، ص86. وسيشار إليه فيما بعد، كحالة، **الزواج**.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص294.

(9) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص204؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، **حوادث ووفيات (601-610هـ)**، ص38؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص62.

(10) الدكة: شيء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبينوس. انظر: المقريـزي، **المـواعظ**، م3، ص347.

من الذهب والفضة) ودكة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من بلور ودكة كلاهي وهي آلات من ورق مدهون تحمل من الصين"[1].

وقد وجد سوق الكفتيين[2] الذي يحوي عدة حوانيت لعمل الكفت، وقد لاقى هذا الصنف من الأعمال رواجاً عظيماً في مصر.

ولم يقتصر التفاخر بتجهيز شوار العروس عند السلاطين والأمراء، فقد أفرد السديد الإسكندراني[3] ثلاثين ألف دينار برسم شوار ابنته[4]. ومن مظاهر الأبهة أن يرافق جهاز العروس الجواري[5] اللائي يتقن الأعمال والصنائع.

ويشتمل جهاز العروس على كسوتها وتكون في الأغلب ثوباً وسراويل ومقنعة[6]، وتتعدد ملابس المرأة وأنواعها، وترافق العروس البقج[7] التي تضع فيها ملابسها. ويشتمل جهاز العروس على البسط والحصر[8] كما يرافقها المخدة[9] والسرير[10] والطراحة[11] وهي مرتبة تفرش للجلوس، ويحوي جهاز العروس التخت، وهو الصندوق الذي توضع فيه الثياب[12]، كما يرافق جهاز المرأة

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص347.

(2) المصدر نفسه، م3، ص347.

(3) هو إبراهيم بن سعيد الإسكندراني المعروف بالسديد كان واسع الأدب مشهوراً بالفضل. انظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص163.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص163.

(5) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص204؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، (601-610هـ)**، ص38؛ ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، م5، ج1، ص126؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص295؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص62.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص82.

(7) العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص7.

(8) عماد الدين الأصبهاني، **الفتح القسي**، ص137؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج6، ص467؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص579؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص378.

(9) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص573.

(10) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص317.

(11) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص165؛ ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**، ج1، ص403؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص583-586؛ البقلي، **التعريف**، ص229.

(12) المقريزي، **السلوك**، ج1، ص295.

أواني الطعام والشراب، ومنها:

المخافي[1]: ومفردها مخفية وهي طبق واسع كبير عميق توضع فيه كميات كبيرة من اللحم.

الزبادي[2]: وهي الآنية التي يوضع فيها الطعام.

الجفان[3]: وهي الآنية التي يوضع فيها الطعام.

القدور: وهي الآلة التي يطبخ فيها وتكون غالباً مصنوعة من النحاس[4].

الأثافي: وهي الآلة المثلثة التي يعلق عليها القدر عند الطبخ[5].

الكوز[6]: زير من بلور يحمل عشرة أرطال ماء.

القعبة[7]: وهو القدح الضخم الغليظ.

الإجانة: وهو إناء واسع يستخدم للغسل والعجين[8].

وينقل جهاز العروس إلى منزل الزوج وترافقه النساء بأصوات الزغاريد[9].

الاحتفال بالزواج

يتم تحديد موعد الزفاف، ويتم في هذا اليوم تجهيز العروس، فمهما كانت العروس من العوام أو من علية القوم فإنها تسعى لأن تكون مميزة في مثل هذا اليوم، وقد وجدت وظائف عدة تختص بتجهيز العروس يوم زفافها ومنها الماشطة[10]؛ وهي

---

(1) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص118؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص258.

(2) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص118؛ ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**، ج1، ص284؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص450.

(3) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص298؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص147؛ البقلي، **التعريف**، ص85.

(4) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص284، ص287.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص284؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص147.

(6) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص293؛ ابن منقذ، **الاعتبار**، ص129؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص121؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص376.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص304؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص341.

(8) بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، (ت398هـ/1007م). **مقامات الهمذاني**، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، المقامة المضيرية، ص178. وسيشار إليه فيما بعد، بديع الزمان الهمذاني، **مقامات الهمذاني**.

(9) علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص346.

(10) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص174؛ التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 16؛ القاسمي، **قاموس الصناعات**،

التي تقوم بتمشيط شعر العروس وتسريحه، وكانت التسريحات الشائعة في ذلك العصر هي تلك التي تكون فيها خصلات متدلية وتكون ملتوية كالعقرب[1]، وأن يسدل الشعر إلى الأمام ويتدلى إلى الجبهة[2]، وأحياناً تلجأ الماشطة لترك الشعر مسدولاً إلى الخلف وتترك خصلة من الشعر أمام الأذن[3]، ويبدو أنها تختار شكل التسريح الذي يناسب وجه العروس، وتضع على رأس العروس التاج[4] أو الشربوش[5] الذي يزيد من جمالها ويكون في العادة مزيناً بالأحجار الكريمة.

ولا يقتصر دور الماشطة في تسريح الشعر، بل تُعنى بوضع الزينة وما يحمّر الخدود[6]، وتكحل العينين[7]، وتجلو أسنان العروس بالسواك[8]، وتضع الحناء والطيب[9]، وتُلبس العروس الثوب المخصص لهذا اليوم، وتقوم بتعطير العروس، وكان العطر من ضروريات زينة العروس، حتى قيل في المثل "لا عطر بعد عروس"[10]، وتشمل زينة العروس الجواهر التي تتحلى بها، وإن اختلفت من امرأة لأخرى، وعند الانتهاء من تجهيز العروس تلبس العروس

ج2، ص409؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص76.

(1) ابن المعز، **ديوان ابن المعز**، ص71، ص293، ص403؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص173.

(2) أحمد، **المرأة في مصر**، ص173.

(3) المرجع نفسه، ص173.

(4) دوزي، **المعجم المفصل**، ص244.

(5) الشربوش: وهو من ملابس الرأس ويشبه التاج، ويبدو مثلث الشكل ويوضع على الرأس بغير عمامة. انظر: ابن دانيال، **خيال الظل**، ص174؛ ماير، ل. أ.، (1972م). **الملابس المملوكية**. (ترجمة صالح الشيتي). (مراجعة عبد الرحمن فهمي محمد). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص51. وسيشار إليه فيما بعد، ماير، **الملابس المملوكية**.

(6) **نوادر المخطوطات**، (1411هـ/1991م). (تحقيق عبد السلام هارون). (ط1). بيروت: دار الجيل، ج1، ص410. وسيشار إليه فيما بعد، **نوادر المخطوطات**.

(7) التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 20، 21.

(8) المصدر نفسه، ورقة 20، **نوادر المخطوطات**، ج1، ص412.

(9) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **أحكام النساء**، ط1، (تحقيق ودراسة عمرو عبد المنعم سليم)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص352. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الجوزي، **أحكام النساء**؛ التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 21.

(10) الوهراني، **منامات**، ص82؛ التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 22. ومناسبة هذا المثل أن رجلاً تزوج امرأة فقال لها: أين عطرك فقالت له: خبأته ليوم غير هذا، فقال: "لا عطر بعد عروس". انظر: التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 22.

البرقع أو الخمار[1] الذي يغطي محاسنها، ليكشف الزوج عن وجهها، كما تقوم العروس بارتداء ثوب يسمى الخفاء[2] فوق ثوب الزفاف، وتتغطى به ليخفي ثوبها.

ولم تكن الماشطة فقط هي التي تعنى بتجهيز العروس فقد وجدت من النساء من يقمن بتجهيز العروس قبل حفل الزفاف بأيام، فهناك الصانعة[3]؛ وهي التي تقوم بإزالة الشعر عن جسم العروس، وكانت تقوم بهذا العمل بحضورها إلى المنازل أو إلى الحمامات[4]، ووجدت البلانة[5]؛ وهي التي تدلك بدن السيدات بالكيس وتصبغ الشعر الأبيض، أما النقاشة[6] وهي من الحرف التي تختص بها النساء وتقوم بنقش أيدي العروس، ويعد وضع الخضاب الأحمر من مظاهر زينة الفتاة[7]، وتسعى المرأة دائماً للمواظبة على الزينة والنظافة والتنويع في ملابسها حتى بعد زواجها؛ ليزيد ذلك في حسنها ولتحظى عند الرجل بالاهتمام.

وفي اليوم الذي يتحدد فيه الزفاف يكون الاستعداد له أمراً مهماً فقد يستمر عدة أيام وتتراوح بين ثلاثة أيام إلى سبعة أيام[8]، وغالباً ما يتم اختيار يوم الجمعة ليكون الوقت المناسب لحفل الزفاف، تبركاً بهذا اليوم، ولأن الناس تجتمع فيه ويختارون آخر النهار لما فيه من الهدوء والسكون[9].

---

(1) عماد الدين الأصبهاني، **الفتح القسي**، ص137؛ ابن دانيال، **خيال الظل**، ص174؛ غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ص367؛ غضب، شاكر هادي، (1976م). **بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والأزياء**. ملحق "**مجلة التراث الشعبي**". 7 (4)، ص49. وسيشار إليه فيما بعد، غضب، **بداءة معجمية**.

(2) مطلوب، أحمد، (1995م). **معجم الملابس في لسان العرب**. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان، ص54. وسيشار إليه فيما بعد، مطلوب، **معجم الملابس**.

(3) المرجع نفسه، ص77.

(4) المرجع نفسه، ص77.

(5) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج1، ص37، ص108؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص40.

(6) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج2، ص487.

(7) وفي ذلك يقول الشاعر:

لقد خضبت كفها أحمراً   وبعض محاسنها قد كفى

انظر: ابن أيبك الصفدي، **الروض الباسم**، ص99.

(8) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت684هـ/1285م). **تاريخ الملك الظاهر**، (باعتناء أحمد حطيط)، دار النشر فرانزشتاينربفيسبادن، بيروت، 1403هـ/1983م، ص167. وسيشار إليه فيما بعد، ابن شداد، **الملك الظاهر**.

(9) التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 14.

ويفضلون الزواج في شهر هتور القبطي (يعادل شهر تشرين الثاني)[1] وهو الشهر الذي يظنون أنه يذم فيه كل شيء يراد انقلابه[2] ويبغضون الزواج في شهر بابه (يعادل شهر تشرين الأول)[3]. حيث يظنون أنه يذم فيه كل شيء يراد ثباته[4].

وكان الاحتفال بالزفاف عند علية القوم يتم في القصر[5] أو ينصبون الخيام ويزينونها، وقد وجدت خيمة الفرح[6] في العصر الفاطمي، أما العامة فقد يقام حفل الزفاف في منزل والد العروس[7] أو يستأجرون داراً لإقامة الفرح فيها، وقد وجدت دور خصصت للأفراح، وهي ملك للأفراد لكن الدولة تشرف عليها؛ حيث فرضت عليها الضرائب وتستحق من مالك الدار[8].

وفي أثناء حفل الزفاف يتم دعوة المدعوين إلى الوليمة وقد بالغ السلاطين والأمراء في وليمة العرس؛ حيث احتوت على أصناف متعددة من الأطعمة والمشروبات[9]، وتكون وليمة النساء في بيت العروس، ووليمة الرجال في بيت العريس[10] وتقدم أصناف من الحلوى للمدعوين، وقد درج عند الأغنياء الذين غلب عليهم حب الظهور والفخر تقديم أنواع من الحلوى

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص 159.

(2) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص239-240.

(3) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص 159.

(4) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص237-238.

(5) أحمد، **المرأة في مصر**، ص136.

(6) خيمة الفرح: وهي خيمة صنعت في العصر الفاطمي وأمر ببنائها الأفضل سنة (515هـ/1121م) وسميت بالقاتول؛ لأنها إذا نصبت يموت تحتها من الفراشين واحد أو اثنان وصرف عليها عشرة آلاف دينار. انظر: ابن المأمون، **نصوص**، ص85-86؛ عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان القحطاني اليمني، (ت569هـ/1173م). **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، (تصحيح هرتويغ درنبرغ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص193. وسيشار إليه فيما بعد، عمارة اليمني، **النكت العصرية**؛ ابن ميسر، **المنتقى**، ص85-86.

(7) علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص348؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص95.

(8) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، (تحقيق محمد حلمي محمد أحمد)، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1393هـ/1973م، ج3، ص100-101. وسيشار إليه فيما بعد، المقريزي، **اتعاظ الحنفا**؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص135-136.

(9) الأبشيهي، **المستطرف**، ج3، ص191؛ علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص348.

(10) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، (ت902هـ/1496م)، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص302. وسيشار إليه فيما بعد، السخاوي، **التبر**

التي يزين على وجهها بقوالب من خشب فيرسمون الشكل الذي يريدون أو يكتبون على وجه الحلوى بها، وهذا النوع يختص بالأعراس والدعوات[1]، أما العامة فيقدمون نوعاً من الحلوى تصنع من اللوز أو الفستق الملبس بالسكر[2].

ولعل اجتماع المدعوين للوليمة يكون وقتاً ملائماً لتقديم النقوط[3]، وعندها تزغرد النساء، وتعلو أصوات غنائهن[4]، وعند علية القوم يدعون المغنيات والقيان لإحياء الحفل[5]، وعند مجيء العروس ترافقها النساء حاملات الشموع[6] التي بالغن في تزيينها بأشرطة من الحرير والتي تتفاوت أطوالها، ويتقدم العريس بخطوات إلى العروس[7] ليكشف على وجهها. ويسعى السلاطين والأمراء لأن يكون هذا العرس يوماً مشهوداً[8]، بينما تغلب البساطة على احتفالات العامة.

وبعد انتهاء حفل الزفاف تنتقل العروس إلى بيت الزوجية، فإذا كانت العروس من علية القوم سكنت في قصر أو بيت جديد[9]، وإن كانت من العامة فتقطن مع أهل العريس[10].

وجرت العادة في المجتمع المصري أن ترافق الماشطة العروس لتراقب أحوال الزوجين إلى الصبح[11]، وكثرت العادات السيئة التي شاعت في المجتمع المصري في مثل هذا اليوم،

المسبوك؛ علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص348.

(1) الوراق، أبو محمد المظفر بن نصر الله، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**. مكتبة بودلين، أكسفورد، قسم الأرشفة والمصغرات الفلمية في الجامعة الأردنية، ورقة (13) . وسيشار إليه فيما بعد، الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**.

(2) كحالة، **الزواج**، ج2، ص86.

(3) النقوط: هي الدراهم والهدايا التي تقدم للعروسين وفي مناسبات أخرى. انظر: ابن دانيال، **خيال الظل**، ص174؛ علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص348؛ كحالة، **الزواج**، ج2، ص87.

(4) كحالة، **الزواج**، ج2، ص85.

(5) الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص95.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص66.

(7) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (601-610هـ)**، ص38.

(8) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (601-610هـ)**، ص38؛ الدوادار، **زبدة الفكرة**، ص15.

(9) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص131.

(10) كحالة، **الزواج**، ج2، ص86؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص131.

(11) علوان الحموي، **نسمات الأسحار**، ص353؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص96.

ويشير القاسمي أن من أقبح العوائد في مصر أخذ غشاء البكارة بالإصبع[1]، وقد تقوم الماشـــطة بهذه المهمة.

(1) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج2، ص412.

تعدد الزوجات

سادت ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع المصري[1]، ولم تختص به طبقة دون غيرها، ومن الأسباب التي دعت الرجال لذلك حبهم للذرية[2]، والمجتمع الزراعي وكثرة أعمال الزوجة، والعجيب أن المرأة كانت تعرض على زوجها الزواج من أخرى، خاصة في مجتمع الفلاحين إذا أرادت أن تعينها في عملها.

مع أن بعض النساء كن لا يقبلن أن يتزوج الزوج عليها فتعد ذلك انتقاصاً لهـا، فكـن يلجأن للذهاب إلى العرافات لسحر الأزواج كما يعتقدن، مع أن السحر يعـود بفـساد الأحـوال والنفوس[3].

الطـــــــلاق:

عُدّ الطلاق وهو حل عقد الزواج ظاهرة طبيعية فـي المجتمـع المـصري[4]، وأكثـر الأسباب المؤدية إلى الطلاق هو عدم التكافؤ بين الزوجين[5] كالفارق الكبير في السن[6]، الـذي يجعل الحياة مريرة فيصعب على كل منهما فهم الآخر، أو يكون عدم قناعة الرجل في المـرأة لسبب ما كعيب في شكلها[7] أو في خلقها، ويبدو أن الفاقة والعوز من أسباب الطلاق، حيـث إن الزوج قد لا يستطيع النفقة على بيته[8]؛ مما يؤدي لعدم وجود الاستقرار وشكوى الزوجة، وفي كثير من الحالات يكون الطلاق نتيجة حلف الرجل على زوجته بالطلاق[9]، ويكون هذا الأمـر في كثير من الأحيان أمراً اعتيادياً على لسان الرجل وهو عادة مذمومة وتؤدي لمخالفة الشرع،

---

(1) لوبون، **حضارة العرب**، ص415.

(2) اليافعي المكي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمنـي، (ت768هـ/1366م). **مـرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط1، (وضع حواشيه خليل المنـصور)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ج4، ص36. وسيـشار إليه فيما بعد، اليافعي المكي، **مرآة الجنان**؛ غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ص401.

(3) ابن الجوزي، **أحكام النساء**، ص165.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص83.

(5) ونجد أن بعض عقود الزواج كانت تركز على التكافؤ بين الزوجين. انظر: جروهمان، **أوراق البـردي**، ج2، وثيقة (139)، ص204؛ وثيقة (140)، ص208.

(6) التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 24.

(7) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص71؛ ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، ص65.

(8) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص179.

(9) الوهراني، **منامات**، ص86؛ جروهمان، **أوراق البردي**، ج1، وثيقة (45) ص100؛ الجعيـدي، **طبقـة**

حيث إن الرجل يعاشر زوجته على الرغم من طلاقها أو تجعل الرجل يلجأ للمحلل[1]، حتى تحل له وإن وجد فيتحرز أن يكون من الضعفاء حتى لا يطمع في الزوجة[2]، ويبدو أن قيمة الصداق قد تمنع الطلاق[3] في بعض الأحيان، حيث يتعذر على الرجل دفع باقي صداقها المتفق عليـــه، ومع تعدد الأسباب التي تدفع الزوجين إلى الطلاق فقد نُظِرَ للطلاق نظرة سلبية فعنـــدما طلـــق صاحب حماة الملك المظفر زوجته وهي ابنة خاله الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد عابوا عليه ذلك، واستقبحوه ونقصت مكانته.

الطعـــــــام والشراب

تشكل الأطعمة جزءاً هاماً من الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري فهي تعبّر عـــن طبائعهم، وهذا الطعام هو في الأصل ليس إلا زرعاً في الأرض ولحماً في جسم الحيوان، فتقدم معلومات وافية عن أنواع النباتات والحيوانات الموجودة في مصر، ومع تنوع الأطعمة وأشكالها نجد أن الأطعمة التي اعتاد الناس على تناولها في العصر الفاطمي هي التي كانت شـــائعة فـــي العصر الأيوبي؛ غير أن الظروف التي أحاطت بالدولة الأيوبية من الغلاء والحروب قد جعل لها خصوصية.

وهـــذه بعـــض أصـــناف الأطعمـــة والحلويـــات والمـــشروبات التـــي أذكرهـــا على سبيل الذكر لا الحصر:

الأطعمة

الخبـــز

يعد المادة الأساسية للغذاء، حتـــى ســـمي "العـــيش"[4]، ويـــصف المقريـــزي مدينـــة القاهرة بقوله "إن الفقير مستريح فيهـــا مـــن جهـــة رخـــص الخبـــز وكثرتـــه"[5]. وتنوعـــت

العامة، ص153.

(1) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص153.

(2) المرجع نفسه، ص153.

(3) ابن سعيد، **الغصون**، ص87.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، م6، ص322؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص132.

(5) انظر: المقريزي، **المواعظ**، م2، ص231.

أنواع الخبز الذي يعمل في مصر، فمنها الفطير[1] والخبز الكماج وهو نوع من الخبز أرغفته مستديرة[2]، ووجد عند فلاحي مصر نوع من الخبز يسمى الكعك[3] ويعمل من جريش الحنطة ويجفف وهو أكثر أكلهم السنة كلها. أما البقسماط[4] فهو الخبز المجفف المصنوع من الدقيق والشعير ويستخدم للقلي، ووجد خبز الأبازير[5]، وهو الخبز المضاف إليه التوابل، وهناك خبز مجفف شاع في مصر ويسمى القراقيش[6].

الهريسة

وهو طعام من خليط القمح واللحم[7]، وسميت هريسة لأنها تهرس[8]، ويلقى عليها الكمون وعملها في التنور[9] أجود من عملها بالكانون[10] وتعمل عادة في كثير من المناسبات والأعياد[11].

---

(1) الفطير: وهو الخبز الذي لم يختمر. انظر: العسكري، **التلخيص**، ج1، ص367؛ الشيزري، **نهاية**، ص23؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص91؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 57.

(2) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص871؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص415؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117.

(3) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص326؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص117؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص157.

(5) الشيزري، **نهاية**، ص23؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص412؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص91؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 5.

(6) ابن مماتي، الأسعد، (ت606هـ/1209م). **الفاشوش في حكم قراقوش**، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ص15. وسيشار إليه فيما بعد، ابن مماتي، **الفاشوش**.

(7) الشيزري، **نهاية**، ص36؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص42؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص109؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ط1، ص178.

(8) ابن الكاتب البغدادي، محمد بن الحسن، **الطبيخ**، ط1، (أعاد نشره فخري البارودي)، دار الكتاب الجديد، دمشق، 1962م، ص52. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص42؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 12، 79.

(9) التنور: وهو الفرن الذي يخبز فيه. انظر: العسكري، **التلخيص**، ج1، ص367؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص79؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 13.

(10) ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص52؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 36.

(11) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص50.

السمك

تعددت أنواع السمك وتنوعت طرق طهيه، فمنها السمك المشوي[1]، وهو الذي يشق جوفه وينظف ويدق السماق في جوفه ويطلى السمك بالشيرج، ويضاف إليه الكمون وماء الورد ويربط بخيوط ويوضع في سيخ حديد ويوضع في التنور، أما السمك المقلي[2] فينظف كالمشوي ويلقى بالشيرج، ومن أنواع السمك في مصر الرعاد[3] والسمك المخطط الذي يقال له السّرب[4]. ويوجد السمك البوري[5] الذي ينسب إلى بورا[6] وعرف الصير[7] والصحناة[8] وعد من أكل العوام[9].

السنبوسك

وهو ضرب من الطعام يتكون من رقاق محشو باللحم[10] المقطع قطعاً صغيرة ويسلق حتى ينضج ويصفى ويضاف إليه الدهن والفلفل والنعنع

---

(1) ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص60؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص111؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 20.

(2) ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص60؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص111؛ ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص76؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 11، 20.

(3) وسمي بذلك لأن هناك شائعة تذكر أن من أمسكه ترعد يده إلى أن يلقيه. انظر: الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، (ت611هـ/1214م). **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، (عنيت بنشره وتحقيقه جانين سوديل-طومين)، دمشق، 1953م، ص50. وسيشار إليه فيما بعد، الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**.

(4) وقد ارتبط هذا النوع بخرافة أن من يأكل منه يرى أحلاماً رديئة. انظر: المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص208؛ البغدادي، **الإفادة**، ص43.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص220؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص492؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص278؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 116.

(6) بورا: وهي ما بين تنيس ودمياط وينسب إليها السمك البوري؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1، ص506. انظر: المقريزي، **المواعظ**، م1، ص492.

(7) الصير: السمك المملح الذي تعمل منه الصحناة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص478؛ الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، م2، ص74؛ المرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، م3، ص346.

(8) الصحناة: إدام يتخذ من السمك. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م13، ص245؛ الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، م4، ص241.

(9) البغدادي، **الإفادة**، ص75.

(10) الوهراني، **منامات**، ص135؛ الشيزري، **نهاية**، ص38؛ البغدادي، **الإفادة**، ص75؛ ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص57؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص534، ص553؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح**

والخل[1]، ثم يوضع في الرقاق ويقلى.

الثريـــــد

وهو فت الخبز وبله بالمرق ووضع اللحم فوقه[2].

النقانـــــق

وهي مصارين تحشى باللحم والتوابل والبصل[3]، وتقلى بالزيت وكان كثيراً ما يغـــشها النقانقيين، لذلك خضعت لمراقبة المحتسب.

المضيرة

وهو اللحم الذي يطبخ باللبن المضير أي الحامض[4] وتكـــون مـــن اللحـــوم الغليظـــة وكان أسد الـــدين شـــيركوه يأكـــل اللحـــوم الغليظـــة كثيـــراً[5]، وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أن المصريين لا يستسيغون كثيراً اللبن الحامض المطبـــوخ بـــاللحم لأنهـــم لـــم يعتـــادوا عليـــه وإنما نجده بكثرة في العراق وبلاد الشام.

البيسار

وهو فول مطبوخ بالملوخية[6] وقد يعمل من الفول المطبوخ باللبن والـــسمن[7] وتأكلـــه

الأغذية، ورقة 34.

(1) الشيزري، **نهاية**، ص38؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص42، ج2، ص534، ص553،.

(2) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص373؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 13، 51، 52.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص38؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص94؛ ابن الحـــاج، **المـــدخل**، ج2، ص76؛ الـــوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 12.

(4) بديع الزمان الهمذاني، **مقامات الهمذاني**، المقامة المضيرية، ص174؛ ابن الكاتب البغـــدادي، **الطبـــيخ**، ص24؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص292؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص107.

(5) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص 104.

(6) الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص236؛ مصيقر، **قاموس الأغذية**، ص15.

(7) الشيزري، **نهاية**، ص23.

العامة بكثرة؛ لأن الفول كان متوافراً في مصر[1].

المــش

وهــو جــبن نــاعم ومخمــر يرتفــع محتــواه مــن الملــح[2] وكــان يؤكــل كثيراً[3] وعد من أكل العامة.

الكشك

وهو طعام يتخذ مــن القمــح ويوضــع علــى النــار ثــم يجفــف ويــصب عليــه اللبن[4]، ويعد من طعام العوام.

رغيف الصينية

وهو دقيق يعجن بزيت الشيرج ويبسط في صينية، ويعبأ على الرغيف خروف محشو أو أكثر ويضاف إليه البهارات، ويوضع بين الخرفان دجاج محشو بعضه باللحم وبعــضه بمــاء الحصرم، ثم يوضع رغيف فوق الكل ويوضع في التنور ويرش عليه ماء الورد، وعدَّ البغدادي هذا الصنف من طعام الملوك وأرباب الترف حيث يأخذونه إلى متنزهاتهم وأماكن الصيد التــي يرتادونها[5].

الملوخيــة

وهــي أوراق خــضراء تطــبخ[6]، وانتــشرت بكثــرة فــي مــصر وقــد ســميت

---

(1) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص149؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص224؛ الجعيــدي، **طبقــة العامــة**، ص118.

(2) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117؛ مصيقر، **قاموس الأغذية**، ص35.

(3) ويؤكل المش كثيراً في المجتمع المصري حتى قيل في الأمثال المصرية "زي المش كل يوم في الوش". انظر: الجعيدي، **طبقة العامة**، ص117.

(4) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص870؛ الوراق، **الطبيخ وإصــلاح الأغذيــة**، ورقــة 60، 91؛ الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص226.

(5) البغدادي، **الإفادة**، ص74-75.

(6) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص885؛ الشربيني، **هز القحوف**، ج2، ص237.

بالملوكية[1].

(1) البغدادي، **الإفادة**، ص19؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص885.

الحلويات

وهــذه بعــض أصــناف الحلــوى التــي اشــتهرت بهــا مــصر فــي العــصر الأيوبي:

الأرز باللبن المحلى

وتعد من أصناف الحلوى الخفيفة[1] واشتهر هذا الطعــام كنــوع مــن الحلــوى فــي مصر في العصر الأيوبي، ولعلها ذات فائدة طبية فقد ذكر ابــن البيطــار فــي كتابــه تحفــة ابن البيطار أن الأرز له فائدة وتكتمل إذا اجتمع بالحليب[2].

الخشكنانج

وهو لفظ فارسي، ويطلق على الحلوى التي تصنع من دقيــق الــسميذ الــذي يعجــن ويضاف إليه السكر واللوز المقــشر والكــافور وقليــل مــن مــاء الــورد[3]، ويخبــز فــي التنور[4].

القطائف

وهي عجينة تحشى باللوز أو الفستق أو الجوز[5] وتقلى أو تخبز وتغمس فــي جــلاب وعسل ثم ترفع؛ وتكثر تناولها في شهر رمضان المبارك[6].

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص358؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص414؛ الــوراق، **الطبــيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 81؛ معلوف، **الحروب الصليبية**، ص269؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص61.

(2) ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص34.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص41؛ ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص79؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص114.

(4) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص367؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص79.

(5) ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص80؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص628، ص629؛ ابــن الإخوة، **معالم**، ص113؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص117؛ الوراق، **الطبــيخ وإصــلاح الأغذيــة**، ورقة13، 138.

(6) وفي ذلك يقول الشاعر ابن رفاعة:

أهــــلاً شـــــهر غــــدا فيــــه لنـــــا خلــــف   أكل القطائف عــن شــرب آنيــة العنــب

انظر: ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، (ت685هـ/1286م). **النجوم الزاهرة في حلــى حضرة القاهرة**، (تحقيق حسين نصار)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970م، ص266. وسيشار إليــه فيما بعد، ابن سعيد، **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**.

لوزينج

خبز رقيق يبسط ويجعل عليه اللوز والسكر ويطوى كالقطائف وتعمل بالجلاب المضاف إليه ماء الورد وينثر عليه الفستق المدقوق ناعماً[1].

خبيص السكر

وجمعها خبائص وهي حلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج ويضاف إليها بعد طبخها العسل والسكر ثم ترفع عن النار لتجمد[2]، وكان الملك العادل الكبير يكثر من أكل خبيص السكر وكان يأكلها ليلاً[3].

النيدة

وهي حلوى تشتهر بها مصر[4]، وهي تتخذ من القمح وتطبخ حتى يخرج النشا، ثم تصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ويذر عليه الدقيق ويعقد[5]، وتسمى هذه نيدة البوش[6]، ومنها ما ينعقد دون إضافة الدقيق وتسمى النيدة المعقودة وهي أغلى ثمناً من الأولى[7].

الزلابية

---

(1) ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص76؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص117؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 50.

(2) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص380؛ الشيزري، **نهاية**، ص41؛ ابن الكاتب البغدادي، **الطبيخ**، ص72؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص387؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 13، 126.

(3) ويذكر ابن تغري بردي عن الملك العادل الكبير "وكان نهماً أكولاً يحب الطعام واختلاف ألوانه وكان أكثر أكله بالليل كالخيل، وله عندما ينام رضيع ويأكل رطلاً بالدمشقي خبيص السكر". انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص150.

(4) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ط3، ص206؛ البغدادي، **الإفادة**، ص73؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص230.

(5) البغدادي، **الإفادة**، ص73؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص108؛ المقريزي، **المواعظ**، م1، ص230؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة16؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص278؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص62؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص271.

(6) نسبة إلى مدينة بوش، وهي من نواحي الصعيد الأدنى في غربي النيل. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص508.

(7) البغدادي، **الإفادة**، ص73.

وهي نوع من الحلوى يعمل من الدقيق والعسل واللوز[1] ويقدم الشيزري معلومات وافية في الحسبة عن صناعها دلالة على انتشار هذه الحلوى ورواجها، وذكر أنها أفضل ما تكون إذا قليت بالشيرج، فإذا لم يكن متوافراً فالزيت الصافي[2]، وأن يكون لونها مائلاً للبياض لا للسواد، وقد ارتبط هذا النوع من الحلوى بالأعياد والمناسبات[3]، حتى قيل في الأمثال: "هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل"[4] وهذا يدل على أنها حلوى رخيصة تأكلها عامة الناس.

البسيسة

وهو أن يُلَتّ السّويق أو الدقيق أو الأقِط المطحون بالسمن أو بالزيت حتى يجتمع[5] ثم يؤكل ولا يطبخ ويضاف إليها العسل[6].

افطن له

وهو كعك صغير محشو بالسكر ولب الفستق المطيب بالمسك[7]، وذكرت المصادر أن سبب تسمية هذا الصنف بهذا الاسم أن الماذرائي وزير الدولة الإخشيدية عمل هذا الصنف واضعاً داخله الدنانير وجعل هذا في صحن واحد، وكان على السماط عدة صحون من ذلك النوع، فأشار لأحد الجلساء على السماط بقوله: افطن له، وأشار إلى الصحن حتى تناول الرجل منه وأصاب ذلك، فرآه الناس وهو يأكل ويخرج شيئاً من فمه ويحط في حجره فسمي هذا الصنف افطن له[8].

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص379؛ الشيزري، **نهاية**، ص25.

(2) الشيزري، **نهاية**، ص25؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص113؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 12، 20.

(3) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص50.

(4) الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص139؛ الشربيني، **هز القحوف**، ص28.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص375؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص51-52.

(6) الإسحاقي المنوفي، **أخبار الأول**، ص120.

(7) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص327؛ ابن ميسر، **المنتقى**، ص127؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص875.

(8) ابن الإخوة، **معالم**، ص113؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص875؛ الطواهية، **الحياة الاقتصادية**، ص271.

قُبيَط حران

وجاءت تسميتها من الجمع باليد[1]، وهي حلوى معمولة من العسل[2]، وأصلها من حران[3]، لذلك نسبت إليها.

الجوارش

وهي القمحية وهي نوع من الحلوى تكون كالسفوف يتخذ للهضم[4]، وكان الملك العادل الكبير يكثر من تناولها[5].

المأمونية

وهي لون من الحلوى يغسل فيه الأرز، ويسلق ويؤخذ حليب ويجعل الحليب في السكر حتى يذوب، ويذر عليه الأرز[6] وتُطبخ عصيدة مرقة ويجعل عليها دهن حتى تتشربه وعلامة نضجها احمرار الأرز وتبسط في صحون ويزوق وجهها بالفستق[7]، وأخذت تسميتها نسبة إلى المأمون[8].

ناصرية

وهي الحلوى التي كانت تعمل في دار الملك الناصر[9] صاحب حلب لذلك انتسبت إليه،

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص381.

(2) القضاة، **المرأة في مصر**، ص62.

(3) حران: بلدة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص235.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص150؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 5، 157.

(5) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص150.

(6) الوهراني، **منامات**، ص121؛ ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص620.

(7) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص620.

(8) القضاة، **المرأة في مصر**، ص60.

(9) الملك الناصر: هو يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، وهو صاحب حلب، ولد سنة 627هـ/1326م وتوفي سنة 659هـ/1260م تولى الملك بعد والده العزيز، كان يهتم بالطعام كثيراً ويذبح في مطبخه كل يوم أربعمئة رأس غنم سوى الدجاج والطيور ويطبخ في مطبخه المآكل الفاخرة. انظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت764هـ/1362م). **فوات الوفيات**، ط1، (تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، م2، ص667. وسيشار إليه فيما بعد، الكتبي، **فوات الوفيات**.

وهي دقيق يعجن ويغلى بالشيرج حتى يحمر ويطبخ فيصبح حلاوة صابونية[1]، ويلزق بين كل قرصين قطعة حلاوة ويذر عليها سكر وفستق[2].

كعك حافظية

وهو كعك انتسب لجارية الملك العادل الكبير حافظية[3] (وهي الخاتون أرغون الحافظية، وسميت بالحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ صاحب قلعة جعبر، وكانت امرأة مـدبرة، وكانـت تصنع الأطعمة وهي جارية العادل الكبير، وقد اعتقها، حتى نسبت إليه فسميت بالعادلية، توفيت سنة 648هـ/1250م)، وقد عرفت بصنع كعك فنالت شهرة واسعة في العصر الأيوبي لإتقانها صناعته وكان يباع كثيراً في أيام العيد. ويبدو أن حافظية هي واحدة من النساء اللائـي قمـن باستغلال خبراتهن المهنية من أجل تحسين العيش، فالظاهر أن لها طريقة خاصة فـي صـنع الكعك وقد أوردها ابن العديم، حيث يؤخذ السميذ ويرش عليه ماء حار من العشاء ويترك بحيث لا يبتل كثيراً ويعجن من باكر بدهن لوزٍ حلو ولبن حليب وخميرة لكل رطل دقيق نصف رطل دهن لوز، ويُعمَل كعكاً رقاقاً وبخبز[4].

المشروبات

الفقاع

نوع من النبيذ يتخذ من الـشعير[5]، ويـشرب مثلجـاً[6]، وشـراب الفقـاع نوعـان، هما الخاص وهو ما يعمل من السكر والرمان، ومنه الخرجي وهـو الـذي لا يـستعمل فيـه عسل القصب[7] ويشربه النصارى بكثـرة فـي أعيـادهم ومناسـباتهم[1]، ويـستخدم منقـوع

---

(1) الصابونية: اسم لنوع من الحلوى كثيرة النشا سميت بذلك لأنها غليظة تشبه الـصابون؛ ابـن العـديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص835؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص114.

(2) ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص421.

(3) انظر: التونجي، **معجم أعلام النساء**، ص18؛ النوايسة، **نساء في ذاكرة التـاريخ**، ص34؛ أباظة، نزار، (1423هـ/2001م). **معجم شهيرات النساء في سورية**. (ط1). بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصـر ودار الفكر، ص17. وسيشار إليه فيما بعد، أباظة، **معجم شهيرات النساء في سورية**.

(4) انظر: ابن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج1، ص389؛ ج2، ص658.

(5) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص91؛ ابن منقذ، **الاعتبار**، ص177؛ الأدفوي، **الطالع السعيد**، ص33؛ ابـن العديم، **الوصلة إلى الحبيب**، ج2، ص856؛ الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة16، 149، 150.

(6) ابن الجزري، **تاريخ ابن الجزري**، ج1، ص394؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ط1، ص178.

(7) ابن الإخوة، **معالم**، ص120.

الشعير في العلاج[2] فقد أعطي الملك الناصر صلاح الدين مقداراً من منقوع الشعير عند مرضه[3].

عصير قصب السكر

وهو كثير بمصر[4]، وقد وجد في مصر حجارة متخصصة لاعتصاره[5].

المـزر

وهو نبيذ الشعير والحنطة والحبوب وقيل نبيذ الذرة خاصة[6].

---

(1) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص78.

(2) حيث يشير الوراق أن منقوع الشعير يدر البول ويذهب لهب المعدة. انظر: الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة 149-150.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج4، ص361؛ ابن شداد، **النوادر السلطانية**، ص418.

(4) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص283؛ وانتشرت معاصر قصب السكر في مناطق في قفط التي كان بها أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب. انظر: الأدفوي، **الطالع السعيد**، ص13، وفي ملوى التي كان بها إحدى عشرة معصرة للسكر. انظر: ابن بطوطة، **رحلة**، ج1، ص225؛ الطواهية، فوزي خالد علي، (2003م). **الزراعة في مصر في العصر الفاطمي (358-567هـ/969-1172م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص197. وسيشار إليه فيما بعد، الطواهية، **الزراعة**، كما تركزت زراعته في كل من دمياط وسنهور وعلى ضفاف رشيد وغيرها من القرى المصرية في الوجه البحري. انظر: الطواهية، **الزراعة**، ص198.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م1، ص553.

(6) الرازي، **مختار الصحاح**، ص623؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م5، ص172؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص60.

الملابـــــس

ازدهرت مصر في صناعة الملابس إذ شكلت مصدراً للصناعات النسيجية بكافة أشكالها الصوفية[1] والحريرية[2] والكتانية[3]، وارتبطت أسماء كثيرة من الملابس بأسماء المناطق التـــي يصنع فيها النسيج، فقيل ثياب تنيسية أي تنسب إلى تنيس[4]، وامتازت بألوانها المختلفة. وعرفت الملابس القسية[5]، وهي تصنع في مدينة قس. ووجد القماش الدبيقي وهو نـــوع مـــن الأقمـــشة الحريرية التي كانت تصنع في دبيق[6]، وقد توافر فيها نوع مخصوص من الحرير المـــزركش وقد نسب إليها[7]؛ واشتهرت الإسكندرية بالقماش الفائق على اختلاف أنواعه[8]. أما دمياط فوجد فيها معامل يستأجرها الحاكة لعمل الثياب[9]، وقد فتحت التجارة أبواباً لتنوع أنمـــاط الملابـــس والأقمشة.

وتنوعت الأسواق التي تبيع الملابس والأقمشة حتـــى تخصـــصت كـــل ســـوق بنـــوع مـــن الملابـــس، فوجـــد ســـوق البخـــانقيين[10]، وســـوق الشرابـــشيين[11]، وســـوق

---

(1) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص131؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص279.

(2) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص64.

(3) بنيامين، **رحلة بنيامين**، ص359.

(4) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص92؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص51؛ المقريـــزي، **المـــواعظ**، م1، ص489؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص279؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 115.

(5) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص32؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 117.

(6) دبيق: من قرى مصر قرب تنيس تنسب إليها الثياب الدبيقية. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص437؛ ابن إياس، **نشق الأزهار**، ورقة 114.

(7) انظر: ابن ميسر، **المنتقى**، ص82؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص572، ص583؛ المقريزي، **المـــواعظ**، م2، ص360؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص32، ص279؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص233؛ العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص6؛ البقلي، **التعريف**، ص133، ص197؛ الرواشـــدة، **حيوات المرأة**، ص142.

(8) وفي ذلك يقول ابن الشحنة: "وحمص تتلو الإسكندرية فيما يعمل فيها من القماش الفائق علـــى اخـــتلاف الأنواع وحسن الأوضاع". انظر: ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص274.

(9) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م2، ص472، ص473.

(10) سوق البخانقيين: يقع هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الـــشرب، ويحـــوي عـــدة حوانيت لبيع الكوافي والطواقي ويباع فيه ملابس رجال الدولة من الأمراء والأجناد. انظر: المقريـــزي، **المواعظ**، م3، ص343.

(11) سوق الشرابشيين: وقد أحدث هذا السوق بعد الدولة الفاطمية، ويباع فيه الخلع التـــي يلبـــسها الـــسلطان للأمراء والوزراء والقضاة. انظر: المصدر نفسه، م3، ص327.

الجوخيين[1]، وسوق الفرائين[2]، وسوق الأخفافيين[3]، وغيرها من الأسواق.

وكان وجود دار الطراز[4] دلالة على تطور الملابس في ذلك العصر حيث ينقش اسم السلطان على ما ينسج من الكسوة المتخذة من الحرير والذهب، وهذه الملابس يلبسها السلطان أو من يشرفه السلطان بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك.

وفي الوقت نفسه، وجد سوق يختص ببيع الملابس المستعملة وهو سوق الخلعيين[5] وعدَّ من أعمر الأسواق لأن عامة الشعب كانت تقبل على شراء الملابس منه.

وقد خرج بعض الرجال والنساء في ملابسهم عن حدود الشرع، فلبس بعض الرجال الذهب والحرير[6]، وكان أسامة بن منقذ بمصر يركب على حصان سرجه موشى بالذهب[7]. وسحب بعض الرجال ذيله على الأرض شبراً[8]. وكانت إطالة الذيول للرجال للمباهاة والتيه والاستكبار[9]. كما لبست بعض النساء ملابس للشهرة[10].

---

(1) سوق الجوخيين: وهو السوق المعد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج. انظر: المصدر نفسه، م3، ص326.

(2) سوق الفرائين: السوق الذي يباع فيه أنواع الفرو ما تجل أثمانه وتتضاعف قيمته. انظر: المصدر نفسه، م3، ص342.

(3) سوق الأخفافيين: وهو السوق الذي يباع فيه الخفاف والنعال. انظر: المصدر نفسه، م3، ص346.

(4) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، م1، ص280؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص6؛ ودار الطراز هي الدار التي ينسج فيها جميع أنواع الأقمشة وتوجد في تنيس ودمياط والإسكندرية وكانت موجودة في العصر الفاطمي وفيها قال عمارة اليمني:

ثم الطراز بتنيس التي عظمت ... منه الصلات لأهل الأرض والدولِ

انظر: القلقشندي، **صبح**، ج4، ص6؛ البقلي، **التعريف**، ص129–ص130.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص344.

(6) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص393.

(7) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص29.

(8) ابن جبير، **رحلة**، ص269.

(9) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص394.

(10) المصدر نفسه، ق2، ص394–395.

أغطية الرأس والوجه

العمامـــــة

وهي قطعة قماش تكون ملفوفة حول الرأس[1]، وقــد لبــست العمــائم بكثــرة حتــى قيل العمائم تيجان العرب[2]، وشاع في العصر الأيــوبي نــوع مــن العمــائم وهــي العمــائم الصغيرة الحجم[3] وهذا لم يلغ وجود عمــائم كبيــرة[4] حيــث يــصف ابــن الحــاج عمامــة أشبه بسنم الهجين المزدوج[5] لعظم حجمهــا، وكمــا تفاوتــت العمــائم فــي أحجامهــا فقــد تفاوتت في ألوانها وأنواع قماشها وجودتهــا فمنهــا المطــرز بالــذهب والجــوهر[6]، حيــث وصل سعر الواحدة منها خمسمئة دينار[7]، واتخــذت ألــوان العمــائم وســيلة لتمييــز أهــل الذمة عن المسلمين، فلبس اليهود العمائم الــصفر، والنــصارى العمــائم الــزرق، والــسامرة العمائم الحمر[8]، ولبس المسلمون العمائم مــن الألــوان الأخــرى[9]، وأكثــر رجــال الــدين من لبس العمائم[10] كما لبست النــساء العمــائم وبــالغن فــي لبــسها[1] بطــرق وإضــافات عديدة عليها.

---

(1) ابن ميسر، **المنتقى**، ص132؛ ابن بطوطة، **رحلـــة**، م1، ص193؛ القلقــشندي، **صــبح**، ج4، ص43؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص90، ص116؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص250؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص88.

(2) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص201.

(3) ابن المأمون، **نصوص**، ص17؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص57.

(4) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص67.

(5) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص236؛ ماير **الملابس المملوكية**، ص127؛ الرواشــدة، **حيــوات المــرأة**، ص151.

(6) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق1، ص285؛ ابن ميسر، **المنتقى في أخبــار مــصر**، ص174، ص177؛ ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص55؛ ابن دقمــاق، **نزهــة الأنــام**، ص153؛ المقريــزي، **السلوك**، ج1، ص283.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص310.

(8) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص135؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص349؛ المقريــزي، **الــسلوك**، ج1، ص247؛ المقريــزي، **المــواعظ**، م2، ص230؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص254.

(9) دوزي، **المعجم المفصل**، ص250–254.

(10) معلوف، **الحروب الصليبية**، ص287.

الكلوتـــــة

وهـــي الطاقيـــة التـــي تؤلـــف هيكـــل العمامـــة وقـــد لبـــسها الـــسلطان والأمـــراء وســـائر العـــسكر[2]، وقـــد وجـــدت إشـــارات فـــي العـــصر الأيـــوبي أن لـــون الكلوتـــة كانت صفراء[3]، وهـــذا قـــد تغيـــر فـــي العـــصر المملـــوكي حتـــى اتخـــذت مـــن اللـــون الأصفر والأحمـــر[4]، واعتبـــرت الكلوتـــة المرصـــعة بـــالجوهر مـــن نفـــيس مـــا يقتنيـــه السلطان، ووصل سعرها ثلاثين ألف ديناراً ومئة ألف دينار[5].

القلنسوة

وهي تعني الطاقية التي توضع تحت العمامة[6]، وتمثلت في الكلوتة السابق ذكرهـــا وإن اختلفت التسمية.

الغفارة

وجمعها الغفائر، وتنسج من الدروع على قدر الرأس[7] تحت القلنسوة.

الشربوش

وهو من ملابس الرأس، وهي أخف من الكلوتة مع أنـــه لا يقـــل عنـــه مـــن الناحيـــة الرسمية[8]، وهو يشبه التاج ويبدو مثلث الشكل، ويوضـــع علـــى الـــرأس بغيـــر عمامـــة[1]،

---

(1) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص185؛ ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص236؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص127؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص151.

(2) ابن المأمون، **نـــصوص**، ص55، ص74؛ المقريـــزي، **المـــواعظ**، م2، ص544، الـــسيوطي، **حـــسن المحاضرة**، م2، ص114؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص313؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص52.

(3) القلقشندي، **صبح**، ج4، ص4، ص41؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص327؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص114؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص53.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص327.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص375.

(6) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص204؛ سبط بن الجـــوزي، **مـــرآة الزمـــان**، ج8، ق2، ص612؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص299؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص30، ص53؛ رحمة الله، الملابس في العراق، ص190؛ معلوف، **الحروب الصليبية**، ص230.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص203؛ عماد الدين الأصبهاني، **الفتح القسي**، ص616؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، ص629؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص326.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص328؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص51.

ولبسه الأمراء حتى أنه كان من المألوف أن يمنح السلطان الفارس خلعة تتناسب ومرتبته، ثم يضع على رأسه شربوشاً[2]، وقد ألغي استعمال الشربوش في مصر زمن المماليك البرجية[3].

العرقية

وهي تاج من الفضة مطرز ومرصع بالأحجار الكريمة، تضعه معظم العرائس البدو على رؤوسهن[4]، كما لبسها الخاصة، فقد وصف ابن إياس الموكب الرسمي للوزير أثناء طوافه بشوارع القاهرة أنه كان يركب بغلة ويرتدي عمامة بطرحة بيضاء اللون تحتها طاقية مطرزة بالذهب محبوكة على الرأس، يطلق عليها اسم "عرقية أو طاسة"[5].

العصابة

هي ما عصب به الرأس وشد[6]، وقد لبسها الرجال في العصر الأيوبي، وتميزت بها النساء من خلال إضافة المجوهرات والأحجار التي تزينها[7]، فقد لبست ضيفة خاتون عصابة مجوهرة امتازت بكثرة الجواهر الثمينة عليها[8].

النقـــاب

---

(1) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص154؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص51.

(2) ماير، **الملابس المملوكية**، ص51؛ البقلي، **التعريف**، ص197-198.

(3) المماليك البرجية، ويسمون أيضاً بالمماليك الجراكسة، وأطلق عليهم هذا الاسم لأن غالبية سلاطينهم كانوا يسكنون بروج القلعة على جبل المقطم، وتسموا بالجراكسة لأن أصلهم من بلاد الجركسي ومنهم ترك أيضاً، وقاموا بانقلاب عسكري وانتزعوا السلطان لأنفسهم من المماليك الأتراك. انظر: البقلي، **التعريف**، ص198، ص329.

(4) دوزي، **المعجم المفصل**، ص244.

(5) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج4، ص104؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص91-92.

(6) ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص606؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص48؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص126، ص127؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص47؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص35؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص70.

(7) ابن المأمون، **نصوص**، ص65؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص362.

(8) القضاة، **المرأة في مصر**، ص70.

وهو قناع يغطي الوجه، ويبدو منــه محجــر العينــين ولا يبــدو منــه إلا العينــان[1] ليستطعن رؤية مواقع أقدامهن، وتضعه المرأة إذا خرجــت مــن بيتهــا، وهــو لــيس حكــراً على طبقة معينة، فقد اعتادت جميع النساء على لبــسه[2] لتغطــي بــه محاســنها، وإن تميــز من امرأة لأخرى حسب الخيوط ونوع القماش المــصنوع منــه، وإذا أدنــت المــرأة النقــاب إلى عينيها يسمى ذلك البرقع[3].

اللثـــــام

وهي قطعة يغطى بها الجزء الأسفل من الوجه[4]، وتضعه المرأة والرجل.

الخمــــار

وهو غطاء يغطي رأس المرأة ويلتف حول عنقها[5].

القنــــاع

وتضعه المرأة غطاء للرأس والوجه[6]، ويسمى المقنعة[7] وقيل إن القناع أوســع مــن المقنعة[8]، والقناع من الألبسة التي تتطلبها طبيعة الحياة في ذلك الوقت، حتى لا تتعرض المرأة لنظرات الرجال وحفاظاً على مفاتنها وهو لباس تختص به المرأة دون غيرها[9] وهــو لبــاس

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص768؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص127؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص153.

(2) القضاة، **المرأة في مصر**، ص71.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص768؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص71.

(4) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219؛ ابن منقذ، **الاعتبار**، ص149؛ ابن منظور، **لــسان العــرب**، م12، ص533؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص322؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص104؛ القضاة، **المــرأة فــي مصر**، ص72.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص257؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص 193؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص36.

(6) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص553؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م8، ص300؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص130؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص130؛ القضاة، **المرأة فــي مصر**، ص72.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص82؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص153.

(8) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق2، ص646؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص553؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م8، ص300؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص313.

(9) وأشار النويري في سنة (648هــ/1250م) أن صاحب حلب الملك الناصر عندما ضم دمشق إلى ملكــه

يتميز بسهولة لبسه وخلعه[1].

البخنق

ويسمى المحنك[2] وهو خرقة تتقنع بها المرأة وتخيط طرفيها تحت حنكها وتخيط معها خرقة على موضع الجبهة، وتغطي بها رأسها ما قبل منه وما دبر، وهو أشبه ببرقع صغير[3]، والظاهر أنه من أغطية الرأس الرخيصة الثمن؛ حيث كان الواحد يساوي نصف دينار[4].

الطاقية

وهي كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة وهي من أصل فارسي[5] وقد تلبس وحدها[6] وقد بالغوا بارتفاعها، وكانت في البداية غطاءً يلبسه الصبيان والبنات حتى شاع ارتداؤها بين رجالات الدولة[7].

الشاش

هي مناديل تلف حول الرأس تصنع من نسيج حريري في غاية النعومة توضع على الرؤوس[8]، وكان هذا الغطاء مرتبطاً بالاحتفالات بصفة خاصة، كما أنه من لباس كبار الأمراء والأعيان[9]، كما لبسته النساء حيث كانت تلامس جبين المرأة[10]، ويكون آخرها على ظهرها.

أشار عليه أتابكه شمس الدين لؤلؤ أن ينتزع مصر من الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، وقد هون لؤلؤ هذا الأمر على الملك الناصر بقوله: "أنا آخذ الديار المصرية بمائتي قناع". انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج29، ص243؛ القضاة، **المرأة في مصر**، ص72–73.

(1) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق 2، ص551.

(2) أحمد، **المرأة في مصر**، ص150؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص36؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص35.

(3) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219.

(4) أحمد، **المرأة في مصر**، ص150.

(5) دوزي، **المعجم المفصل**، ص 230؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص150.

(6) البقلي، **التعريف**، ص227؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص35.

(7) البقلي، **التعريف**، ص227.

(8) دوزي، **المعجم المفصل**، ص198؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص140.

(9) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص273.

(10) الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص152.

طرطــور

وهو غطاء طويل يوضع فوق الرؤوس على هيئة القدح أو الكأس الكبير، ويكون ملفوفاً بقماش ثمين ويكون مزيناً[1]، ومع أن هذا اللباس يذكر أن المرأة قد لبسته فقد اتخــذه الخطبــاء أثناء إلقاء الخطبة فوق العمامة السوداء[2].

الكوفيـــة

وجمعها كوافٍ، وهي عبارة عن منديل مربع يلبس فوق الرأس وله مــن الطــول ذراع ومثله من العرض[3] وخصصت سوق لبيع الكوافي، وأطلق عليها اسم البخانقيين[4]، وتعــددت أشكال لباسه فهي إما تعقد من الجانب ويتدلى طرفاها على الظهر أو تنسدل علــى الكتفــين أو تغطي الرأس وتلف حول الوجه وتغطي الصدر[5].

الطيلسان

هو نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفــين[6]، ويــذكر أن القاضـــي الفاضل كان يرتدي الطيلسان ليغطي حدبته[7]، ويبدو أن الطيلسان يكون طــويلاً حيــث يكفـــي

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج4، ص5؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص127؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص83؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص152.

(2) ماير، **الملابس المملوكية**، ص96–97.

(3) دوزي، **المعجم المفصل**، ص315؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص150؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص35.

(4) ماير، **الملابس المملوكية**، ص131.

(5) أحمد، **المرأة في مصر**، ص150–151.

(6) دوزي، **المعجم المفصل**، ص229؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص94.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م4، ق2، ص465؛ ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ/1678م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط1، (دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ص37. وسيشار إليه فيما بعد، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص94؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص224. وقد قال الشاعر ابن سناء الملك في حدبة الفاضل:

حاشا لعبد الرحيم سيدنا الـ ... ـفاضل ما تقوله السفل
يكذب من قال إن حدبته ... في ظهره من عبيده حبل
هذا قياس في غير سيدنا ... يصح لو كان يحبل الرجل

انظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج5، ص38.

لتغطية الرأس والكتفين[1]، وكان أكثر ما يلبس من الطيلسان الأبيض اللون[2]، ووجد الطيلسان بألوان وأشكال عدة، واشتهرت في مصر الطيالسة الزرق ذات اللون الأزرق؛ حيث استخدمت النيلة في صناعتها حتى سمي هذا النبات بالطيلسان لصبغ الطيلسان باللون الأزرق، وتسمى العصارة التي يصبغ بها الطيلسان باللون الأزرق النانج ويقال لها كذلك النيل[3]، ومنها المقصب والمطرز بالذهب وقد لبسه علية القوم[4]، ووجد نوع من الطيلسان يسمى الطيلسان المقور[5] وكان يلبس بكثرة في العصر الأيوبي.

الجلباب

وهي عبارة عن ثوب واسع، وهي أوسع من الخمار ومن دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها[6]، وقيل هو الملحفة[7] التي تلف جسمها، ونستنتج من هذا أن الجلباب يغطي رأس المرأة ويستر معظم أجزاء جسدها.

المعجر

وهو ثوب تلفه المرأة باستدارة على الرأس[8]، ويشبه العصابة لكنه بألوان متعددة[9]، ولم يكن ارتداؤه حكراً على النساء بل لبسه الرجال[10]، ويتميز معجر النساء بالتطريز والرسومات[11].

الطرحة

---

(1) ابن ميسر، **المنتقى**، ص40؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص273؛ غانم، بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، ص71؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص154.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص367.

(3) انظر: أبو الخير الإشبيلي، **عمدة الطبيب**، ج1، ص394.

(4) ابن المأمون، **نصوص**، ص16؛ ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص38؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص32؛ العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص6.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص204؛ ابن المأمون، **نصوص**، ص44؛ القلقشندي، **صبح**، ج3، ص591؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5، ص298.

(6) ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص273؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص46.

(7) الرازي، **مختار الصحاح**، ص107؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص 103.

(8) ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص544.

(9) القضاة، **المرأة في مصر**، ص74.

(10) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص202؛ ابن المأمون، **نصوص**، ص50.

(11) أحمد، **المرأة في مصر**، ص152-153.

وهي عبارة عن وشاح يوضع فوق العمامة وتلتف حول الرقبة وتتدلى على الكتفين[1]، وهو زي تميزت به الطبقة الرفيعة من رجال الدين كالقضاة[2] وقد عدَّ الطيلسان أقرب الأزياء شبهاً بالطرحة[3].

ملابس الجسد

القباء

هو ثوب يمتاز بأكمامه الضيقة[4]، وقد عدَّ من أكثر الملابس انتشاراً[5] ولبسته النساء والرجال، وتنوعت ألوانه فمنه الأبيض والأزرق والأخضر والأحمر[6].

الملوطة

وهي ثوب واسع يلبس فوق غيره من الملابس[7]، وهي تشبه العباءة وتكون غير مزررة، وتعد الملوطة من لباس عامة الشعب[8].

الفوطة

وهو ثوب قصير غليظ يكون مثل المئزر وقيل ثوب من صوف[9]، وقد لبسه الأمراء والسلاطين من الحرير[10]، وهو يجلب من السند[1]، واعتبرت الفوطة من الملابس التي تلبسها المرأة والرجل.

الجبة

---

(1) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص90، ص273؛ البقلي، **التعريف**، ص229-230.

(2) ماير، **الملابس المملوكية**، ص94؛ البقلي، **التعريف**، ص230.

(3) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص80؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص94.

(4) الرازي، **مختار الصحاح**، ص520؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص237؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص25.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص207؛ القلقشندي، **صبح**، ج4، ص41، ص57.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص327؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص34، ص37؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص139.

(7) البقلي، **التعريف**، ص328.

(8) ماير، **الملابس المملوكية**، ص45، ص46.

(9) ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص131؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م7، ص373؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص364، ص370؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص92.

(10) ابن المأمون، **نصوص**، ص67؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص544.

هــي لبــاس خــارجي مفتــوح ويوضــع فــوق الــرداء الأول ويــبطن فــي الشتاء، وله أشكال عدة[2].

القميص

وهو يلبس فوق السراويل، ويصنع من أقمشة رقيقة وتمتاز أكمامه بالاتساع[3]، وظهرت في العصر المملوكي نوع من القمصان يسمى البهطلة[4] وله ذيل طويل ينسدل على الأرض وله أكمام يبلغ اتساعها ثلاثة أذرع، وتعددت أشكال القمصان فوجدت المقصبة بالذهب وقــد لبــسها علية القوم[5].

السبلة

وهو قميص كبير يغطي كافة الملابس الأخرى وتلبسه النساء إذا قمن بزيارة الحمام[6].

السربال

وهو القميص[7] أو القباء الأبيض الذي يلبس فوق الملابس، وقد ورد في القرآن الكــريم ﴿وجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[8].

السراويل

---

(1) السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م3، ص267.

(2) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص208؛ ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص55؛ النويري، **نهايــة الأرب**، ج29، ص25؛ الداوداري، **كنز الدرر**، ج7، ص279؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص49؛ ابن بطوطة، **رحلة**، م1، ص193؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص32، ص80؛ ابــن إيــاس، **بــدائع الزهور**، ج1، ق1، ص233؛ العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص6؛ دوزي، **المعجــم المفــصل**، ص91، ص96؛ رحمة الله، الملابس في العراق، ص193؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص37.

(3) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص205؛ ابن مماتي، **الفاشوش**، ص20؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص154.

(4) ماير، **الملابس المملوكية**، ص123؛ حسن، **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**، ص132؛ أحمــد، **المرأة في مصر**، ص154.

(5) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص38.

(6) دوزي، **المعجم المفصل**، ص165.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص205؛ ابن منظــور، **لــسان العــرب**، م11، ص335؛ دوزي، **المعجــم المفصل**، ص167؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص73.

(8) سورة النحل، آية رقم (81).

وهو مشتق من الكلمة الفارسية شلوار، واختلفت أشكاله فمنه الضيق الذي يصل إلى القدم، ومنه الواسع، ويعد ثوباً تحتانياً ولبسته النساء والرجال[1]، حيث يذكر أن شجر الدر التي قتلت على يد جواري القصر، وألقيت جثتها في حفرة بدون شيء يسترها سوى القميص والسراويل[2]، وظهر نوع من السراويل عرف بسراويلات الفتوة[3]، وقد ارتبطت بلعبة الفتوة التي اعتاد السلاطين على ممارستها، وكان شرطاً للعبها لبس هذه السراويل الخاصة، حتى شاع لبس هذا النوع من السراويل بين الناس.

التبان

هو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة[4].

العباءة

وتشير إلى ضرب من الأكسية الواسعة المفتوحة الجهة الأمامية ولا أكمام لها، ولكن توجد فيها تقويرات لإمرار الذراعين[5]، واختلفت عباءات النساء عن عباءات الرجال، إذ إن عباءات النساء تحاك مع خيوط أخرى[6]، وعدت العباءة من الملابس الفوقانية، فهي توضع فوق ملابس أخرى أكثر خفة[7].

الزعبوط

وهو زي يلبس في مصر من قبل الذكور من سواد الشعب وفيه فتحة من العنق إلى حدود الحزام، وله كمان واسعان[8] ويلبس في الشتاء.

الدراعة

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص214؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص82؛ ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص172؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص153؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص36.

(2) ماير، **الملابس المملوكية**، ص124؛ حسن، **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**، ص110.

(3) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق2، ص513؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج29، ص21؛ الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص165.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، م13، ص72؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص41؛ معلوف، **الحروب الصليبية**، ص230.

(5) دوزي، **المعجم المفصل**، ص238؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص85.

(6) دوزي، **المعجم المفصل**، ص239.

(7) ماير، **الملابس المملوكية**، ص135.

(8) دوزي، **المعجم المفصل**، ص161.

وهي نوع من الألبسة المفتوحة من الجهة الأمامية[1] ومزررة بأزرار وعرى.

الجوخـــــــة

وهي عباءة مصنوعة من خامة خشنة لها وبر، يرتديها عامة الناس وتلبس في الشتاء[2].

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص208؛ ابن المأمون، **نصوص**، ص50؛ ابن ميسر، **المنتقى**، ص177؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م8، ص82؛ ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص38؛ دوزي، **المعجم المفــصل**، ص146؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص58.

(2) ماير، **الملابس المملوكية**، ص46؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص151.

المـــــــلاءة

وهي ثوب متسع فضفاض يغطي الملابس الكلية[1]، ويتكون من قطعتين من القمـــاش[2] يغطى بها الجسد.

المـــــــرط

وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها[3].

الثـــــــوب

وهو من الملابس المألوفة عند الرجال والنساء، وامتاز باتساعه وهـــو مـــن الملابـــس الفوقانية[4]، ووجدت أنواع من الثياب فمنه الثوب الأطلـــس[5]، والثـــوب الأحمـــر والأخـــضر والأصفر والأزرق[6].

الفرجيـــــة

وهي ثوب فضفاض يعمل من الجوخ وله كمان واسعان طويلان[7] وفي بعض الأحيان يكون مفتوحاً من الأمام وقد تزود بالأزرار[8].

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص200؛ ابن المأمون، **نـــصوص**، ص50؛ مـــاير، **الملابـــس المملوكيـــة**، ص125.

(2) الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص37.

(3) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص200؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص621–622؛ ويعد المرط من الألبسة القديمة، فقد ذكر قول عمر بن الخطاب لأبي مجدورة حين أذن ورفع صوته "أمـــا خـــشيت أن تنـــشق مريطاؤك". انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص622.

(4) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق2، ص522؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص153؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص125؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص154؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص37.

(5) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص248؛ ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص165؛ الدواداري، **كنـــز الدرر**، ج6، ص486؛ العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص7.

(6) ابن المأمون، **نصوص**، ص44؛ ابن ميسر، **المنتقى**، ص133، ص182؛ العيني، بدر الـــدين محمـــود، (ت855هـــ/1451م). **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (648–664 هـــ)**، (حققه ووضع حواشـــيه محمد محمد أمين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1407هـــ/1987م، ص60. وسيشار إليـــه فيما بعد، العيني، **عقد الجمان**؛ المرتضى الزبيدي، محمد، (ت1205هـــ/1790م). **ترويح القلـــوب فـــي ذكر الملوك بني أيوب**، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، مطبوعـــات مجمـــع اللغـــة العربيـــة، دمـــشق، 1388هـــ/1969م، ص108. وسيشار إليه فيما بعد، المرتضى الزبيدي، **ترويح القلوب**.

(7) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق1، ص285؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج3، ص49؛ ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص153؛ القلقشندي، **صـــبح**، ج4، ص45؛ المقريـــزي، **الـــسلوك**، ج1، ص343؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص265.

(8) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص279؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص273.

البشـــــت

وهي عباءة واسعة[1] وتتكون مـــن نـــسيج مـــن صـــوف أســـود واتخـــذه الفلاحـــون والنساء في مصر لباساً لهم[2].

التكــــة

وهي رباط السراويل[3].

الكمرانات

نوع من الأحزمة[4] ويشير المقريزي إلى أن القاهرة تنتج أنواعاً من الكمرانات وتسفرها إلى الشام[5].

الوشـــــاح

ويسمى كذلك "الإشاح" وهو الذي تتوشح به المرأة ويكون عريضاً، وتشده المرأة بـــين عاتقيها، ويرصع بالجواهر[6].

الإزار

وهو الملحفة[7] وهو قطعة من النسيج تلتف بها النساء عادة عندما يخـــرجن، وعـــرض الإزار ذراعان أو أكثر وطوله ثلاثة أذرع[8]، واتخذ الإزار علامة لتمييز المرأة المسلمة عـــن

---

(1) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص117؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص16.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص117؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص150.

(3) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص214؛ ابن منظـــور، **لـــسان العـــرب**، م10، ص406؛ دوزي، **المعجـــم المفصل**، ص82؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص124-125؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص43.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص231؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص59.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص231.

(6) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص352؛ التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 16؛ ابن منظور، **لـــسان العـــرب**، م2، ص 632؛ رحمة الله، الملابس في العراق، ص213؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص32.

(7) ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص16؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص30.

(8) دوزي، **المعجم المفصل**، ص32.

الذمية فإزار المسيحية الأزرق، وإزار اليهودية الأصفر، أما إزار الـسامرية فهـو الأحمـر[1] ويشير ابن الفوطي لتميز النساء من أهل الذمة بالأزر العسلية[2]، ويكون إزار المرأة المـسلمة الإزار الأبيض.

الزنـــــار

وهو قطعة قماش تكون على شكل حزام، يطوى ويلف حول الوسـط[3] ويلـبس فـوق الرداء الفوقاني، وتحددت ألوان الزنانير التي يلبسها أهل الذمة وبهذه الطريقة يسهل التمييز بين المرأة المسلمة والذمية[4].

ما يلبس في القدم

الخــف

وجمعه أخفاف وهو ما يلبس في القـدم، ويـصنع مـن الجلـد ويكـون مغلقـاً مـن الأعلى[5] ولبست النساء والرجال الخفاف[6]، وتلبس الخفـاف عنـد الخـروج مـن المنـزل، ووجد نوع من الخفاف يحدث صوتاً عند المشي، وذلـك لإضـافة الـورق إليـه وقـد منعـه المحتسب[7] لأنه يلفت الانتباه، وأجبرت نـساء أهـل الذمـة علـى أن يخـالفن بـين لـوني الخفين إذا دخلن الحمامات فواحد أبيض والآخر أسود[8].

---

(1) المرجع نفسه، ص33؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص120، ص126.

(2) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص106؛ ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج1، ص742؛ المقريـزي، **المـواعظ**، م2، ص230؛ المقريزي، **الـسلوك**، ج2، ص229؛ الأبـشيهي، **المـستطرف**، ج1، ص354؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص162؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص116؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص66.

(4) أجبرت نساء أهل الذمة على التمنطق بالزنانير وحددت الألوان فكان الزنار الأصفر لليهوديات، والأزرق للمسيحيات والأحمر للسامريات وذلك ما يتماشى مع لون الإزار. انظر: ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68، ص69؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص247؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354؛ سـاويرس ابن المقفع، **تاريخ البطاركـة**، م2، ص1598؛ دوزي، **المعجـم المفـصل**، ص33؛ مـاير، **الملابـس المملوكية**، ص120.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص244؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م9، ص81؛ القلقـشندي، **صـبح**، ج4، ص43-44.

(6) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص124؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص114، ص243.

(7) الشيزري، **نهاية**، ص73.

(8) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص68؛ الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص354؛ النويري الإسـكندراني،

النعـــل

وهو حذاء مصنوع من الجلد[1]، ويكون مفتوحاً وبهذا يختلف عن الخف وتلبسه النـساء والرجال[2].

السرموزة

وهو لفظ فارسي يعني "رأس الخف"[3]، وهو نوع من النعال تلبسه النساء تخلـع عنـد دخول المنزل، وتباع في أسواق الأخفافيين[4] ويلبس فوق الخف، وقامت بعض النساء بتزيينه.

القبقاب

وجمعه قباقيب وهي تصنع من الخشب[5]، وتكون مزخرفة ولبسته النساء والرجال على حد سواء داخل الحمامات[6]، ولجأت النساء إلى تزيينه ويمتاز بارتفاعه، لذلك أكثرن من لـبس القباقيب لإطالة قاماتهن ولتفادي تجرير أذيال الأثواب على الأرض[7]، ولعل القبقاب قد ارتـبط بحادثة ضرب شجر الدر حتى الموت في الحمام[8].

الزرابيل

نوع من الخفاف تلبسه الجواري[9].

السقمان

وهو خف ثانٍ يلبس فوق الخف الأول[1]، وقد أكثر الأمراء والجنود من لبسه.

الإلمام بالأعلام، ج2، ص204.

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص240؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م11، ص667.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص117؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص277.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص346.

(4) المصدر نفسه، م3، ص346؛ماير، **الملابس المملوكية**، ص129.

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص660؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص51؛ ماير، **الملابس المملوكيـة**، ص129؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص95.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص335؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص281.

(7) ماير، **الملابس المملوكية**، ص129.

(8) بيبرس الدوادار، **مختار الأخبار**، ص9؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهـرة**، ج6، ص337؛ ابن إيـاس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص294؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص129؛ حسن، **نساء لهن في التـاريخ الإسلامي نصيب**، ص109-110؛ فولكف، **القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة**، ص83.

(9) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5، ص298.

أنماط الألبسة

غلبت أنماط معينة على الملابس في العصر الأيوبي فقد ساد ما يسمى بالتذييل[2]؛ وهو جر المرأة ثوبها على الأرض من خلفها، وهذا كان يزيد من استهلاك القماش[3]؛ إذ إن الذيل الذي يجر يحتاج لقماش أكثر من أي ثوب آخر، وفيه قال الشاعر[4]:

وأطول ذيل المرء للكعب والنسا ... بلا الأزر شبراً أو ذرعاً لتزدد

وشاع هذا النمط في مصر عند نساء السلاطين وجواريهن وتشبهت النساء بهن[5]، أما الرجل فإذا كان ثوبه طويلاً فلا يسمى ذيلاً بل يسمى الرِّفل[6]، ولجأت النساء إلى لباس فراء طويل الأكمام ويسمى هذا النمط المساتق[7] ووجد المسهم[8] والمشجر[1]، ولجأت بعض النساء إلى لبس الإزار

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص327؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص174؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص64.

(2) الذيل: هو آخر كل شيء، وذيل الثوب ما جر منه إذا أسبل فأصاب الأرض وذيل المرأة إذا جر على الأرض من خلفها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م11، ص260؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص69؛ النقاش، زكي، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية**، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1958م، ص147. وسيشار إليه فيما بعد، النقاش، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج**؛ حسن، **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**، ص132؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص61.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج4، ص110؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص146.

(4) المقدسي الحنبلي، محمد بن عبد القوي المرداوي، (ت699هـ/1299م). **منظومة الآداب**، مطابع دار الفكر الإسلامي، دمشق، 1376هـ/1957م، ص14. وسيشار إليه فيما بعد، المقدسي الحنبلي، **منظومة الآداب**.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج4، ص111؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص146.

(6) الرفل: الذيل، وجر الذيل وركضه بالرِّجل وهي إذا جر الرجل ذيله وأرخاه. انظر: ابن عبد الظاهر، محيي الدين، (ت692هـ/1292م). **الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم**، (تحقيق أحمد أحمد بدوي)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص49. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبد الظاهر، **الدر النظيم**؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م11، ص291-292.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص207؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م10، ص343؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص113. وفي المساتق قال الشاعر:

إذا لبست مساتقها غني ... فيا ويح المساتق ما لقينا

انظر: مطلوب، **معجم الملابس**، ص113.

(8) المسهم: نمط من الألبسة يكون مخططاً كالسهام. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م12، ص309؛ مطلوب، **معجم الملابس**، ص114.

الرفيع الذي يمتاز برقه قماشه[2].

الحلـــي

الخاتــم

ويوضع الخاتم في الإصبع ليزينها ويتميز بأشكال مختلفة[3]، وأقبلت النساء على لــبس الخواتم ليزدن من جمالهن كما لبسها الرجال أيضا[4]، وامتازت الطبقة الحاكمة باقتناء الخــواتم من الفضة والذهب، وامتاز بعضها بوجود فصوص[5] الزمرد والياقوت وبألوان عدة كالــسماقي والرماني التي يصل سعر الخاتم منها اثني عشر ألف دينار[6].

القــرط

وهو ما يزين الأذن[7]، وتعددت أشكال الأقراط فكان من أشكالها ما يضم لؤلؤة متوسطة الحجم، ويتألف من حلقة كبيرة تتصل بها دلايتان، ومنها كذلك ما يكون على شكل كرات ذهبية مجوفة تتصل مع بعضها بعضاً[8].

العقـــــد

وهو ما يوضع في رقبة النساء وهو القلادة وهو خيط ينظم فيه الخــرز[9]، وإذا كانــت

---

(1) المشجر: نمط من الألبسة وهو ديباج مشجر ويكون نقشه على هيئة شجر. انظر: ابن منظــور، **لــسان العرب**، م4، ص396؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص327.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص172.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، م12، ص164؛ القلقشندي، **صبح**، ج2، ص139.

(4) يروى عن القاضي الفاضل أنه إذا رأى خاتماً أو سمع به اجتهد في تحصيله واشتراه. انظر: ابن العمــاد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج5، ص37.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص354؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص371.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م2، ص371.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص353.

(8) العلي، زكية عمر، (1974م). حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقي. **مجلة سومر**، 30 (1-2)، 281-294، ص282، ص283. وسيشار إليه فيما بعد، العلي، حلى إسلامية. ومما قيل في الأقراط:

لــدى نــرجس يــسبي العيــون بمثلهــا ... كـــــأقراط تبــــر كللـــــت بـــــلآلِ

انظر: ابن سعيد، **الغصون اليانعة**، ص6.

(9) ابن منظور، **لسان العرب**، م3، ص296.

القلادة ضيقة سميت بالمخنقة[1]، وإذا كانت القلادة طويلة سميت بالمرسلة[2].

ولبس صلاح الدين عندما عينه العاضد وزيراً خلعة تضمنت عقد جوهر بعشرة آلاف دينار[3]، وفي سنة (609هـ/1212م) قدّم الظاهر غازي لزوجته ضيفة خاتون خمسة وخمسين عقد جوهر[4]، ويبدو أن العقد كان يلبس للزينة وللحفظ والسلامة من الحسد.

السوار

وهو ما يوضع في معصم النساء فيزينها ويكون دائرياً[5].

الخلخال

وهو ما تلبسه المرأة في القدم، وتضرب به برجلها حتى يسمع له حس[6] ويسمى الخلخال بالحجل[7]، وإذا كان الخلخال من خرز يسمى رسوة[8]، وهي تتدرج من الفضة إلى الذهب المرصع بالجوهر[9]، وانتقد ابن الحاج بعض النساء اللائي لبسن الخلاخيل وعد ذلك فعلاً شنيعاً[10].

---

(1) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص351.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص356.

(3) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص32؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص233؛ العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص7.

(4) المرتضى الزبيدي، **ترويح القلوب**، ص 108.

(5) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص349؛ ابن عبد الظاهر، **الدر النظيم**، ص26؛ ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص388؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص40. ومما قيل في السوار:

تكوَّن من بَرَدٍ زندُها وجمر السوار عليه ائتلق

انظر: ابن أيبك الصفدي، **الروض الباسم**، ص98.

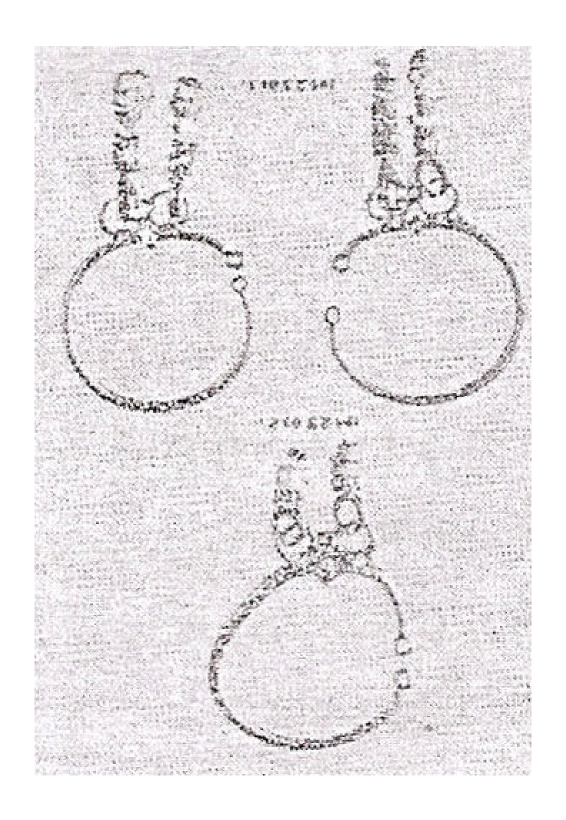
(6) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص350؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص32.

(7) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص350؛ التيجاني، **تحفة العروس**، ورقة 62.

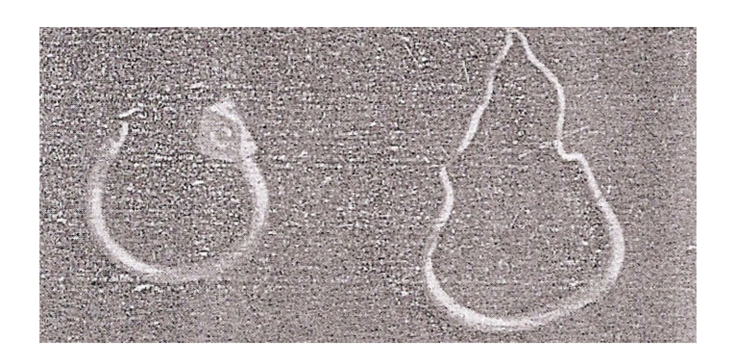
(8) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص351.

(9) رحمة الله، الملابس في العراق، ص215.

(10) فقد أشار في كتابه **المدخل**: "وليحذر من هذه البدعة التي اتخذها بعض النساء في الغالب؛ وهي أنها إذا أرادت الخروج لبست من الحلي ما قدرت عليه من سوار وخلخال وتضيف إلى ذلك فعلاً شنيعاً وهو أن تجعل الخلخال فوق السراويل لكي يظهر، وقد تضرب برجلها في الغالب فيسمع له حسّ". انظر: ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص172.



الشكل رقم (1) أقراط ذات دلايات تعود إلى القرن السادس الهجري في مصر



الشكل رقم (2) أقراط نصف دائرية تعود إلى القرن الخامس أو السادس الهجريين في مصر.

نقلاً عن: العلي، زكية، (1974م). حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقي، **مجلة سومر**، 1-2، ص29، 283؛ حميدي، تمام، **دور المرأة المسلمة في الحياة العامة**، ص176.

الأســــــرة

شكّلَ الأب أساس الأسرة وعمادها، فهو الذي يتولى النفقة على الأسرة، وقد اعتــاد أن يقضي معظم نهاره خارج المنزل، كما ينال الاحترام والطاعة من قبل الزوجة والأبنــاء[1]، ولا يحق للأبناء اعتراض سلطته[2]، ويدعى بأبي فلان[3]، وتسعى الأسرة للحفــاظ علــى أســمائها المتوارثة[4] جيلاً بعد جيل، وبلغ اهتمام الأسرة بالأب درجة جعلت الزوجة والأبناء لا يشاركون رب الأسرة الأكل من وعاء واحد[5].

أما الزوجة فهي بحاجة دائمة إلى توجيه الزوج[6] وإدراك حقيقة وظيفتها التي تتجلــى بالقيام بأعمال المنزل والخروج إلى الأسواق إن لزم الأمر والاعتناء بالأبناء، وتسعى الزوجــة للاهتمام بنفسها فتتزين لزوجها[7]، مع أن بعض النساء يهملن أنفسهن أمام الأزواج ولا يتزين إلا عند الخروج من المنازل[8] مما يؤدي لنفور الأزواج منهن.

ومهما يكن فإن غيرة الرجل على زوجته ومحارمه[9] تعد أمراً طبيعياً فــي المجتمــع المسلم، فوصف ابن منقذ في كتابه الاعتبار أن الإفرنج ليس عندهم غيرة على نــسائهم؛ حيــث يكون الرجل يمشي وزوجته، فيلقاه رجل آخر فيأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها والــزوج ينتظرها، فإن أطالت الحديث مضى[10]، وهو أمر غير مألوف في المجتمع الإســلامي، وتبــدو

---

(1) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص101.

(2) كلوت، أ.ب.، (2001م). **لمحة عامة إلى مصر**. (ط3). (ترجمة وتحرير محمد مسعود). القــاهرة: دار الموقف العربي، ص260. وسيشار إليه فيما بعد، كلوت، **لمحة عامة إلى مصر**.

(3) البسيوني، أميرة عبد المنعم، **الأسرة المصرية**. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعــة والنــشر، ص15. وسيشار إليه فيما بعد، البسيوني، **الأسرة المصرية**.

(4) نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق**، ج2، ص480.

(5) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص209.

(6) البسيوني، **الأسرة المصرية**، ص15.

(7) السيوطي، **تحفة العروس**، ورقة 20.

(8) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص 238؛ الرواشدة، **حيوات المرأة**، ص107.

(9) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص135؛ ابن قيم الجوزية، **أخبار النساء**، ص74.

(10) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص135.

مظاهر الغيرة من خلال ما تلبسه المرأة من ملابس تخفي محاسنها كالبرقع والخمار وغيرها[1].

أما الأبناء فيبدو الاهتمام بهم واضحاً من خلال ما يقام لهم من احتفالات بالولادة والختان[2]، وحينما يبلغ الطفل الرابعة أو الخامسة من عمره يقوم أهله بوضعه عند مؤدب، وإن كانت أنثى وضعوها عند الشيخة[3] أو المؤدبة، ليقوموا بتعليم الأبناء وتأديبهم، وتسعى الأسرة إلى أن تكون تربية الأبناء تربية صالحة، فيكون هَمُّ الأسرة أن يشتغل ابنها بحفظ القرآن الكريم، ومعرفة الوضوء والصلاة والصوم[4]، وبعض الأسر لجأت إلى تشجيع الطفل منذ صغره على الصوم بتقديم الحلوى التي يفطر عليها[5]، وتحثه على معرفة الحديث والتشاغل بالعلم[6]، ووجوب حمد الله بعد الطعام والشراب وعلى كل شيء[7]، وتعويدهم على الجرأة والشجاعة، فيذكر أسامة بن منقذ في تربيته البيتية "وما رأيت الوالد رحمه الله نهاني عن قتال ولا ركوب خطر، مهما كان يرى فيّ، وأرى من إشفاقه وإيثاره لي"[8].

ومع أن الطفل يكون متعلقاً بأمه وهو صغير[9] فما أن يشب قليلاً حتى يرافق والده ويكتسب منه الأطباع الحسنة، فيصطحب الأب ولده في المناسبات، سواء أكانت أفراحاً أم أتراحاً، ويرافقه إلى المسجد، كما يأخذه في رحلاته ولم يكن هذا حكراً على الطبقة العامة، فكان

---

(1) انظر: العسكري، **التلخيص**، ج1، ص219.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص305؛ لوبون، **حضارة العرب**، ص366؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(3) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص194؛ عاشور، الحياة الاجتماعية، ص101.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **لفتة الكبد في تربية الولد للولد**. أوقاف الخزانة العامة–الرباط، رقم 1117. مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 678 (صورة بالميكروفيلم)، ورقة 196. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الجوزي، **لفتة الكبد**.

(5) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص196.

(6) ابن الجوزي، **لفتة الكبد**، ورقة 197.

(7) المصدر نفسه، ورقة 207.

(8) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص103.

(9) ومن ذلك قول محمد بن عبد الملك الزيات في أم ولده حين رثاها:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بُعيد الكرى عيناه تبتدران

رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان طول الليل ينتجيان

انظر: ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، ط1، (تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1415هـ/1994م، ص119. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، **كفاية الطالب**.

علية القوم يصطحبون أبناءهم في رحلات صيدهم وفي سفرهم[1].

وبشكل عـــام فإن الأسرة تسعى لأن يكون الأبناء بارين بوالديهم غيـــر عـــاقين[2] وأن يحسنوا إليهم.

وشاركت النساء في العصر الأيوبي في الحياة العامة، فكان من النساء الخـــواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف[3].

ويورد أسامة بن منقذ كثيرا من أعمال البطولة التي قام بها بعض النساء في الجهاد ضد الصليبيين[4].

---

(1) فقد اصطحب الملك الكامل ولده الملك الصالح سنة (629هـ/1231م) في سفره. انظر: الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص308.

(2) وفي هذا يقول الشاعر:

وإن عقـــــوق الوالــــــدين محــــــرم	فبرهمــــا تبـــر وتكـــرم وتحمـــد
وأحـــسن إلـــى أصـــحابه بعـــد موتـــه	فهـــذا بقايـــا بـــرك المتعـــود

انظر: المقدسي الحنبلي، **منظومة الآداب**، ص8.

(3) ابن جبير، **رحلة**، ص248.

(4) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص118-119، ص123-130، ص149-150.

العادات والتقاليد

الولادة

اهتمت الأسرة المصرية بالمولود، ويبدأ هذا الاهتمام وهو في بطن أمه؛ فإن علمت المرأة بحملها بادرت إلى اتباع تعليمات متوارثة؛ فتتجنب حمل الثقيل وركوب الدواب والمشي الكثير[1] وتبتعد عن شرب المشروبات التي لها علاقة بإجهاضها، كالقرفة[2] والكراويا[3]، ويسعون لتلبية رغبات الحامل[4] بما تشتهيه وهو ما يسمى الوحام[5]؛ لاعتقادهم أنه إذا لم يلبَّ طلب المرأة الحامل فإنه يظهر على جسم الجنين ما اشتهت به، وتقوم الحامل بتجهيز لوازم المولود من الكسوة والقماط[6] واللفائف، وهي ملابس تختص بالمولود فتشد جسمه ليسهل حمله.

وإذا ما قاربت على الولادة تُستدعى القابلة[7]، والتي تسمى الداية[8] وكان لكل أسرة قابلة تشرف على النساء وولادتهن[9]، وتكون القابلة سيدة كبيرة في السن ذات خبرة بالنساء

---

(1) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص192؛ زعرور، إبراهيم، (1990م). **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، سورية، ص179. وسيشار إليه فيما بعد، زعرور، **الحياة الاجتماعية**.

(2) القرفة: وهو قشر شجرة يجلب من الهند وعيدانه طوال شديدة طيب الطعم والرائحة وفي طعمه تخدر اللسان. انظر: البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (ت443هـ/1051م). **الصيدنة**، (تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان إلهي)، مؤسسة همدرد الوطنية، كراتشي، 1973م، ص303. وسيشار إليه فيما بعد، البيروني، **الصيدنة**.

(3) الكراويا: بذور نبات معروف تطرد الرياح، وطبخ هذا النبات وبذره إذا شربا أدرا البول وسكنا المغص. انظر: ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص232، ويذكر الوراق أن الكراويا حارة غير أنها توافق المعدة. انظر: الوراق، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**، ورقة31.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص132.

(5) الوحام: وحمت المرأة توحماً إذا اشتهت شيئاً على حبلها وليس الوحام إلا شهوة الحبل خاصة، وهو شدة شهوة الحبلى لشيء تأكله. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م12، ص630.

(6) القماط: وهو ما يشد به الطفل في المهد. انظر: عماد الدين الأصبهاني، **الفتح القسي**، ص481؛ الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، ص42؛ الرازي، **مختار الصحاح**، ص551؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص192؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص54.

(7) سميت بذلك لأنه فيه معنى الإعطاء والقبول، كأن النفساء تعطيها الجنين وكأنها تقبله. انظر: الصقاعي، **تالي كتاب وفيات الأعيان**، ص75؛ ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص439.

(8) ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، ص95؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج20، ص175؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص192.

(9) حميدي، تمام عثمان حسني، (2008م). **دور المرأة المسلمة في الحياة العامة في فترة الغزو الفرنجي (من أوائل القرن السادس الهجري إلى أواسط القرن السابع الهجري)**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص152. وسيشار إليه فيما بعد، حميدي، **دور المرأة المسلمة في**

وأحوالهن[1]، وتكون معروفة في المجتمع ليتسنى لها دخول البيوت.

ووقت الولادة تقوم القابلة بإعطاء النصائح التي تسهل الولادة على الأم الحامل كأن تشرب من منقوع نبات الأشنة[2] الذي يسهل عملية الولادة.

وعلى الرغم من العناء الذي يلحق بالأم الحامل، فإن الأم والأسرة يكونون شغفين بانتظار المولود، وتجتمع النساء بالدعاء للأم بتسهيل الولادة، وعندما يولد الطفل تصلي القابلة على النبي[3]، وتخبرهم إن كان المولود ذكراً أو أنثى، وتكون الفرحة أكبر إذا كان المولود ذكراً[4] حيث إن الذكر سوف يساعد والديه ويحمل اسم أبيه[5] ظناً منهم أن الأنثى إذا كبرت وتزوجت تتبع زوجها، كما أن الأنثى يتبعها هم لا ينتهي، فالذكر يعتمد على نفسه والأنثى بحاجة للرعاية.

لذلك فقد درجت النساء لاتباع طرق لإنجاب الذكور[6] وشاع في المجتمع المصري علامات محددة لمعرفة المولود إذا كان ذكراً أو أنثى، فقيل في حمل الأنثى تكون المرأة حسنة الوجه وتكون حركة الجنين في الجانب الأيمن[7]، وتتحرك الأنثى بعد الشهر الرابع، أما الجنين الذكر فإنه يتحرك بعد ثلاثة أشهر[8].

الحياة العامة.

(1) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص439.

(2) الأشنة: نبات أبيض، طيب الرائحة وله قوة مسخنة حادة إذا دق ونقع وسخن للنساء اللواتي عرض لهن نزف الدم، وإذا جلسن فيه حيث يدر الطمث ويجذب الجنين. انظر: ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، (ت646هـ/1248م). **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المثنى، بغداد، م3، ص75. وسيشار إليه فيما بعد، ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**.

(3) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص192.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص132.

(5) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت571هـ/1175م). **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، (دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م، ج14، ص262. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عساكر، **تاريخ**؛ الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر**، ج2، ص127.

(6) القفطي، **إخبار العلماء**، ص257.

(7) ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص154.

(8) المصدر نفسه، ص154.

ولجأت بعض القابلات إلى لف المولود في ثوب أو خرق أحد العلماء أو أهل الصلاح[1] تبركاً بأثره، ومن الطريف ما يذكره ابن الحاج أن بعض القابلات إذا استحسنت الخرقة التي أعدت لإنزال المولود فيها أخذنها لأنفسهن[2]، وعند وضع الطفل، يؤخذ المولود ويؤذن في أذنيه[3]، أما عن تسميته ففي كثير من الأحيان يكون قد اتفق على تسميته قبل الولادة وقد يسمى بعد الولادة[4].

وعقب الولادة تستلقي الأم على الفراش لترتاح من عناء الولادة ولا يزورها إلا المقربات من النسوة، وتباشر في تناول الأطعمة المفيدة لها كالأكباد وتناول المرق، وتكثر من شرب القرفة والكراويا التي تلين المعدة وتدر البول وتريح الرحم[5] بعد الولادة، كما تشرب الحلبة[6] التي تعد ذات قيمة غذائية عالية إضافة لتليينها للمعدة.

بعد مضي أسبوع على الولادة تحتفل الأسرة بالمولود الجديد ويسمى هذا في التقليد المصري "السبوع"[7]، حيث يوضع المولود محمولاً في مهد صغير، ويوضع عند رأسه ليلاً الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف خبز، وقطعة من السكر، وفي يوم السبوع يفرق كل هذا ظناً منهم أن من أخذ منه فقد نال البركة[8]، ويحضر هذا الاحتفال الأطفال، وتفرق الشموع على الأطفال، وتنشد القابلة بعض الأناشيد المتعارف عليها في المجتمع، مفادها الدعوة للطفل أن يكون باراً بوالديه وأن يحيا حياة سعيدة، وتحمل القابلة الطفل وتدور به، وتأخذ بعضهن الملح

---

(1) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص299؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(2) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص300.

(3) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص192؛ زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص179.

(4) الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (611-620هـ)**، ص342؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص193. أما الأسماء التي شاعت في هذا العصر فهي أسماء وكنى مضافة إلى الدين أو منسوبة إليه، مثل: صلاح الدين، وضياء الدين، ونور الدين، ويبدو هذا عائدا للشعور الديني الذي غلب على الناس في هذا العصر. انظر: سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص76.

(5) البيروني، **الصيدنة**، ص303؛ ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص204.

(6) الحلبة: وبذورها تنفع لأوجاع الظهر والرحم وطبخها جيد للإسهال، وهي مفيدة للأورام العارضة في الجسم. انظر: البيروني، **الصيدنة**، ص162؛ ابن البيطار، **تحفة ابن البيطار**، ص204.

(7) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(8) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص305؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

ويقمن بنثره في البيت يميناً ويساراً حماية له من الحسد[1].

واعتادت النساء تقديم الهدايا للأم وقد تكون نقوداً وهي النقوط[2]، وقد تكون بعض الهدايا قماشاً أو حلوى أو بعض النقود الذهبية[3]، وضمن الاحتفال تقدم أصناف من الطعام والحلوى[4] وأشهرها العصيدة[5].

وكانت الطبقة الحاكمة تقيم احتفالات كبيرة ويبالغون بالأطعمة والأشربة التي يقدمونها، واتخذت التهنئة بالمولود الجديد شكل خطابات رسمية[6]، ومن عادة علية القوم إذا ولد لهم مولود اجتمعت سائر نساء الدولة، ففي ولادة الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب سنة (610هـ/1213م) "تزينت حلب، فصيغ له عشرة مهود من الذهب والفضة ونسج للطفل ثلاث فرحيات من اللؤلؤ والياقوت ودرعان وخوذتان وغير ذلك، وثلاثة سروج مجوهرة وثلاثة سيوف غلفها بالذهب والياقوت ورماح أسنتها جوهر منظوم وفرحوا بذلك فرحاً زائداً"[7].

الختان

اختلفت المراحل العمرية التي يختن فيها الطفل، فمنهم من يختن في اليوم السابع من ولادته[8] ومنهم من يختن قبل البلوغ[9]، وهذا بناء على اختيار الأهل للوقت المناسب ومعظم

---

(1) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص305-306؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(2) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص193؛ زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص180.

(3) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص193.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(5) العصيدة: هو دقيق يلت بالسمن ويطبخ. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م3، ص291؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج9، ص63-64.

(7) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص176؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (601-610 هـ)**، ص42؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص297؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص63.

(8) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص310؛ ابن طولون، **فص الخواتم**، ص62؛ السكري، عبدالسلام، (1988م). **ختان الذكر وخفاض الأنثى من منظور إسلامي**. (ط1). القاهرة: دار المنار، ص91. وسيشار إليه فيما بعد، السكري، **ختان الذكر**؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

(9) ابن الحاج، **المدخل**، ج3، ص310؛ ابن طولون، **فص الخواتم**، ص62.

الأسر غالباً ما تحبذ تأجيل ختان الطفل في أيام البرد والحر الشديدين[1] تفادياً للمرض.

وارتبطت أوقات الختان بتقليد مصري قديم، حيث يفضلون ختان الأبناء في شهر بابه (يعادل شهر تشرين الأول)[2] حيث يظنون أنه من الشهور التي يذم فيه كل شيء يراد ثباته[3]، ويبغضون الختان في شهر هتور (يعادل شهر تشرين الثاني)[4] لاعتقادهم أنه من الشهور التي يذم فيه كل شيء يراد انقلابه[5]؛ إذ عدوا الختان تحولاً هاماً في حياة الطفل.

ويتم الختان عادة في الحمامات العامة[6]، ويتولى مهمة القيام بعملية الختان الخاتن والذي يسمى في المجتمع المصري المزين أو الحلاق، وشاع في المجتمع المصري ختان الأنثى ويسمى هذا بالخفض[7]، وتسمى المرأة التي تقوم بذلك الخافضة، والختان أمر يتعلق بالطهارة وصحة البدن[8] حتى يسمى في كثير من المجتمعات الطهور[9]، ومن العادة قبل الختان تهيئة الطفل نفسياً لتحمل الألم وتشجيعه بالحلوى والزينة[10] والدعاء له قبل الختان[11].

ومع اختلاف طبيعة الاحتفالات عند العامة والخاصة إلا إن يوم الختان يعد يوم فرح وسرور، فعند علية القوم تقام الاحتفالات وتمد الأسمطة بكافة أنواع الأطعمة والحلوى[12]

---

(1) خزنة كاتبي، موفق عادل، (1428هـ/2008م). **رسالة في الختان**. (ط1). عمان: دار المأمون، ص46. وسيشار إليه فيما بعد، خزنة كاتبي، **رسالة في الختان**.

(2) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 2، ص 159.

(3) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص 237-238؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

(4) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 2، ص 159.

(5) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص 239-240؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

(6) ابن الحسن، أبو المحاسن محمد بن أبي الحسن علي بن الحسن، **كتاب الإلمام في آداب الحمام**، صورة من .A.U.B، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 802، صورة بالميكروفيلم، ورقة (26) . وسيشار إليه فيما بعد، ابن الحسن، **الإلمام في آداب الحمام**.

(7) السكري، **ختان الذكر**، ص10.

(8) المرجع نفسه، ص12.

(9) الوهراني، **منامات**، ص193؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص222.

(10) خزنة كاتبي، **رسالة في الختان**، ص61.

(11) ابن الجوزي، **لفتة الكبد**، ورقة 208.

(12) الوهراني، **منامات**، ص193-194؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج29، ص91؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

وتسمى الوليمة التي تختص بالختان العذيرة[1]، ويتسابق الشعراء في التهنئة بالختان[2]، وفي احتفالات الختان يوزع الشمع على الأطفال، وفي ذلك يقول الشاعر:

ختان فيه بالكرم اعتبار ... وبالشمع المنير وباليراع
أتى ظبياً وأبدى صبر ليث ... بضنك فيه ذم أخو الدفاع[3]

ومن احتفالات الختان في العصر الأيوبي ختان ابن ضيفة خاتون ابن أحمد بن الملك الظاهر غازي، حيث ختن معه جماعة من الأولاد، وتشارك العامة في مثل هذه الاحتفالات، حيث إن بعضهم يجدونها فرصة لختان أبنائهم[4]، كما يستغل الصوفيون هذه الاحتفالات فيغدق عليهم الهبات والعطايا[5] من خلال حضورهم لاحتفالات الختان.

أما عند العامة فإن الأطفال يختتون في وقت معين، ويسار بالصبي في المدينة فيلبس الطفل أفخر الثياب وتزغرد النساء[6] وتضرب الدفوف[7]، وهذا لعدهم الختان مرحلة هامة في نمو الطفل، وقد تضع النساء أغطية على وجوه الصبيان[8]، حتى لا يصابوا بالعين، ويلجأ بعض الأهل لنقش أيدي أبنائهم بالحناء[9] بعد الانتهاء من ختانهم احتفاءً بهم.

المآتم

---

(1) العذيرة: وهي الطعام الذي يطعم في الختان. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص551؛ ابن طولون، **فص الخواتم**، ص60.

(2) كقول شرف الدين راجح الحلي قصيدة في ختان الملك الصالح صلاح الدين وعمره يومئذ تسع سنين:

نعم جادت الدنيا بما أنت آمله ... فحسبك من آمالها ما يقابله
أحييت بالتطهير سنة وكم ... تبعت نبياً في الذي هو فاعله

انظر: ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج3، ص 221-222.

(3) ابن سعيد الأندلسي، **الغصون اليانعة**، ص87.

(4) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

(5) الوهراني، **منامات**، ص194؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص134.

(6) لوبون، **حضارة العرب**، ص366.

(7) ابن طولون، **فص الخواتم**، ص62.

(8) لوبون، **حضارة العرب**، ص366.

(9) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج2، ص487.

اختلفت طقوس المآتم من طبقة إلى أخرى تبعاً لمستوى المعيشة، مع أن المآتم بشكل عام كان لها تراتيب اجتماعية مشتركة؛ فالميت يغسل[1] وقد وجد من يتولى هذه المهمة وهم الغواسل[2]، أما إن كانت الميتة امرأة فهناك الغاسلة[3]، ويأخذ الغواسل ثياب المتوفى[4] وإذا كان المتوفى من علية القوم حصل الغواسل على مبلغ كبير وعلى ثياب الميت الثمينة[5]، وبعد الغسل يكفن ويوضع في تابوت[6]، ويحمل الكفن ويصلى على الميت في المسجد[7]، ويدفن في المقبرة وإن كان الميت من علية القوم أقيم حول قبره بنيان تعلوه قبة[8]، ومن ذلك قبة الصالح[9].

وكان التعبير عن الحزن في المآتم يرافقه وضع التراب على الرؤوس والبكاء والنحيب وخروج الناس حفاة مخرقين الثياب وشق الثياب ونشر النساء شعورهن[10]، واعتادت النساء قول الشعر في المتوفى[11]، ولم يكن هذا حكراً على النساء فقد قطّع المماليك شعورهم عند وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب[12]، وقد وجدت وظيفة

---

(1) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص158؛ عاشور، الحياة الاجتماعية، ص112.

(2) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص165؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص254؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص201؛ عاشور، الحياة الاجتماعية، ص201.

(3) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص112؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص77.

(4) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص165؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص77.

(5) ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة**، ص165.

(6) ابن مماتي، **الفاشوش**، ص25؛ فولكف، **القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة**، ص83؛ لوبون، **حضارة العرب**، ص368.

(7) لوبون، **حضارة العرب**، ص368؛ عاشور، الحياة الاجتماعية، ص112.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص492؛ لوبون، **حضارة العرب**، ص368.

(9) قبة الصالح: وهي بجوار المدرسة الصالحية بنتها عصمة الدين والدة الخليل شجر الدر لأجل مولاها الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما مات. انظر: المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص492.

(10) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (حققه وقدم له سهيل زكار)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م، ج10، ص276. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الجوزي، **المنتظم**؛ ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، ص11؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق2، ص533؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص66؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج4، ص328؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص135.

(11) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج10، ص276.

(12) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص493.

ارتبطت بعادات المصريين في المآتم وهي النائحة[1]، حيث يستأجرونها للبكاء على الميت والصياح في الجنائز وما يرافقه من تسويد الوجوه وشق الثياب، مع أن الإسلام قد نهى عن اتباع النساء للجنائز[2]، وتكون مدة الحداد ثلاثة أيام[3] يختمون خلالها الختمات عن روح المتوفى[4]، وإذا توفي أحد من السلاطين والأمراء أغلقت الأسواق وعمل العزاء مدة ثلاثة أيام، وفي وفاة الملك الصالح وضع عند قبره سناجق السلطان وبقجته وقوسه[5]، ورتب القراء للقراءة عند قبره[6].

وفي الأعياد تزين القبور وتقضي النساء أياماً حولها بالدعاء للميت[7] من باب البر وزيادة الود لهم والتفجع عليهم.

أما الملابس التي تلبس في المآتم فهناك نوع من الملابس يسمى السلاب[8]، وهي ثياب سود تلبسها النساء في المآتم واتخذت ملابس المآتم من اللون الأبيض[9] كما اعتادوا لبس السواد[10] والملابس الزرقاء[11] دلالة على الحزن.

---

(1) أحمد، **المرأة في مصر**، ص77-78؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص135.

(2) ابن الجوزي، **أحكام النساء**، ص345.

(3) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج10، ص360؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص493؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج4، ص328.

(4) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج8، ق2، ص500.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص493.

(6) المصدر نفسه، م4، ج2، ص493.

(7) ابن الحاج، **المدخل**، ج1، ص280؛ لوبون، **حضارة العرب**، ص368.

(8) العسكري، **التلخيص**، ج1، ص208.

(9) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج10، ص360؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص493؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ص358؛ وفي لبس البياض يقول الشاعر:

وأحسن ملبوس بياض لميت ... وحي فبيض مطلقاً لا تسود

انظر: المقدسي الحنبلي، **منظومة الآداب**، ص13.

(10) الغزي، **نهر الذهب**، ج1، ص201؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص135.

(11) ففي وفاة ملك خاتون زوجة الملك المنصور محمد صاحب حماة ابن الملك المظفر بالغ زوجها في حزنه عليها حتى لبس ثوباً أزرق وعمامة زرقاء. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج16، ص151؛ المرتضى الزبيدي، **ترويح القلوب**، ص108؛ الجعيدي، **طبقة العامة**، ص135.

وكان أهل دمشق يمشون أمام الجنائز بقراء يقرأون القرآن بأصوات شجية، وتلاحين مبكية[1]، كما تضرب النساء الخيام على القبور[2].

الأمثـــال

تُعبِّر الأمثال[3] عن مظاهر الحياة الاجتماعية، ويتداولها الجميع بصورة عامة أياً كانت طبيعتهم في المجتمع، فهي تمثل المجتمع المصري وتتفق مع القيم السائدة في المجتمع.

ومن الأمثال التي شاعت في المجتمع المصري:

ايش تعمل الماشطة في الوجه المشؤوم[4]:

ويصف هذا المثل أن الجمال في الطبع، حيث إن الماشطة، وهي التي تختص بتجميل النساء، لا تستطيع تحسين الوجه القبيح.

للحيطان آذان[5]:

ويضرب هذا المثل في كتمان السر، وفي ذلك يقول الشاعر البهاء زهير:

إياك يدري حديثاً بيننا أحدٌ فهم يقولون: للحيطان آذان
من لي بنومي أشكو ذا السهاد له فهم يقولون: إن النوم سلطان

وقع الفأس في الرأس[6]:

ويضرب هذا المثل عند وقوع المصيبة فلا مجال للتخلص منها.

بفلوسك بنت السلطان عروسك[7]:

---

(1) ابن جبير، **رحلة**، ص267.

(2) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص397.

(3) الأمثال: ومفردها مثل، وهو قول موجز يمتاز بقصره ويتداوله الناس بكثرة في مواقف تشبهه لتدل عليه وهو الشيء الذي يضرب لشيء فيجعله مثله. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م11، ص611.

(4) الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص141؛ عزة، عزت، (2003م). **الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية**. (ط2). القاهرة: مركز الحضارة العربية، ص 256. وسيشار إليه فيما بعد، عزة، **الشخصية المصرية**؛ عطا الله، سامية، (1987م). **الأمثال الشعبية المصرية**. (ط2). القاهرة: مكتبة مدبولي، ص194. وسيشار إليه فيما بعد، عطا الله، **الأمثال الشعبية**.

(5) البهاء زهير، **ديوان بهاء الدين زهير**، ص347؛ التكريتي، عبدالرحمن، (1984م). **دراسات في المثل العربي المقارن**. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ص180. وسيشار إليه فيما بعد، التكريتي، **دراسات في المثل العربي**؛ عطا الله، **الأمثال الشعبية**، ص179؛ عبد الرازق، **البهاء زهير**، ص48.

(6) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص174؛ أشقر، **الطرفة الباهجة**، ص232.

(7) عزة، **الشخصية المصرية**، ص235.

ويضرب هذا المثل تحبيذاً للمال عند الزواج.

لا يضر السحاب نباح الكلاب[1]:

ويقال لمن ينال من الشأن بما لا يضره.

سموك مسحِّر، قال: فرغ رمضان[2]:

دلالة على انتهاء وظيفة المسحر فهي مرتبطة بشهر رمضان، ويقال لمن انتهى دوره.

زاوية بلا عيش بنيت ليش[3]:

ويفيد المثل أن من ضروريات الزاوية تقديم الخبز والطعام.

عين لا ترى قلب لا يحزن[4]:

أي ما لا تراه العين لا يحزن عليه القلب.

تضرب في حديد بارد[5]:

ويضرب هذا المثل عند سؤال البخيل ولمن طمع في غير مطمع.

أسمن كلبك يأكلك[6]:

وهو مثل عربي قديم يضرب لمن يصنع المعروف فيمن لا يستحق.

وقد تأثر المجتمع المصري بالأمثال إلى حد شمل الظروف الطبيعية والأحوال المناخية[7] التي أثرت في المجتمع، ومن هذه الأمثال: "هتور[1] أبو الذهب المنثور"[2] وهنا إشارة

---

(1) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد، (ت539هـ/1144م). **مجمع الأمثال**، ط1، (تحقيق جان عبد الله توما)، دار صادر، بيروت، 1422هـ/2002م، م3، ص184. وسيشار إليه فيما بعد، الميداني، **مجمع الأمثال**؛ العبدري الشيبي، أبو المحاسن محمد بن علي، (ت837هـ/1433م). **تمثال الأمثال**، ط1، (تحقيق أسعد ذبيان)، دار المسيرة، بيروت، 1402هـ/1982م، م2، ص541-542. وسيشار إليه فيما بعد، العبدري الشيبي، **تمثال الأمثال**.

(2) الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص132؛ أشقر، **الطرفة الباهجة**، ص104؛ عزة، **الشخصية المصرية**، ص271.

(3) الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص132.

(4) الوهراني، **منامات**، ص32.

(5) الميداني، **مجمع الأمثال**، م1، ص335؛ العبدري الشيبي، **تمثال الأمثال**، م1، ص396.

(6) انظر: الميداني، **مجمع الأمثال**، م2، ص133؛ ابن شيث، **معالم الكتابة**، ص106.

(7) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص212.

إلى الشهر القبطي هتور الذي يكثر فيه إنتاج القمح. وهناك مثل آخر: "أمشير[3] يقــول للــريح سير"[4] إشارة إلى الشهر القبطي أمشير الذي تشتد فيه الرياح.

الطرائف والنكات

تمثل الطرائف والنكات فــي مــصر فــي العــصر الأيــوبي أحــد مظــاهر الحيــاة الاجتماعية فيه، فكان هناك طرائف ونكات تتحدث عن الأغبيــاء والــسخفاء، ومــن الأمثلــة عليها ما يورده الوهراني من أن بعض المدابير كتب إلى أمه: "منــي إلــى أمــي أمــا بعــد. فإني ما أفلحت عندك ولا ها هنا، دخلت القيروان بكــرة، واشــتهيت أخــذ الولايــة ضــحوة، وأتزوج بنت السلطان عشية، فلــم تــساعدني المقــادير، فرجعــت إلــى ســوق البــز أبيــع وأشتري؛ أبيع ثيابي وأشتري الخبــز، إلــى أن نفــدت البــضاعة، فلزمــت المــساجد فــي أوقات الصلوات أسرق لوالك (أحذية خفيفة) المــصلين، وأرهنهــا عنــد اليهــود الخمــارين، (على النبيذ في المواخير)، طيبي قلبك من جهتــي، وإن قيــل لــك عنــي إنــي مــدبر فــلا تصدقي، والسلام"[1].

وأدت حالة الــصراع بــين المــسلمين والــصليبيين إلــى ظهــور مجموعــة مــن الطرائف والنكات عند المسلمين تــشنع الــصليبيين وتــسخر مــنهم وتتحــدث عــن غبــائهم وسخفهم، ومن الأمثلة عليها ما يورده أسامة بن منقذ من أنــه كــان فــي عــسكر الــصليبيين فارس محتشم إفرنجي قد وصل من بلادهم يحج ويعــود، فــأنس بأســامة وصــار ملازمــه ويدعوه أخاه وبينهما المودة والمعاشرة، فلما عزم على التوجه فــي البحــر إلــى بــلاده قــال له (وكان ابنه أبو الفارس مرهف معه وهو ابن أربع عشرة ســنة): "يــا أخــي، أنــا ســائر إلى بلادي، وأريــدك تنفــذ معــي ابنــك إلــى بــلادي يبــصر الفرســان ويــتعلم العقــل والفروسية، وإذا رجع كان مثل رجل عاقل". فقال أسامة: "وحياتــك، هــذا الــذي كــان فــي

---

(1) هتور: وهو الشهر الثالث من السنة القبطية وهو بالرومي تشرين الثاني، وعدة أيامــه ثلاثــون يومــاً، ويزرع فيه القمح وتكثر فيه البقول. انظر: ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص239-240.

(2) موسى، علي حسن، (1418هـ/1997م). **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**. (ط1). بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ص32. وسيشار إليه فيما بعد، موسى، **الأحوال الجوية**.

(3) أمشير: وهو الشهر السادس من السنة القبطية، وهو بالرومي شباط، وتغرس فيه الأشجار وتقلم الكروم. انظر: ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص245-246.

(4) موسى، **الأحوال الجوية**، ص32.

نفسي، لكن منعني من ذلك ان جدته تحبه وما تركته يخرج معي حتى استحلفتني أني أرده إليها"، قال: "وأمك تعيش؟" قال أسامة: "نعم"، قال: "لا تخالفها"[(2)].

ومن الأمثلة أيضا أن أسامة بن منقذ كان إذا زار بيت المقدس دخل إلى المسجد الأقصى وفي جانبه مسجد صغير جعله الإفرنج كنيسة. فكان إذا دخل المسجد الأقصى وفيه الداوية، وهم أصدقاؤه، يخلون له ذلك المسجد الصغير يصلي فيه، فدخله يوماً فكبر ووقف في الصلاة، فهجم عليه واحد من الإفرنج مسكه ورد وجهه إلى الشرق وقال: "كذا صل" فتبادر إليه قوم من الداوية أخذوه أخرجوه عن أسامة، وعاد أسامة إلى الصلاة، فاغتفلهم وعاد هجم على أسامة ورد وجهه إلى الشرق وقال: "كذا صل!" فعاد الداوية دخلوا إليه وأخرجوه، واعتذروا إليه، وقالوا: "هذا غريب وصل من بلاد الإفرنج هذه الأيام، وما رأى من يصلي إلى غير الشرق"، فقال أسامة: "حسبي من الصلاة!" فخرج وكان يعجب من تغيير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة إلى القبلة[(3)].

ومن الأمثلة أيضا أن أسامة بن منقذ رأى واحداً منهم جاء إلى الأمير معين الدين أنر وهو في الصخرة فقال: "تريد تبصر الله صغيراً؟" قال: "نعم"، فمشى بين أيديهم حتى أراهم صورة مريم والمسيح عليه الصلاة والسلام صغير في حجرها فقال: "هذا الله صغير"[(4)].

ومن الأمثلة أيضا أن أسامة بن منقذ حضر في طبرية في عيد من أعيادهم، وقد خرج الفرسان يلعبون بالرماح، وقد خرج معهم عجوزان فانيتان أوقفوهما في رأس الميدان، وتركوا في رأسه الأخر خنزيراً سمطوه وطرحوه على صخرة، وسابقوا بين العجوزين ومع كل واحدة منهن سرية من الخيالة يشدون منها، والعجائز يقمن ويقعن على كل خطوة، وهم يضحكون، حتى سبقت واحده منهن، فأخذت ذلك الخنزير في سبقها[(5)].

وهناك طرائف ونكات تتحدث عن غبائهم وسخفهم في الطب، ومن الأمثلة عليها ما يورده أسامة بن منقذ أن صاحب المنيطرة (قرب أفقه عند منبع نهر إبراهيم في شمالي لبنان)

---

(1) الوهراني، **منامات الوهراني**، ص207.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص132.

(3) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص132-133.

(4) المصدر نفسه، ص133.

(5) المصدر نفسه، ص138.

كتب إلى عم أسامة يطلب منه إنفاذ طبيب يداوي مرضى من أصحابه، فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت، فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقالوا له: "ما أسرع ما داويت المرضى!". قال: "أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف (بله)، فعملت للفارس لبخة ففتحت الدملة وصلحت، وحميت المرأة ورطبت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي فقال لهم: "هذا ما يعرف شيئاً يداويهم". وقال للفارس: "أيما أحب إليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟"، قال: "أعيش برجل واحدة"، قال: "أحضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً"، فحضر الفارس والفأس، وأنا حاضر، فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس: "اضرب رجله بالفأس ضربةً واحدةً اقطعها"، فضربه ضربة واحدةً ما انقطعت، فضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق، ومات من ساعته، وأبصر المرأة فقال: "هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها"، فحلقوه، وعادت تأكل من مآكلهم الثوم والخردل، فزاد بها النشاف، فقال: "الشيطان قد دخل في رأسها". فأخذ الموسى وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح، فماتت في وقتها، فقلت لهم: "بقي لكم إلي حاجة؟" قالوا: "لا"، فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم أكن أعرفه"[(1)].

ومن الأمثلة أيضا أنه كان عندهم في بلادهم فارس كبير القدر فمرض وأشرف على الموت، فجاؤوا إلى قس كبير من قسوسهم قالوا: "تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلانا؟" قال: "نعم"، ومشى معهم وهم متحققون أنه إذا حط يده عليه عوفي، فلما رآه قال: "أعطوني شمعاً"، فأحضروا له قليل شمع، فلينه وعمله مثل عقد الإصبع، وعمل كل واحدة في جانب أنفه، فمات الفارس، فقالوا له: "قد مات" قال: "نعم، كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح"[(2)].

وهناك طرائف ونكات تتحدث عن غبائهم وسخفهم في القضاء، ومن الأمثلة على ذلك أن حرامية من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس فاتهموا بها رجلا من الفلاحين وقالوا: "هو دل الحرامية على الضيعة"، فهرب، فنفذ الملك فقبض أولاده، فعاد إليه وقال: "أنصفني، أنا أبارز الذي قال عني أنى دللت الحرامية على القرية"، فقال الملك لصاحب القرية المقطع: "أحضر من يبارزه"، فمضى إلى قريته وفيها رجل حداد فأخذه وقال له: "تبارز" إشفاقا من المقطع على فلاحيه لا يقتل منهم واحد فتخرب فلاحته". والتقيا فكان الشيخ يلز ذلك الحداد، وهو

---

(1) ابن منقذ، **الاعتبار** ، ص132-132.

(2) المصدر نفسه، ص137-138.

يتأخر حتى يلجئه إلى الحلقة، ثم يعود إلى الوسط، وقد تضارا حتى بقيا كعمود الدم، فطال الأمر بينهما، ونفع الحداد إدمانه بضرب المطرقة، وأعيى ذلك الشيخ، فضربه الحداد، فوقع، ووقعت عصاه تحت ظهره، فبرك عليه الحداد يداخل إصبعه في عينيه ولا يتمكن من كثرة الدم من عينيه، ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله، فطرحوا في رقبته في الوقت حبلاً وجروه وشنقوه. وجاء صاحب الحداد أعطاه غفارته وأركبه خلفه وأخذه وانصرف[1].

ومن الأمثلة أيضا أن رجلا أمه كانت مزوجة لرجل إفرنجي، فقتلته، وكان ابنه يحتال على حجاجهم ويتعاون هو وأمه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الإفرنج: جلسوا بتية (برميل من الخشب) عظيمة وملؤوها ماء وعرضوا عليها دف خشب وكتفوا ذلك المتهم وربطوا في كتافه حبلاً ورموه في البتية – فإن كان بريئاً غاص في الماء فرفعوه بذلك الحبل لا يموت في الماء، وإن كان له الذنب ما يغوص في الماء، فحرص ذلك لما رموه في الماء أن يغوص، فما قدر، فوجب عليه حكمهم، فكحلوه. ثم إن الرجل وصل إلى دمشق فأجرى له الأمير معين الدين أنر ما يحتاجه. وقال لبعض غلمانه: "تمضي به إلى برهان الدين البلخي تقول له: "تأمر من يقرئ هذا القرآن وشيئاً من الفقه"، فقال له ذلك الأعمى: "النصر والغلب! ما كان هذا ظني !" قال: "وما ظننت بي!" قال: "تعطيني الحصان والبغلة والسلاح وتجعلني فارساً" قال: "ما اعتقدت ان أعمى يصير من الفرسان"[2].

وهناك طرائف ونكات تتحدث عن خلوهم من الغيرة على العرض، ومن الأمثلة على ذلك ما يورده أسامة بن منقذ من أنه يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته ويلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى[3].

ومن الأمثلة أيضا أن أسامة بن منقذ كان إذا نزل إلى نابلس أنزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح إلى الطريق، ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل إفرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه ويقول: "فلان التاجر قد فتح بتية من هذا الخمر، من أراد منها شيئاً فهي في موضع كذا وكذا"، وأجرته عن ندائه النبيذ

---

(1) المصدر نفسه، ص138–139.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص139–140.

(3) المصدر نفسه، ص135.

الذي في تلك القنينة، فجاء يوماً ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش فقال له: "أي شـــيء أدخلـــك عند امرأتي؟" قال: "كنت تعبان دخلت أستريح"، قال: "فكيف دخلت إلى فراشي؟" قال: "وجـــدت فراشاً مفروشاً نمت فيه"، قال: "والمرأة نائمة معك؟" قال: "الفراش لها، كنت أقدر أن أمنعها من فراشها؟" قال: "وحق ديني إن عدت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت"[1].

ومن الأمثلة أيضا أنه كان رجل حمامي يقال له سالم من أهل المعرة فتح حمامـــا فـــي المعرة يتعيش فيها، فدخل إليها فارس منهم، وهم ينكرون على من يشد في وسطه المئزر فـــي الحمام، فمد يده فجذب مئزر سالم من وسطه رماه، فرآه وهو قريب عهد بحلق عانتـــه، فقـــال: "سالم"، فتقرب منه سالم، فمد يده على عانته وقال: "سالم، جيد! وحق ديني اعمـــل لـــي كـــذا"، واستلقى على ظهره وله مثل لحيته في ذلك الموضع، فحلقه فمر يده عليه فاستوطأه فقال: "سالم، بحق دينك اعمل للداما يعني امرأته، وقال لغلام له: "قل للداما تجيء"، فمضى الغلام وأحضرها وأدخلها، فاستلقت على ظهرها وقال: "اعمل كما عملت لي"، فحلق ذلك الشعر وزوجهـــا قاعـــد ينظره، فشكره ووهبه حق خدمته[2].

ومن الأمثلة أيضا أن أسامة بن منقذ دخل الحمام بمدينة صور فجلس في خلـــوة فيهـــا، فقال له بعض غلمانه في الحمام: "معنا امرأة"، فلما خرج جلس على المصاطب وإذا التي كانت في الحمام قد خرجت وهي مقابله قد لبست ثيابها وهي واقفه مع أبيها ولم يتحقق أنها امرأة، فقال لواحد من أصحابه: "بالله أبصر هذه امرأة هي"، وهو يقصد أن يسأل عنها، فمضى، وهو يراه، رفع ذيلها وطلع فيها فالتفت إليه أبوها وقال: "هذه ابنتي، ماتت أمها وما لها من يغسل رأســـها، فأدخلتها معي الحمام غسلت رأسها"، قال أسامة: "جيد عملت، هذا لك فيه ثواب"[3].

وهناك طرائف ونكات سببها االصراع بين رجال الدولة وتمثل الصراع بـــين المـــدنيين والعسكريين فالمدنيون يشنعون على العسكريين ويسخرون منهم ويتحدثون عن غبائهم وسخفهم، فهذا ابن مماتي يؤلف كتاب "الفاشوش في حكم قراقوش"[4] يشنع فيه على قراقوش[1] ويسخر منه

---

(1) المصدر نفسه، ص136.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص136–137.

(3) المصدر نفسه، ص137.

(4) أسعد بن مماتي: كان ناظر الدواوين بمصر، ومن الأدباء المعروفين، وأصله من نصارى أسيوط ثم أسلم والده وأبناؤه، وقد توفي بحلب سنة 606هـ/1209م. وله مصنفات كثيرة، وديوان شعر. عمـــاد الـــدين الأصبهاني، **خريدة القصر، قسم شعراء مصر**، ج1، ص100؛ ابن خلكان، **وفيـــات الأعيـــان**، ج1، ص

ويتحدث عن غبائه وسخفه، ومن الأمثلة على ذلك:

حكي عن قراقوش أنه نشر قميصه، فوقع القميص من على الحبل، فلما بلغه ذلك تصدق بألف درهم، وقال: "لو كنت لابسا هذا القميص وقت وقوعه لانكسرت!"[(2)].

وحكي أن جنديا نزل في كركب، وكان به فلاح وزوجته، وكانت الزوجة حاملا، في سبعة أشهر، وضربها الجندي فسقطت. فذهب الفلاح إلى الأمير بهاء الدين قراقوش، وشكا إليه الجندي، فقال الأمير بهاء الدين للجندي: "خذ زوجة الفلاح عندك، وأطعمها واسقيها، حتى تصير في سبعة أشهر ثم أعدها إلى زوجها" فقال الفلاح: "يا مولانا-تركت أجري على الله". وأخذ زوجته وذهب[(3)].

وحكي أنه كان بمصر رجل تاجر، وكان بخيلا، وكان ولده يقترض على موته قدرا معلوما، فزاد عليه الدين، ولم يمت والده، فاتفق مع الغرمء أن يدفنوا والده بالحياة.: فدخل هو والدائنون عليه، وغسلوه، وكفنوه، ووضعوه في النعش، وهو يصيح فلا يغاث. وجاؤوا حول تابوته وهم يذكرون ويصيحون، فلما وصلوا للصلاة عليه اتفق أن قراقوش كان مارا، فنزل وصلى عليه. فلما سمع الميت بذلك قال: "الحمد لله جاءني الفرج." فجلس في التابوت، وقال: "يا مولانا السلطان: خذ لي بحقي من ولدي هذا. فإنه يريد دفني بالحياة!" فاتجه الأمير قراقوش إلى الولد وقال له: "كيف تدفن والدك بالحياة!" فقال الولد: "كذب عليك يا مولانا السلطان، ما غسلته إلا وهو ميت، ولا حملته على النعش إلا وهو ميت، وهؤلاء الحاضرون يشهدون بذلك". فقال للحاضرين: "أتشهدون بذلك؟" فقالوا: "نشهد بما يقول الولد!" فالتفت قراقوش للميت وقال: "أأنا مجنون، أصدقك وحدك وأكذب هؤلاء الحاضرين!روح اندفن بلا سقاعة، لئلا تطمع فينا الموتى، ولا يبقى أحد يندفن بعد هذا اليوم!" فحملوه ودفنوه بالحياة في ذمة قراقوش![(4)].

210-213؛ الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص 302.

(1) أبو سعيد بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي، نسبة إلى مولاه أسد الدين شيركوه، خدم صلاح الدين، وناب عنه في بعض المناسبات وأشرف على بناء القلعة والسور، وقناطر الجيزة، ثم تولى أمور عكا بعد فتحها وسورها، وأسره الفرنج ثم افتدي وأطلق سراحه، ثم توفي سمة 597هـ/1200م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج4، ص91-92، ؛ الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص193.

(2) ابن مماتي، **الفاشوش**، ص20.

(3) ابن مماتي، **الفاشوش**، ص21

(4) المصدر نفسه، ص25.

الفصل الثالث

المؤسسات الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي

يتناول هذا الفصل المؤسسات الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، فيتناول المدارس والتصوف والبيمارستانات والحمامات ومؤسسات الآداب الاجتماعية في مصر في هذه العصر.

المدارس

عُدَّت المدارس[1] من المؤسسات الاجتماعية الهامة في المجتمع الأيوبي؛ باعتبارها مكاناً لتلقي العلم، ولمّا خلف الأيوبيون الفاطميين في حكم مصر اتجه صلاح الدين لبناء المدارس السنية لتوطيد المذهب السني[2] في مصر، وقدم المقريزي عرضا مفصلا للمدارس في العصر الأيوبي مشيرا إلى سنة بنائها ومؤسسيها ومذاهبها الفكرية وهي :

المدارس الشافعية

المدرسة الناصرية: بناها السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى وهي مجاورة لتربة الإمام الشافعي[3] لفقهاء الشافعية[4]، وهي أول مدرسة أحدثت بديار مصر بجوار الجامع العتيق بمصر[5].

---

(1) المدارس وجذرها درس، ودرس الكتاب تعني عانده حتى انقاد لحفظه وهي إشارة للمكان الذي يكثر فيه القراءة والعلم. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م6، ص79-80.

(2) زايد، مصطفى محمود أحمد محمود، (1424هـ/2004م). **النثر الفني في عهدي الدولتين الزنكية والأيوبية في مصر والشام.** (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ص48. وسيشار إليه فيما بعد، زايد، **النثر الفني**.

(3) انظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص224؛ مبارك، علي، (1425هـ/2004م). **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة.** القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ج1، ص71. وسيشار إليه فيما بعد، مبارك، **الخطط التوفيقية**؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 108.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص32؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، م6، ج12، ص263؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص18؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص754؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص224؛ عبد المنعم، صبحي، (1994م). **تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين 31هـ-648هـ.** القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ص258. وسيشار إليه فيما بعد، عبد المنعم، **تاريخ مصر**؛ زايد، **النثر الفني**، ص48.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص453.

المدرسة القطبية العتيقة: وهي بالقاهرة في خط سويقة الصاحب، أنشأها الأمير قطب الدين الكردي أحد أمراء السلطان صلاح الدين سنة 570هـ/1174م[1].

المدرسة الصلاحية: بناها السلطان صلاح الدين بعد سقوط الخلافة الفاطمية في القاهرة، ووصفت بأنها أعظم مدارس الدنيا[2].

المدرسة الفخرية: وهي إحدى مدارس القاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس[3]. عمر هذه المدرسة الأمير فخر الدين أبو الفتح أستاذدار الملك الكامل محمد بن العادل[4] وهو كبير الأمراء، بنيت سنة 622هـ/1225م.

المدرسة السيفية: وهي بالقاهرة وموضعها من جملة دار الديباج التي كانت داراً وهي من المدرسة القطبية[5]. وبناها الأمير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب[6].

المدرسة القطبية: وموضعها في أول حارة زويلة برحبة كوكاي، عرفت بالست الجليلة عصمت الدين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد وإليه نسبت[7].

منازل العز: وهي من دور الخلفاء الفاطميين، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز[8] وعرفت بمنازل العز، وصارت معدة لنزهة الخلفاء. ومع زوال الدولة الفاطمية نزل فيها الأمير تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي، فاشتراها ووقفها على فقهاء الشافعية[9].

المدرسة الشريفية: وقف هذه المدرسة في القاهرة الأمير فخر الدين أبو منصور إسماعيل ووقف عليها أملاكه[10].

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص459–460؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 108.

(2) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص257.

(3) انظر: المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص466.

(4) المصدر نفسه، م4، ج2، ص466.

(5) المصدر نفسه، م4، ج2، ص467.

(6) ظهير الدين سيف الإسلام الملك المعز طغتكين بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الأيوبي توفي سنة 593هـ/1196م بالمنصورة. انظر: المصدر نفسه، م4، ج2، ص467–468.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص 468.

(8) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص192. وسيشار إليه فيما بعد، ابن طوير، **نزهة المقلتين**.

(9) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص32، المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص456–457.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص481–484.

المدرسة الصيرمية: وهي في القاهرة بناها الأمير جمال الدين سونج ابن صيرم أحد أمراء السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب[1].

مدرسة ابن الأرسوفي (المدرسة الأرسوفية): بناها التاجر عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوفي[2] سنة 570هـ/1174م.

المدرسة الفائزية: أنشأها الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي[3] سنة 636هـ/1238م.

المدارس المالكية

المدرسة القمحية[4]: وهي بجوار الجامع العتيق بمصر، وعرف موضعها بدار الغزل، بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي[5] سنة (566هـ/1170م) وعدت أجل مدرسة للفقهاء المالكية وسميت بذلك لما يتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم من القمح فيفرق عليهم[6].

مدرسة العادل: عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين[7].

مدرسة بني رشيق: بناها علم الدين بن رشيق في القاهرة، ودرس فيها حتى نسبت إليه[8].

المدرسة الصاحبية: أنشأها الوزير عبد الله بن علي بن شكر وكانت من جملة دار الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس في القاهرة[1].

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص503.

(2) ابن دقماق، **الانتصار**، ق1، ص98؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص456؛ عبد المنعم، **تاريخ مصر**، ص262-263.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص459.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص32؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، م6، ج12، ص263؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص455؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص224؛ عبد المنعم، **تاريخ مصر**، ص258؛ زايد، **النثر الفني**، ص48؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 108.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص455.

(6) المصدر نفسه، م4، ج2، ص455.

(7) المصدر نفسه، م4، ج2، ص458.

(8) ابن دقماق، **الانتصار**، ق1، ص96؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص459.

المدرسة المسرورية: وهي بالقاهرة، عمرها أحد خدام القصر مسرور الصفدي، وما يميزها أنها ليس لها وقف بالديار المصرية؛ بل إن وقفها بالشام[2].

المدارس الحنفية

المدرسة السيوفية[3]: وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله الفاطمي[4] وقفها السلطان صلاح الدين على الحنفية[5]، عرفت بالسيوفية لقربها من سوق السيوفيين وهي أول مدرسة وضعت على الحنفية بديار مصر[6].

المدرسة الأزكشية: عمر هذه المدرسة الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي مملوك أسد الدين شيركوه[7] وأحد أمراء السلطان صلاح الدين.

المدرسة العاشورية: وموضعها بحارة زويلة من القاهرة، اشترتها الست عاشوراء بنت سياروج الأسدي زوجة الأمير أيازكوج الأسدي ووقفتها على الحنفية[8].

المدرسة الغزنوية وبناها أحد المماليك التابعين لنجم الدين أيوب المعروف بالعتيق حسام الدين قايماز وعين الشيخ شهاب الدين الغزنوي مدرساً لها فعرفت به[9].

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص476.

(2) المقريزي، **المواعظ** ، م4، ج2، ص504؛ صبرة، عفاف سيد محمد، (1992م). المدارس في العصر الأيوبي. في: عبد العظيم رمضان (محرر)، **تاريخ المدارس في مصر الإسلامية أبحاث ندوة "المدارس في مصر الإسلامية" التي أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وعقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية من 22-25 أبريل 1991م** (ص137-200). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.، ص163، وسيشار إليه فيما بعد، صبرة، المدارس.

(3) ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، م2، ص5، عبد المنعم، **تاريخ مصر**، ص259.

(4) ابن طوير، **نزهة المقلتين**، ص67.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص460.

(6) المصدر نفسه، م4، ج2، ص461.

(7) ابن دقماق، **الانتصار**، ق1، ص94-95؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص465.

(8) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص468؛ صبرة، المدارس، ص162.

(9) صبرة، المدارس، ص164.

المدارس الشافعية والمالكية معاً

المدرسة الفاضلية: تقع بدرب ملوخيا من القاهرة وبناها القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين سنة 580هـ/1184م[1]. فنسبت إليه ورتب فيها التدريس على المذهبين الشافعي والمالكي[2] وأوقفت عليها كتب قيمة.

مدرستا الفيوم: عمرها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي وهما مدرستان بمدينة الفيوم[3] إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية[4].

مدارس المذاهب الأربعة

المدرسة الصالحية: حيث قام الملك الصالح نجم الدين أيوب ببناء هذه المدرسة للمذاهب الأربعة بين القصرين[5] فبنى المدرسة الصالحية ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة[6] سنة 641هـ/1243م. ومما زاد أهمية المدرسة أنها أول مدرسة تضمنت دروساً أربعة في مكان واحد.

المدرسة الكاملية: أمر بأنشاء هذه المدرسة الملك الكامل لتدريس الحديث سنة 621هـ/1224م[7].

---

(1) انظر: المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص462.

(2) أبو شامة، **ذيل**، ص27؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص462؛ النعميي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت927هـ/1520م). **الدارس في تاريخ المدارس**، (تحقيق جعفر الحسني)، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، 1988م، ج1، ص92. وسيشار إليه فيما بعد، النعيمي، **الدارس**؛ زايد **النثر الفني**، ص48.

(3) الفيوم: هي ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، أرضها منخفضة، انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م4، ص 286م.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص458.

(5) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص37؛ ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، م2، ص17؛ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، (ت1237هـ/1821م). **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ط1، (ضبطه مصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ج1، ص23، وسيشار إليه فيما بعد، الجبرتي، **عجائب الآثار**.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص485.

(7) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص30؛ ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، م2، ص14؛ عبد الحميد، ملاحظات عن مصر، ص109؛ صبرة، المدارس، ص154.

أما مذهب أحمد بن حنبل فقد انتشر في أواخر الدولة الأيوبية[1]، ولم يوجد له مدارس خاصة في المذهب الحنبلي في المصادر التي تحدثت عن المدارس في مصر في العصر الأيوبي.

ويتبين لنا مما سبق أن النساء شاركن في بناء المدارس؛ مما جعل لهن دوراً في إثراء الحركة العلمية والفكرية في العصر الأيوبي[2] كالمدرسة القطبية التي أوصت ببنائها الست الجليلة عصمة الدين مؤنسة خاتون[3] وعاشوراء بنت سياروج الأسدي[4] صاحبة المدرسة العاشورية[5]، للمذهب الحنفي[6]، أما ربيعة خاتون[7] فقد بنت الكثير من المدارس وإن كان نشاطها الاجتماعي في الشام.

أسلوب التدريس في المدارس في العصر الأيوبي

أما منهاج الدراسة فقد اعتادوا على وضع نظام يتعلق بالدراسة والطلاب وهيئة التدريس؛ فكان السلطان أو من ينوب عنه يعين أحد العلماء أو الفقهاء رئيساً للمدرسة، وكان في الأغلب من المدرسين القدماء أو الفقهاء المعروفين[8] وكان منهاج المدرسة يختلف عمّا يُقدَّم في المسجد أو في البيت، لكن المحتسب حاول إيجاد إطار عام لتنظيم المنهاج[9] كتعليم القرآن والعربية، والظاهر أن مناهج الدراسة ارتبطت بحاجات المجتمع حيث سعت إلى توطيد الدين عند الطلاب، وتشجيعهم على الجهاد لما تطلبته الظروف الحربية من مواجهة الصليبيين ودحرهم.

---

(1) عبد المنعم، **تاريخ مصر**، ص259.

(2) الخطيب، **دور**، ص89.

(3) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص468.

(4) المصدر نفسه، م4، ج2، ص468.

(5) المصدر نفسه، م4، ج2، ص468؛ الخطيب، **دور**، ص93.

(6) الخطيب، **دور**، ص93.

(7) ابن دقماق، **نزهة الأنام**، ص 162؛ التونجي، **معجم أعلام النساء**، ص89.

(8) زايد، **النثر الفني**، ص50.

(9) الخطيب، **دور**، ص154.

واستقطب الأيوبيون العلماء لتعيينهم مدرسين في مدارس مصر من أمثال عبد اللطيف البغدادي وابن دحية[1].

ومع التوسع في إنشاء المدارس بهدف نشر مذهب السنة في مصر، فقد تمّ التعهد بالإنفاق على المدارس فكانت أرزاق العلماء والقضاة على السلطان وأكثرها خمسون ديناراً في كل شهر[2].

أما المدارس التي نشأت بموجب الوقفيات فكان يحدد مقدار الوقف المخصص لها[3]. كما تعهدت الدولة بالإنفاق على الطلبة الوافدين إلى القاهرة والإسكندرية، لطلب العلم أو الإقامة فيها[4]، وتعهدت بتوفير مساكن للطلبة، وقد فتحت المدارس أبوابها لأبناء المدينة وغيرهم.

وانتشرت بيوت مؤدبي الصبيان[5] فاعتاد الناس على إرسال أولادهم إليها، ويبدو أن الفتيات قد امتُنِع عن إرسالهن لبيوت مؤدبي الصبيان؛ حيث اجتمع فيه عدد من الذكور من مختلف الأعمار، وقد يتعرضون لتعلم بعض العادات السيئة[6]، لذلك أوصى المحتسب ألا يسمح للمؤدب بالعمل إذا لم يكن متزوجاً[7] واشترط فيه أن يكون شيخاً كبيراً مشتهراً بالدين والخير والصلاح[8].

---

(1) الخطيب، **دور**، ص236.

(2) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج3، ص270.

(3) النعيمي، **الدارس**، ج1، ص333؛ الخطيب، **دور**، ص90.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص16؛ شبارو، عصام محمد، (1994م). **السلاطين في المشرق معالم دورهم السياسي والحضاري السلاجقة الأيوبيون**. بيروت: دار النهضة العربية، ص221. وسيشار إليه فيما بعد، شبارو، **السلاطين**؛ زايد، **النثر الفني**، ص49.

(5) زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص174.

(6) الشيزري، **نهاية**، ص104؛ زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص174.

(7) الشيزري، **نهاية**، ص104؛ زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص174.

(8) الشيزري، **نهاية**، ص104؛ زعرور، **الحياة الاجتماعية**، ص174.

وانبرى العلماء على دراسة العلوم بأنواعها المختلفة، فمنها الاجتماعيـــة والتاريخيـــة[1] وعلم الفلك[2] الذي يبحث في معرفة منازل النجوم وأسمائها[3] وكثرت كتب الرحلات والرحالة الذين جابوا البلاد[4].

وقد وجدت إضافة للمدارس التي تخصصت في تدريس المذاهب الأربعة، المــدارس التـــي اختصت بالعلوم العلمية التي نالت نصيبا وافرا من الدراسة كالطب والصيدلة[5] بهدف تخـــريج الأطباء والصيادلة الأكفياء. ويبدو هذا واضحا من خلال مؤلفات هذا العصر[6] وكثرة الأطباء.

أما الحركة الأدبية في هذا العصر[7] بشقيها النثري والشعري، فكثيرة هي المؤلفات في هذا المجال.

ولاقت العلوم الدينية اهتماماً في المدارس خاصة بعد استمرار الحروب الــصليبية[8] ومــا ترتب عليها من أحداث جسيمة.

---

(1) زايد، **النثر الفني**، ص52.

(2) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص56؛ زايد، **النثر الفني**، ص54.

(3) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص56؛ زايد، **النثر الفني**، ص54.

(4) ومنها كتاب رحلة ابن جبير، وكتاب الإفادة لعبد اللطيف البغدادي، انظر: زايد، **النثر الفني**، ص54.

(5) المرجع نفسه، ص49.

(6) ومن هذه الكتب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة وكتاب ابن البيطار إمام العشابين. انظر: المرجع نفسه، ص55.

(7) ومن هذه الكتب كتاب ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وابن منقذ البــديع فـــي نقــد الشعر، وكثرت المؤلفات التي تناولت الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومنها كتاب عبد العظيم بن أبي الإصبع المصري بدائع القرآن، والإمام العز بن عبد السلام الإشارة إلى الإيجاز فـــي بعــض أنـــواع المجاز. انظر: المرجع نفسه، ص50—62.

(8) الخطيب، **دور**، ص240.

الأوقاف[1]

شرعت الأوقاف لتكون صدقة جارية، وقدمت خدمات اجتماعية امتدت لتشمل الأيتام وطلبة العلم والفقراء والمتصوفة.

واتخذت الأوقاف أشكالاً عدة منها الإشراف على إنشاء المساجد، حتى إنها ساهمت في تحقيق شهرة واسعة للمساجد الكبرى في مصر[2] وعد هذه المساجد مركزاً للحركة العلمية في العالم الإسلامي وعملت على استمرار دور زوايا العلم في المساجد.

وانتشر نظام الوقف على الأيتام وتعليمهم وكسوتهم[3] خاصة وأن الدولة الأيوبية واجهت الغلاء والأزمات الاقتصادية فكان لا بد من توفير حياة كريمة للفقراء؛ وعمد صلاح الدين إلى وقف أراضي بيت المال على مختلف المؤسسات الدينية والأرامل والأيتام[4].

ومع إنشاء المدارس في العصر الأيوبي في مدن مصر فقد أوقفت العديد من الأوقاف عليها، فقد أوقف على المدرسة القمحية ضيعة بالفيوم، ووقف عليها قيسارية الوارقين[5]. كما أوقف تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي على منازل العز الحمام وفندق النخلة والروضة[6].

وأوقف القاضي الفاضل على مدرسته جملة عظيمة من الكتب المفيدة حتى قيل إنها كانت مئة ألف مجلد[7].

---

(1) جذرها وقف، وتعني وقف الأرض على المساكين أي حبسها كقولنا وقفت الدابة والأرض. ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص359.

(2) أمين، محمد محمد، (1980م). **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـ/1250-1517م دراسة تاريخية وثائقية**. القاهرة: دار النهضة العربية، ص39، وسيشار إليه فيما بعد، أمين، **الأوقاف**.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، م14، ج31، ص184.

(4) أمين، **الأوقاف**، ص61.

(5) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص455.

(6) المصدر نفسه، م4، ج2، ص457.

(7) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص462.

واتخذت الأوقاف في العصر الأيوبي خصوصية؛ حيث إنها رافقت الحروب الصليبية فكانت هذه الأوقاف وسيلة لفك الأسرى فأوقف صلاح الدين جميع الموارد المتحصلة من مدينة بلبيس لفك أسر بعض سكان مدينة بلبيس الذين أسرهم الصليبيون في حملتهم على مصر سنة (564هـ/1168م)[1].

وحذا رجال الدولة حذوه؛ فقد أوقف القاضي الفاضل دار التمر[2] على فكاك الأسرى من المسلمين ببلاد الفرنج[3].

وأقبل السلاطين والأمراء وميسورو الحال على إنشاء الأسبلة التي تنتشر على الطرقات[4]، لتوفير الماء للغرباء والمارين فيها.

---

(1) أمين، **الأوقاف**، ص62.

(2) دار التمر: وهي بمدينة مصر، انحسر عنها ماء النيل وتعرف بصناعة التمر، وقد وقفها القاضي عبد الرحيم البيساني على فكاك الأسرى من المسلمين ببلاد الفرنج انظر: المقريزي، **المواعظ**، م3، ص259.

(3) المصدر نفسه، م3، ص258-259.

(4) عاشور، الحياة الاجتماعية، ص116.

التصوف

أدت أهوال الحروب الصليبية وويلاتها، والزلازل والأوبئة والمجاعات التي تعرضت لها مصر وما نتج عنها من فجائع، وما أثارته في النفوس من خوف[1] إلى اتجاه كثير من الناس إلى الزهد[2].

كان للتصوف[3] دور واضح في العصر الأيوبي، إذ بات امتداداً للعصور السابقة، لكنه تطور وأخذ طابعاً خاصاً، حيث شكّل ظاهرة سادت في هذا العصر بعد الحروب التي اكتوت بها ديار الإسلام نتيجة الغزو الصليبي، وسوء الأوضاع الاقتصادية وغلاء الأسعار[4] وكثرة حدوث الزلازل[5] التي كانت من شأنها جميعاً أن ألجأت البعض للزهد والتقشف.

والتصوف كظاهرة سادت تناسب أوضاع مصر[1]، فمصر تشكل تربة صالحة لنمو التصوف؛ حيث تعد الفلسفة نباتاً أجنبياً لا يصلح له بلاد كمصر، وإنما يصلح لها نبات آخر يلائم هذه البلاد وهذا النبات هو التصوف. وقد شجع السلاطين الأيوبيون التصوف والمتصوفة،

---

(1) ابن الأثير، **المثل**، ق1، ص163-164.

(2) البنداري، **سنا**، ص153.

(3) تباينت الآراء حول كلمة تصوف، فالبعض ذكر أن الصوفي من صفا من الكدر وهو من الصفاء وانقطع إلى الله تعالى وصفا قلبه. انظر: السهروردي، شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي، (ت632هـ/1234م). **عوارف المعارف**، ط1، (ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م، ص39-40. وسيشار إليه فيما بعد، السهروردي، **عوارف المعارف**؛ عيسى، عبد القادر، (1404هـ/1981م). **حقائق عن التصوف**. (ط4). عمان: المطبعة الوطنية، ص16. وسيشار إليه فيما بعد، عيسى، **حقائق عن التصوف**؛ أحمد، عبد الفتاح محمد سيد، (1420هـ/2000م). **التصوف بين الغزالي وابن تيمية**. (ط1). المنصورة: دار الوفاء، ص13. وسيشار إليه فيما بعد، أحمد، **التصوف**. ومنهم من ذكر أنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل. انظر: السهروردي، **عوارف المعارف**، ص42؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص725. وقيل سموا نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: السهروردي، **عوارف المعارف**، ص42؛ عيسى، **حقائق عن التصوف**، ص17؛ أحمد، **التصوف**، ص13. والبعض ذكر أنهم سمّوا بذلك نسبة إلى لبس الصوف، فاختاروا لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وهي تنبئ عن زهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس. انظر: السهروردي، **عوارف المعارف**، ص41؛ عبد المجيد، علي حسن علي، (1415هـ/1994م). **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس** لابن الجوزي، (ت 597هـ/1200م). (ط2). الدمام: دار ابن الجوزي، ص209. وسيشار إليه فيما بعد، عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**؛ قاسم، عبد الحكيم عبد الغني محمد، (1989م). **المذاهب الصوفية ومدارسها**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ص12. وسيشار إليه فيما بعد، قاسم، **المذاهب الصوفية**.

(4) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص251.

(5) غوانمة، **الزلازل**، ص32.

واتخذوها وسيلة لمقاومة المذهب الشيعي[2] والإعداد للجهاد، خاصة وأن التصوف مرتبط بصفة الانقطاع للعبادة والزهد، ومن مظاهر تشجيع الأيوبيين للتصوف وقف نجم الدين أيوب بن شاذي الجزيرة المعروفة بجزيرة الصابوني على الشيخ الصابوني[3] وأولاده[4] ووقف نصفها الآخر على صوفية بمكان جوار قبة الإمام الشافعي، وهذا يدل على إدراك الأمراء لأهمية هذه الظاهرة ودورها الاجتماعي، حيث كان لهؤلاء الفقهاء المتصوفة دور واضح في مناصرة المذهب السني، حتى يُذكر أنه لما ملك صلاح الدين الديار المصرية واستفتى الفقهاء كان أكثر الفقهاء مبالغة في نقد الفاطميين الصوفي الفقيه الشافعي[5] الشيخ نجم الدين الخبوشاني[6].

وتمثلت سياسة صلاح الدين في كسب ود المصريين وخاصة المتصوفة منهم حيث قرّب الفقراء والمتصوفة[7] واتخذ التصوف وسيلة للقضاء على المذهب الشيعي بقيامه بتحويل إحدى الدور الفاطمية المواجهة لدار الوزارة الفاطمية الكبرى إلى دويرة للصوفية[8] عرفت بدار سعيد السعداء[9] لتكون أول دار خصصت للصوفية في مصر وعرفت بالخانقاة الصلاحية، وأوقفت على الفقراء سنة (569هـ/1173م) وأطلق على شيخها لقب شيخ الشيوخ[10]، ويشير المقريزي

---

(1) انظر: حمزة، **الحركة الفكرية في مصر**، ص94.

(2) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص186.

(3) الصابوني: أحد شيوخ الصوفية في العصر الأيوبي، المقريزي، **المواعظ**، م3، ص590.

(4) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص590.

(5) نجم الدين الخبوشاني: محمد بن الموفق بن سعيد بن على، أبو البركات فقيه شافعي، نسبته إلى (خبوشان) من نواحى نيسابور، ومولده بقربها 510هـ/1016م. انتقل إلى مصر، وحظي عند السلطان صلاح الدين، وصنف (تحقيق المحيط) في الفقه، في ستة عشر مجلدا. رد الخبوشاني على أهل البدع واستتابهم وأظهر معتقد الأشعرية بالديار المصرية. توفي بالقاهرة 587هـ/1191م. الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص 120.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5، ص327.

(7) ابن الأثير، **الكامل**، م10، ص225؛ ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص17.

(8) المقريزي، **المواعظ**، مقدمة المحقق، م4، ج1، ص82؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ج1، ق1، ص242-243.

(9) ابن دقماق، **الجوهر الثمين**، ج2، ص18.

(10) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص728-729؛ شبارو، **السلاطين**، ص217.

إلى أن صلاح الدين اشترط أنه من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره[1].

ورعى الأفضل التصوف حتى أن رجلا من كبار الصالحين المجاورين بمكة أهدى إليه خرقة التصوف ومصلى[2].

وقد أدى ازدهار التصوف إلى ازدهار الحديث عن الرؤى والأحلام[3]، وعن أخبار الصالحين[4] وكراماتهم[5]، وعن الشفاء[6] بطرق غريبة[7]، ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما رغب علي بن ظافر[8] في الاستقالة من خدمة الملك الأشرف ألح في هذا الطلب كثيرا، ولكنه لم يوفق في ذلك، وأخيرا رأى أحد أهل العلم والخير من أصدقائه في منامه أن رغبة بن ظافر قد تحققت وأخبره بذلك، فلم يكن شيء أسرع من عود الملك الأشرف من دمشق وانفصاله من خدمته على الوجه الجميل[9].

وقد عرض بعض الأدباء بالصوفية وطريقتهم، لأنه غلب عليهم العجز والكسل فتركوا العمل من أجل كسب معيشتهم، وانقطعوا إلى العبادة في المساجد، يأكلون وينامون[10].

وقد وجد في مصر بعض الفرق الصوفية المتطرفة الذين لم يهتموا كثيرا بالفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، ونسبوا لشيوخهم الخوارق والمعجزات وأدخلوا إلى حياتهم تناول الحشيش[11]. ومنهم الفيلسوف السهروردي[1]. وقد حارب الأيوبيون هذه الفرق الصوفية

---

(1) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص727-728.

(2) ابن الأثير، **رسائل**، ص148.

(3) ابن منقذ، **الاعتبار**، ص185-186.

(4) المصدر نفسه، ص170.

(5) المصدر نفسه، ص172-173.

(6) المصدر نفسه، ص173-174.

(7) المصدر نفسه، ص169-187.

(8) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج5، ص155.

(9) ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي، (ت613هـ/1116م). **بدائع البدائه**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص104. وسيشار إليه فيما بعد، ابن ظافر، **بدائع البدائه**.

(10) الوهراني، **منامات**، ص48-49.

(11) المقريزي، **المواعظ**، ج2، ص329.

المتطرفة فأمر صلاح الدين بقتل السهروردي[2]. كما أفتى جماعة من علماء المسلمين، بقتل الشيخ علي الحريري (ت645هـ/1257م) وسفه الكتاب طريقته[3].

ملابس المتصوفة

اتخذ المتصوفة لباساً خاصاً بهم، فعمدوا لاتخاذ ثوبين أو ثلاثة كل واحد منهم بلون معين، جاعلين تلك الثياب خرقاً، وهذا الثوب مفاده شهرة صاحبه وإظهار زهده[4]. كما أكثروا من تقطيع الثياب وجعلها مرقعة[5] ومنهم من اتخذ ملابسه من الصوف[6]؛ إظهاراً للفقر والزهد كما لبسوا الخشن من الثياب[7]، ومنهم من بالغ في تقصير ثوبه[8]، ووضعوا الخرق على رؤوسهم[9] مكان العمامة لتدل على الدخول في حكم الشيخ[10] وسعوا إلى النظافة والطهارة وغسل الثوب والاغتسال[11]، واتخذ بعضهم العصا[12] وعدوها سنة[13] أسوةً بالأنبياء، وقد يكون هذا من باب الوقار.

---

(1) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص596-597.

(2) ابن الأثير، **رسائل**، ص280-281.

(3) أبو شامة، **ذيل**، ص277.

(4) عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**، ص243؛ رزق، عاصم محمد، (1417هـ/1997). **خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (567-923هـ/1171-1517م)**. (ط1). القاهرة: مكتبة مدبولي، ج1، ص51. وسيشار إليه فيما بعد، رزق، **خانقاوات الصوفية**.

(5) عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**، ص244.

(6) المرجع نفسه، ص258؛ السهروردي، **عوارف المعارف**، ص41؛ رزق، **خانقاوات الصوفية**، ج1، ص52.

(7) السهروردي، **عوارف المعارف**، ص63.

(8) عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**، ص265.

(9) الحفني، عبد المنعم، (1400هـ/1980م). **معجم مصطلحات الصوفية**. (ط1). بيروت: دار المسيرة، ص89. وسيشار إليه فيما بعد، الحفني، **معجم**.

(10) عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**، ص266؛ السهروردي، **عوارف المعارف**، ص60؛ لبنية، بوران طاهر، (2004م). **الخانقاوات والزوايا الدمشقية زمن سلاطين المماليك (658-922هـ/1259-1516م)**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص151. وسيشار إليه فيما بعد، لبنية، **الخانقاوات والزوايا الدمشقية**.

(11) الحفني، **معجم**، ص170.

(12) المرجع نفسه، ص184.

(13) ويشير الحفني إلى أن الصوفية عدوا اتخاذ العصا سنة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال: "إن أتخذ منبراً فقد اتخذه إبراهيم، وإن أتخذ عصا فقد اتخذها إبراهيم وموسى". انظـــر: المرجـــع نفسه، ص184.

طعام المتصوفة

تقدم المؤسسات الاجتماعية المرتبطة بالتصوف طعاماً للمتصوفة ويقدم لهم مرتين في اليوم[1] ويتكون الطعام من خبز ولحم[2] ويبدو أن الخبز هو المادة الأساسية في الزوايا والخانقاوات[3]، وفي كثير من الأحيان يقدم الخبز إلى جانب المرق[4]، أما الحلوى التي تقدم لهم فهي الحلاوة المصنوعة من السكر[5].

ودعا المتصوفة لتقليل الطعام[6] وأكل اليسير منه؛ لمنع اللذة حيث عد الجوع عندهم من أخلاق الصوفية، وهو أحد أركان المجاهدة[7]، ووسيلة لتربية النفس والتسامي بها، وظهر ما يسمى "مدعو التصوف"[8] فكان البعض يأتي إلى الزوايا زاعمين أنهم متصوفة حتى يؤتى لهم بالطعام والشراب واللباس.

وقد وجدت وظائف عدة ارتبطت بإطعام المتصوفة كالطباخ[9] والسقاء، ومفرق الخبز والطعام والحلوى.

---

(1) ابن بطوطة، **رحلة**، م1، ص204.

(2) المقريزي، **المواعظ**، م4، ج2، ص728.

(3) السهروردي، **عوارف المعارف**، ص98؛ السلمي، أبو عبد الرحمن، (ت 412هـ/1021م). **طبقات الصوفية**، ط2، دار الكتاب النفيس، حلب، 1406هـ/1986م، ص45. وسيشار إليه فيما بعد، السلمي، **طبقات الصوفية**. وفي ذلك قيل في المثل المصري: "زاوية بلا عيش بنيت ليش". انظر: الأبشيهي، **المستطرف**، ج1، ص132.

(4) ابن بطوطة، **رحلة**، م1، ص204.

(5) المصدر نفسه، م1، ص204.

(6) عبد المجيد، **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**، ص279.

(7) واستندوا في ذلك إلى قوله عز وجل: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات))، سورة البقرة، الآية (155). انظر: الشرقاوي، حسن، (1987م). **معجم ألفاظ الصوفية**. (ط1). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ص111-112. وسيشار إليه فيما بعد، الشرقاوي، **معجم ألفاظ الصوفية**.

(8) ابن طولون، **فص الخواتم**، ص56.

(9) لبنية، **الخانقاوات والزوايا الدمشقية**، ص120.

المؤسسات الصوفية

ظهرت مؤسسات اجتماعية ارتبطت بالصوفية وتمثلت بالخانقاة[1] والربط[2] والزوايا[3]، ويبدو أن لكل منها دلالة معينة، لكنها تجتمع في كونها ملجأ للفقراء، ومن جهة أخرى أبدى ابن جبير إعجابه بمصر التي أوجدت مأوى للزهاد والمسافرين والفقراء[4] الذين يفدون إليها ويتحدث عن واقع الحياة الصوفية التي يعيشونها.

أصبحت ربط المتصوفة قصورا[5] مزخرفة يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر [6].

أشهر المتصوفة

اشتهر في مصر في ذلك العصر إبراهيم الدسوقي الصوفي[7] وعدوه من أولياء الله تعالى ومن شعره الصوفي[8]:

غني عن عباد الله جمعاً	فقير والوجود يروم رفدي
فإن غابوا فلا أسف عليهم	وإن حضروا فما هذاك قصدي

---

(1) الخانقاه: ذكر الجواليقي أن الخورنق أو الخرنكاه وهو موضع الشرب. انظر: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، (ت540هـ/1145م). **المعرب من الكلام المعجمي على حروف المعجم**، (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر)، طهران، 1966م، ص126. وسيشار إليه فيما بعد: الجواليقي، **المعرب**. وذكر الحفني أنها لفظ مأخوذ من الفارسية ومعناه البيت الذي ينزل فيه الصوفية، وأطلق على الأماكن المعدة للزهاد وأتباع الطرق الصوفية وكانت تجري فيه الأذكار والأوراد. انظر: الحفني، **معجم**، ص87؛ الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص158.

(2) الربط: مفردها رباط، وهو ما يرتبط من الخيل وهو ملازمة ثغر العدو، والرباط المواظبة على الأمر كالمواظبة على الطهارة والصلاة والجهاد في سبيل الله. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م7، ص 302. الحفني، **معجم**، ص108؛ الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص205. وأصبح الرباط مكان العبادة والدرس من قبل المجاهدين. انظر: الحفني، **معجم**، ص109؛ الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص205.

(3) الزوايا: وهي زاوية البين وركنه وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا والزاوية واحدة زوايا. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م14، ص364-365.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص26.

(5) المصدر نفسه، ص231.

(6) المصدر نفسه، ص256.

(7) إبراهيم الدسوقي الصوفي: هو إبراهيم ابن أبي المجد، واسمه عبد المجيد من دسوق اشتهر بالخير والصلاح وصار له أتباع كثيرون يعرفون بالدسوقية، توفي سنة 676هـ/1277م. انظر: المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص263؛ الحفني، **معجم**، ص97.

(8) المقريزي، **المقفى الكبير**، ج1، ص268.

وقـــال الآن أنـــت لنـــا إمـــامٌ أدر كاساتـــهـــا لأهـــيـــل ودي
بـــشارات الفقيـــر لهـــا دلائـــل تفوح كما يفوح عـــبـــيـــر نـــدّ

ومن المتصوفة شهاب الدين القزويني الصوفي[1]، وأبو إسحاق التفليسي[2] وعرف بأنه شيخ صالح من أهل الخير والعفاف، ومن جملة مشايخ الصوفية أبو إسحاق القرميسيني[3] الذي صحب شيخه وأستاذه أبا عبد الله محمد بن إسماعيل المقري وأخذ مذهب التصوف عنه.

وممن اشتهر منهم أيضا الشيخ الواعظ زين الدين أبو الحسن علي بن نجا ويوسف بـــن محمد الجماهري[4] وابن منجم المعري[5]، وعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي[6].

---

(1) شهاب الدين القزويني: هو إبراهيم بن محمد القزويني الحلبي الحنفي الصوفي، توفي بالقـاهرة سـنة 695هـ/1295م. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص317.

(2) انظر: المصدر نفسه، ج1، ص 146.

(3) أبو إسحاق القرميسيني: أحد شيوخ الصوفية في العصر الأيوبي.

(4) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومـي الحنفـي الـشهير بـالملا كاتـب الجلبـي، (ت1067هـ/1656م). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمـة، ج1، ص61. وسيشار إليه فيما بعد، حاجي خليفة، **كشف الظنون**؛ الزركلي، **الأعلام**، ج8، ص247.

(5) عماد الدين الأصبهاني، **خريدة القصر قسم شعراء الشام**، ج2، ص92.

(6) ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، (ت795هـ/1392م). **الـذيل علـى طبقات الحنابلة**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952م، ج2، ص33. وسيشار إليه فيما بعد، ابـن رجب، **الذيل على طبقات الحنابلة**.

الجامـــــع الأزهـــــــر

الجامع الأزهر في العصر الفاطمي

عُدَّ الجامع الأزهـر[1] مـسجداً رسـمياً للدولـة الفاطميـة ومركـزاً لنـشر تعـاليم المذهب الشيعي[2] والظاهر أن تسميته بالجامع الأزهر لم تكـن دارجـة فـي بدايـة العـصر الفاطمي وإنما غلبت عليه تسمية جامع القـاهرة؛ حيـث أن مـؤرخي هـذه الفتـرة أشـاروا إليه باسم جامع القاهرة[3]، ومع إنشاء القـصور الفاطميـة فـي عهـد العزيـز بـالله التـي سميت بالقصور الزاهرة، فقد أطلـق علـى الجـامع اسـم جـامع الأزهـر[4]، والظـاهر أن أصل التسمية راجع إلى السيدة فاطمـة الزهـراء ابنـة رسـول الله وزوج أميـر المـؤمنين علي بن أبي طالب التي انتسبت إليها الدولة الفاطميـة[5]، ومهمـا يكـن فقـد تلاشـى اسـم جامع القاهرة حتى غلب عليه اسم الجامع الأزهر.

وقد تعهد الخلفاء الفاطميون الجامع الأزهـر بالتجديـد والعمـارة[6] وأضـافوا إليـه المقصورة للصلاة والمحـراب ووجـدت منـشآت عـدة ينفـق مـن ريعهـا علـى إدارتـه وشؤونه[7].

---

(1) الجامع الأزهر: هو الجامع الذي وضع جوهر الصقلي أساسه سنة 359هـ/969م وأقيمت الصلاة فيـه لأول مرة سنة 361هـ/371م وهو يتوسط العاصمة الفاطمية, انظر: القلقشندي, **صـبح**, ج3 ص388؛ ابن ظهيرة , **الفضائل**, ص182؛ السيوطي, **حسن المحاضرة**, م2, ص221؛ أيوب, ابـراهيم, (1997م). **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**. (ط1). بيروت: الشركة العالمية للكتاب, ص155. وسيشار إليه فيما بعـد، أيوب, **التاريخ الفاطمي**.

(2) عنان، محمد عبد الله، (1942م). **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي**. (ط1). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص19. وسيشار إليه فيما بعد عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**؛ زينهم، محمد علي حسن، (1999م). **الأزهر الشريف**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص19. وسيشار إليه فيمـا بعد، زينهم، **الأزهر الشريف**.

(3) ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن، (ت617هـ/1120م). **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، فرانتس شتاينر، شتوتغارت، 1992م، ص175. وسيشار إليه فيما بعد ابن الطوير، **نزهة المقلتين**؛ ابن المأمون، **نصوص**، ص40.

(4) عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص20.

(5) بيرم, مصطفى, (1902م). **كنز الجوهر تاريخ الأزهر**. القاهرة, ص6. وسيشار اليه فيما بعد بيرم, **كنـز الجوهر**؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص20.

(6) عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص25.

(7) المرجع نفسه، ص25.

وشكّل الجامع الأزهر في أثناء الحكم الفاطمي مركزاً لكثير من الاحتفالات الرسمية التي تقيمها الدولة في شتى المناسبات مثل المولد النبوي الشريف وليالي الوقود ومآتم عاشوراء[1].

ففي المولد النبوي الشريف يركب قاضي القضاة ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر في موكب رسمي وتوزع الحلوى في الجامع الأزهر[2] احتفاء بهذه الذكرى ويتصدر المجلس قراءة ما تيسر من القرآن الكريم[3], وكان العزيز بالله قد أقام طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان[4].

أما ليالي الوقود فكانت من المناسبات الدينية الفاطمية التي تبوأ فيها الأزهر مكانة خاصة، وهي أربع ليال هي ليلة أول رجب وليلة منتصفه وليلة مستهل شهر شعبان وليلة نصفه[5]، ورافق هذا الاحتفال إضاءة الأزهر بالأنوار ومسير موكب كبير من القضاة والعلماء[6]، ولوحظ اهتمام الفاطميين بالأعياد والمناسبات والمواسم من باب صرف الناس عن الحديث عن أصولهم[7].

---

(1) ابن المأمون, **نصوص**، ص15؛ المقريزي, **المواعظ**, م2, ص592؛ الشناوي، عبد العزيز محمد، (1983م). **الأزهر جامعا وجامعة**. (ط1). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، ص43. وسيشار إليه فيما بعد، الشناوي، **الأزهر**.

(2) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص576؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص43؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص105.

(3) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص44.

(4) ابن ميسر , **المنتقى**, ص176.

(5) ابن المأمون، **نصوص**, ص15؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص44؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص107.

(6) بيرم, **كنز الجوهر**، ص8؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص45.

(7) الأطرقجي, رمزية، (1399هـ/1979م). الأزهر في ظل الفاطميين دراسة في تراثه الفني والثقافي. **مجلة كلية الآداب جامعة بغداد**، 25, 469-506, ص472. وسيشار إليه فيما بعد، الأطرقجي, الأزهر في ظل الفاطميين.

وفي المقابل كان الاحتفال بيوم عاشوراء[1] يتخذ طابعاً خاصاً في الدولة الفاطمية حتى أطلقوا عليه اسم مأتم عاشوراء والغاية منه إحياء ذكرى الإمام الحسين بن علي، مما جعل هذا الاحتفال ذا طابع مذهبي شيعي صرف، فاتخذه الفاطميون يوم حزن ويبدو هذا واضحاً من خلال ما يقدم فيه من سماط الحزن[2] الذي يوضع فيه زبادي العدس الأسود والملوحات والمخللات والأجبان[3] كما رافق هذا تعطيل الأسواق وإغلاق الدكاكين[4]، ومن مظاهر الحزن ارتداء ملابس الحداد والتوجه إلى الجامع الأزهر حيث تعقد مجالس الذكر ويشرع القراء في تلاوة القرآن الكريم ويعلو نحيب الحاضرين[5] إشعاراً بحزنهم العميق في ذكرى استشهاد الحسين بن علي.

كما خصص الأزهر في العصر الفاطمي ليكون قصراً للمحتسب فيراقب فيه المحتسب سائر أحياء مدينة الفسطاط والقاهرة[6]، ويقوم بالمحافظة على الآداب العامة والنظر في الأسواق، حتى أصبح الجامع الأزهر مقراً لكبار موظفي الدولة يباشرون من خلاله صلاحياتهم. فضلاً عن نظام الحلقات الدراسية التي تعقد فيه؛ إذ يتحلق الطلبة حول الشيخ في شكل حلقة[7] مع التنويه بأن الدراسة في الأزهر في غالبيتها هي دراسة دينية مذهبية شيعية؛ إذ أنّ الهدف من إنشائه ليكون منبراً للدعوة الشيعية.

وتنفيذاً لهذه السياسة، فقد استقطب الفاطميون كبار دعاة الإسماعيلية[8] ومنهم أبو حنيفة

---

(1) هو اليوم الذي يصادف العاشر من محرم، انظر: ابن المأمون **نصوص**, ص15؛ عوض الله، **الحياة الاجتماعية**، ص25؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص45؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص106.

(2) ابن المأمون، **نصوص**، ص15؛ المقريزي، **المواعظ**، م2، ص592.

(3) ابن المأمون، **نصوص**، ص15؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص46؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص107.

(4) ابن ميسر، **المنتقى**، ص164؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص45.

(5) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص45-46.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص47؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 105.

(7) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص50.

(8) الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن أبي عمران بن موسى، **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، (حققه وقدم له وعلق عليه وشرح غوامضه عارف تامر)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ/1983م، ص102. وسيشار إليه فيما بعد، الشيرازي، **مذكرات داعي الدعاة**.

النعمان[1] الذي عرفت دروسه بمجالس الدعوة أو مجالس الحكمة[2] واقتفى أثره يعقــوب بــن كلس[3] الذي سار على نهج أبي حنيفة النعمان عندما وضع الكتــاب الــذي يعــرف بالرســالة الوزيرية[4] التي تبث مبادئ الإسماعيلية[5] واستأذن العزيز في أن يعين بالأزهر جماعــة مــن الفقهاء للقراءة والدرس ورتب لهم العزيز الأرزاق والجرايات الشهرية وأنشأ لهم دارا للــسكن بجوار الأزهر وخلع عليهم الأرزاق[6].

كما دعا الفاطميون الدعاة لانتهاج سياسة التحلي بالرفق واللــين والــصدق والعفــاف والتواضع[7] والبعد عن الكذب، ويبدو التركيز على هذا لاستمالة الناس للدين.

كما وظف الفاطميون إلقاء الخطب على الناس في الجامع الأزهر فــي تثبيــت المهــام الإدارية في الأقاليم ولتسويغ الأعمال التي يقدم عليها الخليفة، كتلك الخطبة التــي ألقيــت فــي

---

(1) أبو حنيفة النعمان: ابن محمد بن منصور بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان، من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيــروان، مولــدا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية. عاصر المهدي والقــائم والمنــصور والمعــز (منشئ القاهرة) وخدمهم. وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته. وتوفي بها عام 363هـ/973م). الزركلي، **الأعلام**، ج8، ص41.

(2) مجالس الحكمة: وهي المجالس التي كان يعدها ويلقيها مرتين في الأسبوع داعي الدعاة باسم الخليفة على المؤمنين وهو مجلس الداعي بالقصر أو على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير أو فــي الجــامع الأزهــر بالدعوة للدولة الفاطمية. انظر: ابن حيون، القاضي النعمان بن محمد (ت363هـــ/973م). **المجــالس والمسايرات**، (تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد الــيعلاوي)، المطبعــة الرســمية، تــونس، 1978م، ص435، وسيشار إليه فيما بعد: ابن حيون، **المجالس والمــسايرات**؛ ابــن الطــوير، **نزهــة المقلتين**، ص111.

(3) يعقوب بن كلس: وزير الخليفة العزيز كان كاتباً يهودياً وهو صاحب الرسالة الوزيرية، انظر: ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي، (ت613هـ/1116م). **أخبار الدول المنقطعة**، (مقدمة وتعقيب أندريه فريــه)، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص35، ص38–39. وسيشار إليه فيما بعد، ابن ظافر، **أخبار الدول المنقطعة**؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص27–35؛ ابن ظهيرة، **الفضائل**، ص127.

(4) الرسالة الوزيرية: نسبة إلى مؤلفها الوزير يعقوب بن كلس وكان يجلس بنفسه لقراءة الرسالة على الناس خاصتهم وعامتهم، انظر: ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن منجب بن ســليمان، (ت بعد 550هـ/1155م). **الإشارة إلى من نال الوزارة**، (عني بتحقيقه والتعليق عليه عبد الله مخلص)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، القاهرة، 1924م، ص22. وسيشار إليه فيمــا بعد، ابن الصيرفي، **الإشارة إلى من نال الوزارة**.

(5) ابن الطوير، **نزهة المقلتين**، ص110، ص111؛ أيوب, **التاريخ الفاطمي**، ص142.

(6) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص598؛ بيرم, **كنز الجوهر**، ص13, ص23.

(7) ابن حيون، **المجالس والمسايرات**، ص91–92؛ جمالية، نهاوند محمد عبد الرحمن، (2008م). **التربيــة والتعليم عند الفاطميين في مــصر**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمــان، الأردن، ، ص73. وسيشار إليه فيما بعد، جمالية، **التربية والتعليم عند الفاطميين في مصر**.

مساجد القاهرة المعزية ومنها الجامع الأزهر لتسويغ قتل الخليفة الحاكم بأمر الله لوزيره برجوان[1]، ومطالبة الناس أن ينشغلوا بمعايشهم فهو أعود لشأنهم[2].

الأزهر في العصر الأيوبي

مع مجيء الدولة الأيوبية التي كانت دولة سنية وتكره الشيعة عامة والفاطميين خاصة، عملت هذه الدولة على إبطال الشعائر التي أقامها الفاطميون في مصر والشام[3]، ولأن الأزهر كان هو المسجد الرئيس للدولة الفاطمية فقد تعرض للتضييق والاضطهاد على يد الأيوبيين ومن أهم الخطوات التي اتخذتها الدولة الأيوبية تجاه الأزهر تمثلت في تعطيل الخطبة[4]، فقد أمر صلاح الدين أثناء توليه الوزارة للعاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية بتعطيل الخطبة في الأزهر واكتفى بإقامتها في مسجد الحاكم بأمر الله (وهو من المساجد الفاطمية ذات الطابع الشيعي)[5] وقد سوغ عمله هذا بما أفتى به قضاة الشافعية من عدم جواز الخطبة في مسجدين أو أكثر في مصر واحد.

ولعل صلاح الدين قصد من وراء ذلك بتعطيل الخطبة في الأزهر (مسجد الدولة الرسمي) وإقامة الشعائر في مسجد الحاكم بأمر الله ، تحقيق رغبته في إنهاء الدولة الفاطمية[6].

---

(1) برجوان: هو أبو الفتوح برجوان الخادم كان خصياً أبيضاً نشأ في بلاط العزيز قتل في القصر في عهد الحاكم بأمر الله وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة. انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، ص270-271؛ ابن الصيرفي، **الإشارة إلى من نال الوزارة**، ص27-28.

(2) انظر: الشيال، جمال الدين، (1958م). **مجموعة الوثائق الفاطمية**. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، م1، سجل رقم 12، ص309-311. وسيشار إليه فيما بعد، الشيال، **مجموعة الوثائق الفاطمية**.

(3) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص198-199؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص146؛ زايد، **النثر الفني**، ص43.

(4) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص221؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص92.

(5) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص222؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، ص31؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 119.

(6) غنيم، عبد العزيز، (1403هـ/1983م). **دراسات في تاريخ الأزهر**. القاهرة: دار الوفاء للطباعة، ص35. وسيشار إليه فيما بعد، الغنيم، **دراسات في تاريخ الأزهر**؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 119.

وقد ظلت الخطبة معطلة في الأزهر منذ سنة 567هـ/1171م وحتى سنة 665هـ/1266م، مما يعني أن دوره الرسمي قد انتهى مع قرار صلاح الدين بتعطيل الخطبة في هذا المسجد الكبير وأن دوره في الصدارة قد تقلص وتعطل.

الدور التعليمي لعلماء الأزهر

لم يكتف الأيوبيون بتعطيل صلاة الجمعة بل حاولوا تهميش دور الأزهر من خلال بناء المدارس، فكانت مناهج التدريس تقتصر على تدريس المذاهب السنية. فقام صلاح الدين بانشاء المدارس في مصر التي تقوم بتعليم ونشر المذاهب السنية على مستوى رفيع، فقد اجتذبت هذه المدارس رجال العلم من أنحاء العالم[1].

ومع تقليص دور الأزهر كجامع فقد حاول الأيوبيون جذب العلماء. وتنبهت الدولة الأيوبية للعلوم التي كانت تدرس في الأزهر والتي تشمل الفقه الشيعي على مذهب الإمامية الإسماعيلية، وما يتصل به من علوم[2] فتم إلغاء هذه العلوم وإدخال المذهب السني في مصر.

ورغم ضعف مكانة الأزهر الرسمية إلا أن دوره في نشر العلم بقي كما هو ومما أعان الأزهر على الاستمرار في دوره أن مجال الدراسة فيه كان متنوعاً. فالإجراءات الأيوبية لم تلغ كون الأزهر مقصد كبار العلماء الذين وفدوا على مصر وكان من بينهم عبد اللطيف البغدادي الذي جاء مصر سنة 589هـ/1193م في عهد السلطان الملك العزيز عماد الدين عثمان[3] وتولى التدريس في الأزهر بضع سنين.

لقد زار الأزهر عبد اللطيف البغدادي في سنة 589هـ/1193م ومارس التدريس فيه حتى عام 595هـ/1198م وقد تحدث البغدادي عن تجربته فيقول: "وكانت سيرتي في هذه المدة، أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة، وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره. وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون، وفي الليل أشتغل مع نفسي ولم أزل على ذلك إلى أن توفي الملك العزيز"[4].

---

(1) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص99؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 114.

(2) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص97.

(3) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص107-108؛ عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص 114.

(4) البغدادي، **الإفادة**، ص153-154.

وكان الأزهر ملتقى للعلماء كالقاضي شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان الذي وفد إلى القاهرة وألقى دروسه في الجامع الأزهر[1].

وقد عني الازهر إلـى جانـب تكوينـه لأسـرة التـدريس بتخـريج جماعـة مـن المصلحين الاجتماعيين؛ ليكونوا في صلة دائمـة بالـشعب ويتجهـوا إليـه بإرشـاداتهم فـي كل مناسبة ليقدموا الإصلاح لهم فـي منازعـاتهم، وكـان الـسلاطين يـستعينون بالعلمـاء لأخذ النصيحة والإرشاد[2].

كما ساهم علماء الأزهر في شحذ الناس وتشجيعهم على الجهـاد فـي حـروبهم ضـد الصليبيين[3]، وساهموا في محاربة العادات السيئة والمنكرات الشائعة التي تهافت الناس علـى فعلها كشرب الخمر وغيرها من المنكرات التي جاهروا في افتعالها[4] من خلال التوعيـة فـي الجامع وتأكيد دور المحتسب[5] الذي يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما سعى الأزهر إلى إعداد مجموعة من العلماء النابغين في علوم الدين إعداداً يؤهلهم لنشر المذهب السني.

أما طريقة التدريس فمع أن الأزهر أنشئ لتدعيم المذهب الـشيعي فقـد بـدأ جامعـاً وانقلب جامعة، وكان له تقاليده حيث أن الطالب يتلقى العلم حتـى يجـد فـي نفـسه القـدرة على التصدر للعلم ويذيع صيته بين زملائه[6] فقد عقـد فـي ديـوان الأزهـر حلقـات مـن العلم حيث يجلس الطالب في صدرها ويناقش فـي موضـوعات عـدة فـإذا أثبـت جدارتـه استطاع التدريس.

---

(1) الطعمي، محي الدين، **النور الأبهر في طبقات شـيوخ الجـامع الأزهـر**، ط1، دار الجبـل، بيـروت، 1412هـ/1992م، ص16. وسيشار إليه فيما بعد الطعمي، **النور الأبهر**.

(2) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص284.

(3) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص72.

(4) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص161.

(6) لوبون، **حضارة العرب**، ص 427.

دور العلماء في توجيه الحكّام

اطّلع العلماء على أحوال الشعب والسلاطين والأمراء، وحاولوا كسب ولاء السلطة الحاكمة، ففي حين وجدت فئة من العلماء حاولت التملق للسلاطين، وجدت فئة أخرى قدمت النصح والارشاد للحكام باعتبار هذا جزءا من وظيفتهم، وليس أدل من ذلك ما قاله صلاح الدين في القاضي الفاضل: "لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل"[1] وكان صلاح الدين لا يأتي أمرا إلا من بابه[2]، فكان يقدم المشورة والنصح له، ومن هؤلاء العلماء الشيخ العز بن عبد السلام[3] وانتقاده السلطان نجم الدين أيوب الذي وصفه ابن تغري بردي بأنه "كان ملكا مهيبا جبارا ذا سطوة وجلالة"[4] ومع هذا فإن العز بن عبد السلام قد انتقده بإباحة بيع الخمور في الحانات وغيرها من المنكرات[5]. كما تمثل دور العلماء بدعوة الحكام بإنصاف المظلومين ونصرتهم والرأفة والرحمة بالعباد[6].

وعندما أسند صلاح الدين قضاء مصر إلى الفقيه الشافعي صدر الدين بن درباس[7] عهد إليه باستنابة قضاة عنه في البلدان وقام ابن درباس بتنفيذ ما أسند إليه من مهام، كما قام بإسناد مناصب القضاة في المدن المصرية إلى الفقهاء من الشافعية.

---

(1) العماد الاصفهاني، **الفتح القسي**، مقدمة المحقق، ص27؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص140؛ الباشا، **الألقاب الأسلامية**، ص24؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص225.

(2) ابو شامة، **ذيل**، ص27.

(3) العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي قاسم السلمي الشافعي مذهبا المغربي أصلا الدمشقي مولدا ثم المصري دارا ووفاة، الملقب بسلطان العلماء، انظر: ابن السبكي، **طبقات الشافعية**، م8، ص209.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص294.

(5) ابن السبكي، **طبقات الشافعية**، م8، ص211.

(6) ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت660هـ/1261م). **القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**، ط1، (تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية)، دار القلم، دمشق، 1421هـ/2000م، ، ج1، ص226-227. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبد السلام، **القواعد الكبرى**.

(7) هو صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الكردي الموصلي قاضي القضاة بالديار المصرية، ت(605هـ/1208م). ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3، ص242.

دور علماء الأزهر في الحروب الصليبية

تأثرت الحياة الاجتماعية في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي بالروح الدينيــة التــي أوقدتها الحروب الصليبية في ذلك الوقت، وانتشرت لذلك الآداب والثقافة التــي تــأثرت بهــذه الروح[1]. وقد ساهم الأزهر في تذكية هذه الروح، كما كان معولا على علماء الأزهر وشيوخه توجيه الناس والدعاء لله للنصر على أعداء المسلمين من الصليبيين.

لقد ساهم علماء الأزهر في شحذ همم الناس وتشجيعهم على الجهاد في حــروبهم ضــد الصليبيين[2] من خلال ما يبثونه في مجالسهم وخطبهم عن العدو والأوضاع التي يعيشونها ومن ذلك ما ذكره العز بن عبد السلام:

"إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادهم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء"[3]، وبهذا عمل العلماء علــى إذكاء روح الجهاد في النفوس، وهبوا يحرضون المسلمين قادة وشعوباً على الجهاد ويتبــادلون البشائر والتهاني في حال انتصاراتهم[4].

---

(1) الحارثي، عدنان محمد فايز، (1420هـ/1999م). **عمران القاهرة وخططها في غهــد صــلاح الــدين الأيوبي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص126. وسيشار إليه فيما بعد، الحــارثي، **عمــران القــاهرة وخططها في غهد صلاح الدين الأيوبي**.

(2) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص72.

(3) ابن عبد السلام، **القواعد الكبرى**، ج1، مقدمة المحقق، ص20-21.

(4) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج2، ص248.

دور علماء الأزهر الديني

اتخذت الدولة الأيوبية من الجامع الأزهر نقطة تحول؛ إذ كانت الدولة الأيوبية دولة سنية وقد جعلت في مقدمة سياساتها القضاء على المذهب الشيعي[1] واستئصال شـــعائره ومعالمـــه، فكانت البداية من الجامع الأزهر، بتعطيل إقامة صلاة الجمعة فيه[2] لأن الأزهر كـــان مرتبطـــاً بالدولة الفاطمية، وإقامة الصلاة في جامع الحاكم بأمر الله[3].

وعلى الرغم من هذه الخطوات التي قام بها الأيوبيون، إلا أنه اســـتمر للأزهـــر دوره الديني، وتمثل الدور الديني للأزهر في العصر الأيوبي من خلال التوعية في الجامع وتأكيد دور المحتسب[4] الذي يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان المحتسب كثيراً ما يخـــالط الناس ليعرف طبائعهم. كما يقع في الجانب الديني الحث على الطاعـــات ومحاربـــة ارتكـــاب المخالفات الشرعية وتبيان ما يترتب عليها[5] وإزالة للبدع.

وكثرت المجالس الدينية التي حفلت بعلماء السنة من المذاهب الأربعة والحديث والفقـــه واللغة وعلوم القرآن بعد أن ألغيت علوم الفقه الشيعي[6] كما كان لهم دور فـــي الإفتـــاء ومـــن فقهائها على سبيل الذكر لا الحصر صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن عماد الدين بـــن حمويـــة الجويني الذي تولى التدريس والإفتاء[7] وابن الجميزي[8] الذي انتهت إليه مشيخة العلم بالـــديار المصرية[9].

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج2، ص198–199؛ السيوطي، **حسن المحاضـــرة**، م2، ص146؛ زايـــد، **النثر الفني**، ص43.

(2) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م2، ص221؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص92؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 119.

(3) السيوطي، **حسن المحاضـــرة**، م2، ص222؛ مبـــارك، **الخطـــط التوفيقيـــة**، ص31؛ Stanley Lane-Poole, **Saladin**, p. 119.

(4) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

(5) ابن عبد السلام، **القواعد الكبرى**، ج1، ص 26.

(6) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص 97.

(7) السيوطي، **حسن المحاضرة**، م1، ص345.

(8) أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي كان فقيهاً مقرئاً ومحدثاً، (ت649هـــ/1251م). انظـــر المصدر نفسه، م1، ص348.

(9) المصدر نفسه، م1، ص 348.

الأزهر والتصوف

طرأت ظاهرة على الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي أدت إلى ظهور فئة اجتماعية جديدة تمثلت في استقدام جماعة من الفقراء الصوفية[1] الذين اتخذوا دعـاة للمـذهب السني، وخصصت لهم دور يقيمون فيها تسمى الخانقاوات، وسكنت جماعة منهم في دار سـعيد السعداء عرفت باسم الخانقاة الصلاحية وأوقفت عليهم أوقاف كثيرة وقدم لهم فيها الطعام والخبز واللحم[2] والظاهر أن هذه الجماعة قد جمعت بين مظاهر النفوذ والبساطة، ما اسـتهوى قلـوب المجتمع المصري، وبهذا ابتعد الناس عن الجامع الأزهر؛ حيث أن المتصوفة قد أقبلـوا علـى الجامع الحاكمي[3].

وقد اعتقد الناس بصلاح أرباب التصوف حتى كانوا يثقون باستجابة أدعيتهم ويتبركون بما يهدونهم إليه من ألبسة[4].

ومن علماء الأزهر المتصوفة الشاعر الصوفي المصري عمر بن الفارض[5] الذي أقام حلقات للمتصوفة[6] بالجامع الأزهر وأنشد أشعاراً عدة وألقاها فيه[7]. ولعل من أشهر شعره الذي اتضحت فيه طريقته الصوفية قصيدتاه المطولتان اللتان عرفتا بـ "بالتائية الكبـرى" و "التائيـة الصغرى"[8].

---

(1) أبو شامة، **كتاب الروضتين**، ج1، ص388؛ الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص94.

(2) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص94.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص95.

(4) زايد، **النثر الفني**، ص168.

(5) ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص 255-258؛ الطعمي، **النور الأبهر**، ص92.

(6) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص108.

(7) الطعمي، **النور الأبهر**، ص92.

(8) ابن الفارض، (ت632هـ/1234م). **ديوان ابن الفارض**، (صححه وضبطه وعلق عليه وقدم له إبراهيم السامرائي)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985م، ص6. وسيشار إليه فيما بعد، ابـن الفـارض، **ديوان ابن الفارض**.

الأزهر ودوره الاجتماعي

ساهم علماء الأزهر في محاربة العادات السيئة والمنكرات التي جاهر الناس بافتعالها[1]. ومحاربة العادات التي لا تتفق والإسلام كشرب الخمر والفسق وشهادة الزور[2].

كما قاموا بالإصلاح بين الأزواج، وحث الزوج على عدم تكرار الحلف بالطلاق[3] من باب الإصلاح الاجتماعي داخل الأسرة، وتعدى دورهم إلى الإصلاح حتى بين أفراد البيت الأيوبي[4].

الجامع الأزهر والاحوال الاقتصادية

شكّل الأزهر ملاذاً لتعبير الناس عن استيائهم من سوء الأوضاع الاقتصادية في حال ارتفاع أسعار القمح والذرة والفول والشعير وانعدام وجود الخبز في الاسواق[5] خاصة أن مصر شهدت مجاعات عديدة كالمجاعة التي تعرضت لها في سنة (595هـ/1198م)[6] التي عملت على غلاء الأسار كما توالت سنوات الغلاء بمصر قبل سنة (601هـ/1204م)[7]، فضلاً عن الهزات الأرضية وتفشي الأمراض واستفحال الغلاء[8] وتعرض المحاصيل الزراعية لظروف جوية غير ملائمة مما أفسد الزرع[9] وساعد في حدوث المجاعة، فشكل الأزهر ملاذاً للدعاء في حال ارتفاع أسعار القمح والذرة والفول والشعير وانعدام وجود الخبز في الأسواق[10] وحدوث الفيضانات والزلازل وانخفاض مقياس النيل[11]. لذلك أقبل الناس على المساجد وساهم العلماء

---

(1) ابن الأثير، **ديوان رسائل**، ج2، ص161.

(2) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص48.

(3) البغدادي، **الإفادة**، ص122.

(4) ابن شداد، **النوادر السلطانية**، مقدمة المحقق، ص29.

(5) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص121.

(6) الدواداري، **كنز الدرر**، ج7، ص139.

(7) النويري، **نهاية الإرب**، م13، ج29، ص23.

(8) البغدادي، **الإفادة**، ص99-100.

(9) ابن مماتي، **قوانين الدواوين**، ص201-204.

(10) الشناوي، **الأزهر**، ج1، ص121.

(11) المرجع نفسه، ج1، ص122-123.

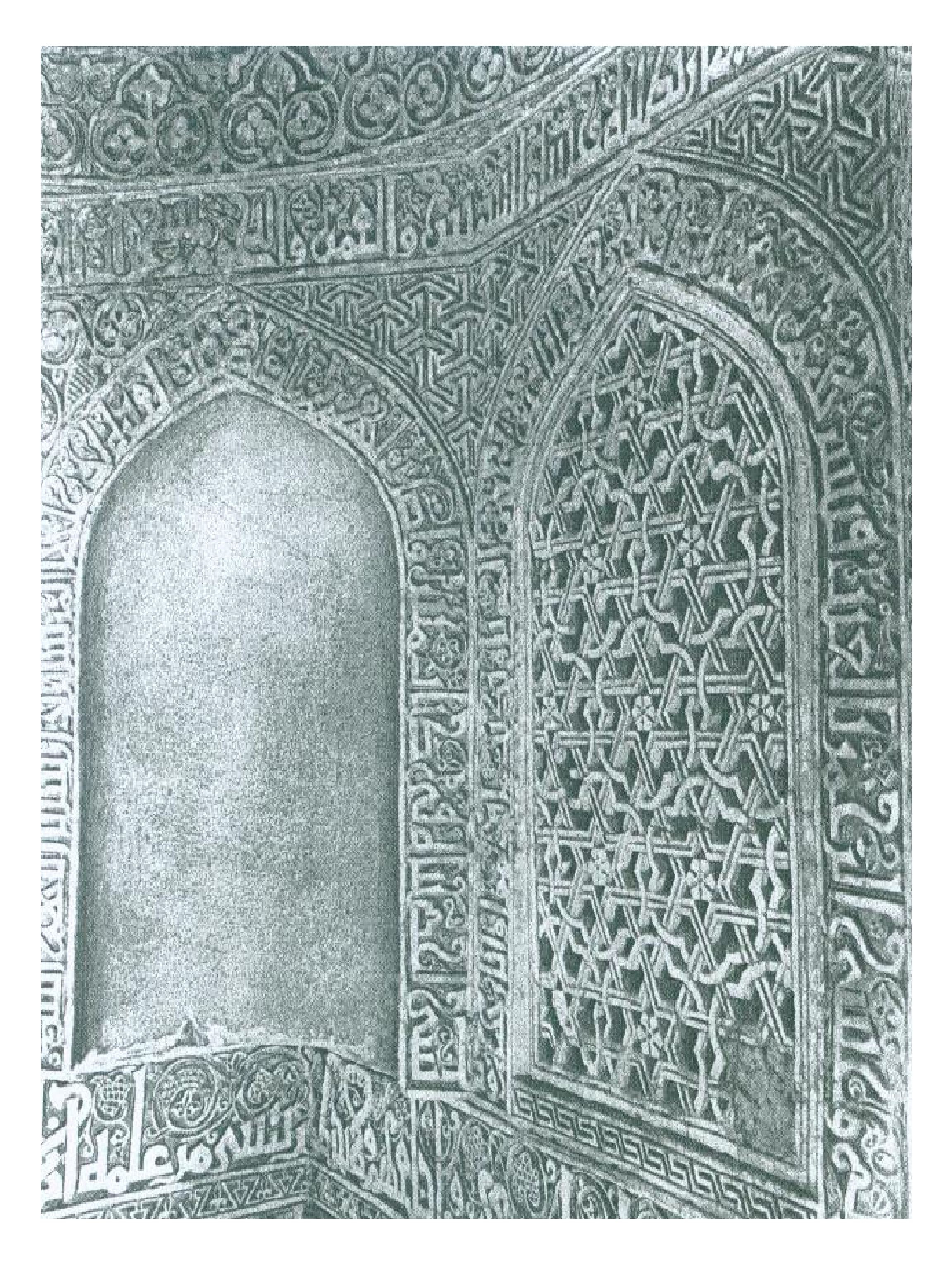
بما فيهم علماء الأزهر بالتخفيف عنهم بالدعوة إلى الله أن يفرج كروبهم وتولى خطيب الجـــامع نقل بشائر ارتفاع مقياس النيل[1] ليباشر الجميع عمله.

ومع فرض الضرائب في هذا العصر فقد ازداد وضع العامة سوءا وخاصة الفلاحـــين، الذين أرهقهم ارتفاع الأسعار وظلم الجباة، مما نبه لذلك العلماء وساهم بعضهم في رفع الظلـــم عنهم ومن ذلك ما ذكره ابن جبير في رحلته "ومن أشنع ما شاهدناه من ذلك خروج شرذمة من مردة أعوان الزكاة في أيديهم المسالّ الطوال ذوات الأنصبة فيصعدون إلى المراكب استكـــشافاً لما فيها فلا يتركون عكماً ولا غرارة إلا ويتخللونها بتلك المسال الملعونة مخافة أن يكون فـــي تلك الغرارة أو العكم اللذين لا يحتويان سوى الزاد شيء غيب عليه من بضاعة أو مال"[2].

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، م13، ج29، ص23.

(2) ابن جبير، **رحلة**، ص39.



نقلاً عن كتاب مساجد مصر (لوحة 12)

البيمارستانات

ومفردها بيمارستان، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار وتعني المــريض أو الحزين أو العليل[1]، وستان ومعناها الدار أو المكان[2]، فيكون معنى بيمارستان مكان المريض.

وقد اختصرت كلمة بيمارستان في الاستعمال فصارت تدعى مارستان، ويراد بها في العربية كلمة مستشفى[3] وهو المكان الذي يختص بمداواة المرضى وتقديم العلاج اللازم لهم، إضافةً إلى كونها مدرسةً لتعليم الطب. وكانت البيمارستانات تصنف إلى أنواع عدة من أبرزها:

البيمارستانات الثابتة

وهي التي تبنى في أماكن معينة، وبناؤها ثابت لا ينتقل[4]، وقد وجد هذا النوع في المدن الكبرى، فانتشرت البيمارستانات الثابتة في أرجاء الدولة الأيوبية، وكان من أشهرها البيمارستان الناصري أو الصلاحي الواقع في قصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله[5] في القاهرة، وينسب هذا البيمارستان إلى الملك الناصر صلاح الدين الذي أشار إلى عماله باختيار أفضل الأماكن الصالحة لإنشاء بيمارستان على أرضها، فعمد العمال إلى تعليق قطعٍ من اللحم في كل ناحية

---

(1) شتا، إبراهيم الدسوقي، (1992م). **المعجم الفارسي الكبير**. القاهرة: مكتبة مدبولي، م1، ص446. وسيشار إليه فيما بعد، شتا، **المعجم**؛ حسنين، عبد النعيم محمد، (1402هـ/1982م). **قاموس الفارسية**. (ط1). بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص116. وسيشار إليه فيما بعد، حسنين، **قاموس**؛ التونجي، محمد، (1997م). **المعجم الفارسي-العربي الموجز**. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان، ص62. وسيشار إليه فيما بعد، التونجي، **المعجم**؛ العسلي، كامل جميل، (1414هـ/1994م). **مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة 1918م**. عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ص97. وسيشار إليه فيما بعد، العسلي، **مقدمة**؛ عيسى، أحمد، (1357هـ/1939م). **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**. دمشق: المطبعة الهاشمية، ص4. وسيشار إليه فيما بعد، عيسى، **تاريخ**.

(2) شتا، **المعجم**، م2، ص1509؛ العسلي، **مقدمة**، ص97؛ عيسى، **تاريخ**، ص4.

(3) المستشفى: المكان الذي يتم فيه طلب الشفاء وما يبرئ من السقم. انظر التفاصيل: ابن منظور، **لسان العرب**، م14، ص436.

(4) الخطيب، **الطب**، ص216.

(5) العزيز بالله : نزار ابن معد (المعز لدين الله) ابن المنصور العبيدي الفاطمي، أبو منصور: صاحب مصر والمغرب. ولد في المهدية 344هـ/955م، وبويع بعد وفاة أبيه (سنة 365 هـ/975م) وكانت في أيامه فتن وقلاقل. وكان كريم الأخلاق، حليما، يكره سفك الدماء، مغرى بصيد السباع، أديبا، فاضلا. وفي زمنه بني قصر البحروقصر الذهب وجامع القرافة، في القاهرة. وهو الذي اختط أساس الجامع فيها، مما يلي باب الفتوح، وبدأ بعمارته (سنة 380هـ/990م) وخطب له بمكة. وطالت مدته، إلى أن خرج يريد غزو الروم، فلما كان في مدينة بلبيس أدركته الوفاة 386هـ/996م. الزركلي، **الأعلام**، ج8 ص16.

يختارونها بغية ملاحظة مدى تأثير هواء كل ناحية في قطعة اللحـــم[1]، ونتيجـــةً لـــذلك وقـــع اختيارهم على قصر العزيز، وأشاروا على الملك الناصر صلاح الدين إلى أن ينشئ البيمارستان فيه؛ نظراً لكونه من أحسن الأماكن موقعاً، كما أن النمل لم يدخل هـــذا القـــصر حيـــث كـــانوا يعتقدون بوجود طلسم فيه يمنعه من ذلك[2].

وقد وصف ابن جبير البيمارستان الناصري فـــي رحلتـــه المـــشهورة فقـــال: "ومممـــا شاهدناه أيضاً من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينـــة القـــاهرة، وهـــو قـــصر مـــن القصور الرائعة حسناً واتساعاً، أبرزه لهذه الفـــضيلة تـــأجراً واحتـــساباً، وعـــيّن قيمـــاً مـــن أهل المعرفة، ووضع لديه خزائن العقاقير، ومكّنه مـــن اســـتعمال الأشـــربة وإقامتهـــا علـــى اخـــتلاف أنواعهـــا، ووضـــعت فـــي مقاصـــير ذلـــك القـــصر أســـرّة يتخـــذها المرضى مضاجع كاملة الكـــسى، وبـــين يـــدي ذلـــك القـــيّم خـــدم يتكلفـــون بتفقـــد أحـــوال المرضى بكرةً وعشية"[3].

كما أنشأ الملك الناصر صـــلاح الـــدين بيمارســـتانا آخـــر فـــي مدينـــة الإســـكندرية وكان ذلك في ســـنة 577هـــ/1181م[4]، كمـــا عـــرف فـــي مـــصر أيـــضا البيمارســـتان العتيق[5].

وروعي في البناء المعماري للبيمارستان الثابت أن يتكـــون مـــن قـــسمين منفـــصلين أحدهما للذكور والآخر للإناث[6]، وأن يضم كـــل قـــسم قاعـــات عـــدة لمختلـــف الأمـــراض كالكحالة والجراحة والأمراض النفسية[7].

(1) الخطيب، حنيفة، (1986م). **الطب عند العـــرب**. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ص218. وسيشار إليه فيما بعد، الخطيب، **الطب**.

(2) القلقشندي، **صبح**، ج3، ص417؛ عيسى، **تاريخ**، ص76–77؛ السعيد، عبد الله عبد الـــرزاق مـــسعود، (1408هـــ/1987م). **المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني**. (ط1). عمان: دار الضياء، ص106. وسيشار إليه فيما بعد، السعيد، **المستشفيات**؛ الخطيب، **الطب**، ص216.

(3) ابن جبير، **رحلة**، ص26.

(4) عيسى، **تاريخ**، ص82؛ السعيد، **المستشفيات**، ص239.

(5) ابن ظهيرة، **الفضائل**، ص 180.

(6) العسلي، **مقدمة**، ص97؛ السعيد، **المستشفيات**، ص107.

(7) الخطيب، **الطب**، ص217.

وقد زودت البيمارستانات بالشرابخانات[1] ومكتباتٍ تضم العديد من المخطوطات الطبية[2]، كما ألحقت بها بيوت الخلاء وأحواض مائية ومطبخ، وقاعة لغسل الموتى[3].

وقد اتخذت البيمارستانات الثابتة أشكالاً متعددة من أبرزها:

1. البيمارستانات العامة: وهي المستشفيات التي تعالج الأمراض على اختلاف أنواعها، وتعالج النساء والرجال سواءً أكانوا فقراء أم أغنياء، محليين أم غرباء[4].

وقد فتحت هذه البيمارستانات أبوابها للجميع، وضمت قاعات عدة وفقاً للأمراض السائدة[5].

2. البيمارستانات الخاصة والمتخصصة: وهي التي لا يرتادها إلا فئة خاصة من الناس، كما اختص بعضها بعلاج أمراضٍ معينة[6] مثل مستشفيات الجذام[7] التي أنشئت لرعاية المجذومين وعلاجهم، ومستشفى المجانين، وهو عبارة عن بيوتٍ خاصة أفردت للمجانين[8] ويتم العناية بهم من حيث تقديم الطعام والشراب، وتكون نوافذ المستشفى مشبكةً بالحديد[9] حتى لا يتسنى لهم الهرب، وكان لهذه الفئة ضرب من العلاج الخاص بهم[10].

وقد أدرجت دور العجزة والمكفوفين ضمن البيمارستانات الخاصة، وأنيطت بها مهمة إطعام وكسوة ورعاية هذه الفئة[11].

---

(1) الشرابخاناه: مخزن الشراب. وكانت الشرابخاناه تحوي في العادة على أدوات الشراب النفيسة، وعلى أنواع من المشروبات والحلوى والسكر والعطريات والأدوية والعقاقير. انظر التفاصيل: البقلي، **التعريف**، ص196.

(2) الخطيب، **الطب**، ص230.

(3) المرجع نفسه، ص216-ص218؛ عيسى، **تاريخ**، ص18؛ هياجنة، سهيل علي ذيب، (2002م). **البيمارستانات في العصرين الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام (570-922هـ/1174-1517م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص148. وسيشار إليه فيما بعد، هياجنة، **البيمارستانات**.

(4) ابن جبير، **رحلة**، ص15؛ السعيد، **المستشفيات**، ص69.

(5) السعيد، **المستشفيات**، ص71.

(6) المرجع نفسه، ص82؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص141.

(7) الخطيب، **الطب**، ص230.

(8) ابن جبير، **رحلة**، ص26.

(9) الخطيب، **الطب**، ص217؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص141

(10) العسلي، **مقدمة**، ص97.

(11) الخطيب، **الطب**، ص232.

ومع انتشار دور العلم والمدارس وازدياد أعداد الملتحقين بها كان لا بد من تعيين طبيب يشرف على الطلاب والمدرسيين لتقييم حالتهم الصحية؛ ولذلك وجدت طبابة المدارس(1)، وعدت هذه الطبابة شكلاً من أشكال البيمارستانات الخاصة.

3. بيمارستانات أهل الذمة: وهي البيمارستانات التي اختصت بأبناء الطوائف المسيحية المختلفة، وكانت ملحقة بالكنائس والأديرة(2)، وكانت تقام على غرار بيمارستانات المسلمين.

4. بيمارستانات السجون: وهي ملحقة بالسجون وتتولى مهمة رعاية المساجين المرضى، وتقديم الأدوية والأطعمة و الأشربة لهم(3).

البيمارستانات المتنقلة

وهي البيمارستانات التي تنقل على الحيوانات من مكانٍ إلى آخر كلما دعت الحاجة لذلك، وقد اتخذت هذه البيمارستانات أشكالاً متعددة من أبرزها :

1. بيمارستانات مواكب السلاطين: وقد كانت هذه البيمارستانات تسير بمصاحبة المواكب السلطانية في الحروب والتنقلات المختلفة، وتضم كافة التجهيزات التي يحتاج إليها المرضى(4).

ومن الأمثلة على هذا النوع الخيمة الحمراء التي اتخذها الطبيب ابن المطران(5) خلال مرافقته للسلطان صلاح الدين في الحروب، وقد كان لهذه الخيمة مدخل كبير، وأنيط بصاحبها مهمة العناية بالسلطان وبجيشه(6).

2. بيمارستانات الجند: وقد ظهر هذا النوع من البيمارستانات استجابةً لأوضاع الدولة الأيوبية وحروبها المتكررة، حيث اختصت بعلاج المرضى والجرحى من

---

(1) الخطيب، **الطب**، ص232؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص141

(2) هياجنة، **البيمارستانات**، ص142.

(3) السعيد، **المستشفيات**، ص74-ص75.

(4) المرجع نفسه، ص96؛ عيسى، **تاريخ**، ص14-ص15؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص144.

(5) ابن المطران: هو موفق الدين أسعد بن إلياس بن جرجس، طبيب باحث وجيه. من أهل دمشق، أسلم في أيام صلاح الدين الأيوبي، وعلت مكانته عنده. اجتمعت له خزانة كتب حافلة، وصنف كتبا قيمة منها (بستان الأطباء وروضة الألباء)، و(المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية) ألفه باسم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، توفي 587 هـ/1191م. ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص602-611.

(6) المصدر نفسه، ص604؛ السعيد، **المستشفيات**، ص87؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص145.

الجند[1]، واتخذت شكل الخيمة الكبيرة ذات المدخل الواسع بغية استيعاب أكبر عددٍ ممكنٍ من الجنود و الأطباء[2].

3. بيمارستانات القرى: وقد كانت هذه البيمارستانات تتنقل بين القرى خاصةً عند انتشار الأمراض المعدية والأوبئة[3]، كما كانت هذه البيمارستانات تطوف في القرى النائية تلبيةً لاحتياجات سكانها[4].

4. بيمارستانات السبيل: وهي البيمارستانات المرافقة لحجاج بيت الله الحرام والقوافل التجارية لتقديم العلاج اللازم لأصحابها[5].

5. بيمارستانات الإسعاف: وجد هذا النوع من البيمارستانات في الأماكن العامة التي يكثر فيها اجتماع الناس كالمساجد، خاصةً في وقت صلاة الجمعة والأعياد[6]، وقد جهزت بكل ما يلزم المرضى لعلاج المصابين في الحوادث الطارئة.

وتشير المصادر إلى أن أول من استحدث هذه البيمارستانات في مصر كان أحمد بن طولون[7] في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

---

(1) هياجنة، **البيمارستانات**، ص145

(2) السعيد، **المستشفيات**، ص87.

(3) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص301؛ عيسى، **تاريخ**، ص11؛ السعيد، **المستشفيات**، ص90، ص93.

(4) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص277.

(5) الخطيب، **الطب**، ص234.

(6) ابن دقماق، **الانتصار**، ق1، ص99؛ المقريزي، **المواعظ**، م4، ج1، ص64؛ ج2، ص691؛ السعيد، **المستشفيات**، ص95؛ هياجنة، **البيمارستانات**، ص147.

(7) أحمد بن طولون: أبو العباس الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركي مستعرب. كان شجاعا جوادا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفا بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه. ولد 220هـ/835م. بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا (بفلسطين) كان أبوه مولى لنوح بن أسد الساماني (عامل بخارى وخراسان) وأهداه نوح في جملة من المماليك إلى المأمون، فرقاه المأمون. وولد له أحمد في سامراء فتفقه وتأدب وتقدم عند الخليفة المتوكل إلى أن ولي إمرة الثغور وإمرة دمشق ثم مصر سنة 254هـ/868م وانتظم له أمرها مع ما ضم إليها. ووقعت له مع الموفق العباسي أمور، فرحل بجيش إلى أنطاكية فمرض فيها، فركب البحر إلى مصر، فتوفي بها 270هـ/883م. يؤخذ عليه أنه كان حاد الخلق، سفك كثيرا من الدماء في مصر والشام. الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص140.

مكانة الأطباء في المجتمع المصري

كان أشهر الأطباء في العصر الأيوبي هم: السديد بن أبي البيان[1]، ومهذب الدين عبد الرحيم بن علي[2]، وإبراهيم بن الرئيس موسى[3]، وأبو المعالي بن تمام[4]، وابن جميع[5].

نال الأطباء مكانةً عاليةً في المجتمع المصري، فقد أغدقت عليهم الأموال، وأجزلت لهم المنح[6]، وتقلدوا المناصب الرفيعة[7]، فلما استبد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالملك في القاهرة، واستولى على الدولة كان يفتقد الشيخ السديد بالإنعام الكثير، والهبات المتواترة، والجامكية السنية مدة مقامه بالقاهرة إلى أن توجه إلى الشام وكان يستطبه ويعمل على وصفاته وما يشير به أكثر من بقية الأطباء ولم يزل الشيخ السديد رئيساً على سائر المتطببين إلى حين وفاته[8]. وقد كان السلاطين يستقدمون خيرة الأطباء لمعالجتهم ويلحقونهم بخدمتهم[9].

---

(1) السديد بن أبي البيان: هو سديد الدين أبو الفضائل داوود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج، ولد سنة 556هـ/1160م في القاهرة، وكان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، وكان يعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة، كما عمل في خدمة الملك العادل الكبير. انظر التفاصيل: ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص539؛ عيسى، **تاريخ**، ص81.

(2) مهذب الدين عبد الرحيم بن علي: توفي سنة 628هـ/1230م، داوى الملك العادل من مرضٍ ألم به، وتقاضى عن ذلك 12000 ديناراً. انظر التفاصيل: الخطيب، **دور**، ص221.

(3) إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون: هو أبو المنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، نشأ في الفسطاط وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب، وكان يعمل في خدمة الملك الكامل محمد. انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص538؛ عيسى، **تاريخ**، ص80.

(4) أبو المعالي بن تمام: هو أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام اليهودي، كان غزير العلم، وافر المعرفة، وموصوفا بالفضل، خدم بصناعة الطب لدى الملك الناصر صلاح الدين وحظي في أيامه بمكانةٍ عالية، كما خدم الملك العادل الكبير، ومن أشهر كتبه: تعاليق ومجريات في الطب. انظر التفاصيل: ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص537.

(5) ابن جميع: هو هبة الله بن زين بن حسن بن جميع الإسرائيلي، كان من الأطباء والعلماء المشهورين في صناعة الطب، وكان يعمل في خدمة الملك الناصر صلاح الدين. انظر التفاصيل: المصدر نفسه، ص532.

(6) المصدر نفسه، ص530؛ الخطيب، **الطب**، ص72.

(7) الخطيب، **الطب**، ص72.

(8) ابن أبي أصيبعة، **عيون**، ص530؛ الخطيب، **الطب**، ص72.

(9) العسلي، **مقدمة**، ص108.

وقد ساهمت ثقافة الطبيب ومهارته في ترسيخ هذه الثقة، كما أدت طبيعة الحياة الحربية إلى حمل الدولة الأيوبية على تأهيل أعدادٍ أكبر من الأطباء تلبيةً لحاجة المجتمع وإدراكـاً للـوعي الصحي المتزايد[1].

وعدت الصناعة الطبية من أشرف الصنائع وأرفعها، إذ كان الطبيب يبالغ في الحرص على صحة مرضاه بغية تحقيق مكانةٍ مرموقة بين بقية الأطباء[2].

وظهرت في العصر الأيوبي العديد من العائلات التي توارثت مهنة الطب[3].

الحسبة على المهن الطبية

مارس المحتسب دوره في الحسبة على الأطباء، وتولى مهمة الإشراف على الأمور المتعلقة بالصحة والطب، إضافةً إلى الإشراف على بيع العقاقير، كما كان المحتسب ينظم اختباراً للأطباء يقوم فيه بفحص معلوماتهم الطبية[4].

---

(1) شبارو، **السلاطين**، ص221.

(2) حمارنة، سامي خلف، (1406هـ/1986م). **تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين**. عمان: منشورات جامعة اليرموك، م1، ص293. وسيشار إليه فيما بعد، حمارنة، **تاريخ**.

(3) حمارنة، **تاريخ**، ص135

(4) الشيزري، **نهاية**، ص99؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص167؛ الخطيب، **الطب**، ص278.

الحمامات

أدت الحمامات[1] دوراً اجتماعيا هاما في مصر؛ فقد كانت ملاذا لعامة الناس من الرجال والنساء، وارتبطت بالعادات والتقاليد والمناسبات الاجتماعية.

وبنيت الحمامات بالقرب من المساجد[2] وذلك لأسباب تتعلق بالوضوء والطهارة، وتوفر عدد من السكان ويراعى كذلك توافر الماء، ويضاف إلى ذلك وجود عدد من الشروط التي يجب الأخذ بها بعين الاعتبار، كضمان انتقال الماء من البارد إلى الحار[3].

وانتشرت في مصر الحمامات العامة التي تحوي مقاصِرَ بأبواب وأحواض تجري فيها المياه الساخنة والباردة[4]، وعُدّت تهوية الحمام من الأمور الهامة، وذلك من خلال وجود فتحة مستديرة وسط القبة[5].

وتفاوتت الحمامات من حيث اتساعها والاعتناء بنظافتها، ففي حين وجدت حمامات صغيرة كحمام الفأر[6]، فوجدت حمامات واسعة متقنة الوصف، فيصف البغدادي الحمامات في مصر "وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وضعا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا، أما أولا فإن أحواضها تسع الواحد منها ما بين راويين إلى أربع روايا وأكثر من ذلك"[7].

---

(1) مفرده حمام، وهو مشتق من الحميم، وهو الماء الحار الذي يسخن والحمام هو المكان الذي يسخن فيه الماء. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م12، ص153-155.

(2) مبارك، **الخطط التوفيقية**، ج2، ص218.

(3) العسلي، كامل جميل، (1982م). **من آثارنا في بيت المقدس**، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ص165. وسيشار إليه فيما بعد، العسلي، **من آثارنا في بيت المقدس**؛ الروسان، محمد سليمان، (1989م). **تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص77. وسيشار إليه فيما بعد، الروسان، **تطور الحمام**.

(4) البغدادي، **الإفادة**، ص70، شبارو، **السلاطين**، ص219.

(5) كيال، منير، (1964م). **الحمامات الدمشقية وتقاليدها**، دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، ص150. وسيشار إليه فيما بعد، كيال، **الحمامات**.

(6) حمام الفأر: هو حمام بسويقة المغاربة بالفسطاط، بناه عمرو بن العاص سمي بحمام الفأر لصغر حجمه حتى قيل يصلح لفأر. انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، ق1، ص105.

(7) البغدادي، **الإفادة**، ص69.

ولقيت الحمامات من ناحية نظافتها عناية كبيرة[1]، فالأصل في الحمامات أن تكون نظيفة[2].

وتعددت النشاطات التي تمارس في الحمامات؛ فمن الناحية الصحية فهي محل ارتاده الكثير من أجل النظافة والطهارة[3]، حيث كانت المنازل في الغالب خالية من الحمامات لافتقادها المصدر الدائم للمياه، وقلة القدرة على إنشائها، فاقتصرت الحمامات على مساكن السلاطين والأمراء وعلية القوم[4]، وكان لتعاليم الإسلام دور في حض الناس على ارتياد الحمامات، ودلّ ارتياد الحمامات العامة على مستوى متقدم من الوعي بأهمية النظافة والعناية بالصحة، كما كانت هناك فوائد صحية للاستحمام؛ حيث إن الاستحمام يوسع المسام ويساعد على استفراغ الفضلات وإزالة الحكة والجرب وترطيب البدن[5]، ونتج عن ذلك شيوع بعض المعتقدات لدى دخول الحمامات، ومن ذلك أن من أراد أن يسمن دخل الحمام بعد الغداء ومن أراد التهزيل قصده قبل الغداء[6]، كما شاع تجنب شرب الماء البارد عند الخروج من الحمام[7] لأن ذلك يلحق الضرر بالبدن، كما حظر على المجذوم والأبرص دخول الحمام[8] لمنع انتقال العدوى.

وعدّت الحمامات مظهراً من مظاهر الزينة، فقد وجدت فيها نساء للاهتمام بجمال المرأة وزينتها كالماشطة والبلانة[9]، كما تخصصت بعض الجواري بتدليك جسم السيدات أثناء

---

(1) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص161.

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، (ت 505هـ/1111م). **إحياء علوم الدين**، ط1، (ضبط نصه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر)، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ج2، ص473. وسيشار إليه فيما بعد، الغزالي، **إحياء علوم الدين**.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص473، ابن عماد، شهاب الدين أحمد الأقفهيسي الشافعي، (ت 808هـ/1405م). **القول التمام في آداب دخول الحمام أحكام دور الاستحمام في الفقه الإسلامي**، ط1، (تحقيق محمد خير رمضان يوسف)، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م، ص32. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عماد، **القول التمام**.

(4) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص176-178.

(5) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص160.

(6) ابن عماد، **القول التمام**، ص49.

(7) الشيزري، **نهاية**، ص86؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص154.

(8) الشيزري، **نهاية**، ص88؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص156؛ ابن عماد، **القول التمام**، ص49.

(9) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج1، ص37؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص76؛ الزعبي، **مراسيم الزواج**، ص40.

الاستحمام[1]. وقد وجدت النساء في الحمامات مكانا لاجتماعهن يتناقلن فيه أخبارهن[2] ويتبادلن الخبرات، فيجدن فيه التسلية وقت فراغهن، ويتعرفن بالأخريات، وقد انتقد ابن الحاج ما تصنعه النساء من المفاخرة والمباهاة من جراء زيارتهن للحمامات؛ حيث تصطحب المرأة معها أفخر الثياب وأنفس الحلي؛ لتتباهى بها أمام الأخريات، وقل أن تقنع المرأة التي ترى ذلك إلا بمثل ذلك أو ما يقاربه[3].

كما لجأت الكثير من النسوة للذهاب إلى الحمامات لاختيار العروس؛ حيث يتمكن من نقدها والنظر في ملامحها[4] لذلك درجت الفتيات على الاعتناء بأنفسهن عند زيارتهن للحمامات، كما ارتبطت الحمامات بإجراء احتفالات عدة، وكان الزواج أحد المناسبات الهامة التي يلجأن فيها للزينة[5] أما الولادة فكانت لها طقوس اعتادتها النساء في مصر بما سمي السبوع[6] الذي يرافقه الاحتفال بالمولود الجديد والمرأة النفساء[7] من خلال إنشاد الأناشيد المتعارف عليها في المجتمع المصري في الحمامات.

أما ختان الطفل فيتم عادة في الحمامات العامة[8] ويتولى ذلك الخاتن وسمي المزين أو الحلاق[9] ويرافقه احتفال بهذه المناسبة.

ومع تنوع المناسبات الاجتماعية، فقد كانت النساء يصطحبن معهن أنواعاً من الأطعمة والحلوى[10] متباهيات بصنعهن.

---

(1) الغزالي، **إحياء علوم الدين،** ج2، ص473؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص170.

(2) أحمد، **المرأة في مصر**، ص172، فليفل، **مدينة دمشق**، ص212.

(3) ابن الحاج، **المدخل**، ج2، ص176؛ فليفل، **مدينة دمشق**، ص212.

(4) ابن دانيال، **خيال الظل**، ص161؛ فليفل، **مدينة دمشق**، ص212.

(5) القاسمي، **قاموس الصناعات**، ج2، ص409؛ أحمد، **المرأة في مصر**، ص77.

(6) الجعيدي، **طبقة العامة**، ص133.

(7) ابن الإخوة، **معالم**، ص155؛ ابن عماد، **القول التمام**، ص39.

(8) ابن الحسن، **الإلمام في آداب الحمام**، ورقة 26.

(9) لوبون، **حضارة العرب**، ص366.

(10) فليفل، **مدينة دمشق**، ص212.

أما الملابس التي تلبس في الحمامات فتكون خفيفة وقد درج زوار الحمامات أن يلبسوا ملابس خاصة تسمى المآزر[1] وهذه الملابس يؤجرها لهم الحمامي وتكون عريضة لتستر ما بين السرة والركبة[2]، ويتفقد المحتسب حمامات الرجال مراعاة لالتزام الناس؛ حيث إن كشف العورة حرام[3].

وبالنسبة للنساء[4] فكن يأتين إلى الحمامات مصطحبات معهن البقج[5] التي تحوي ملابسهن ويبدو أن المرأة تختار أفضل ملابسها عند زيارتها للحمامات لتراها الأخريات من النساء[6] وكانت الملابس الدارجة في ذلك العصر والمخصصة للحمامات هي السراويل[7] ويبدو أنه يناسب الحمامات، أما ما يلبسنه في أقدامهن فكان القبقاب[8] فهو ملائم لطبيعة الحمامات الزلقة.

وتظهر أهمية الملابس في الحمامات، فكانت وسيلة لتمييز أهل الذمة عن المسلمين حيث وضع الرجل الذمي طوقاً من حديد أو نحاس في عنقه[9].

أما المرأة الذمية فتشد الزنار تحت الإزار[10]، ويكون في عنقها طوق[11]، وتخالف بين لوني خفيها فيكون واحد أسود والآخر أبيض[12].

---

(1) الإزار: وهو الملحفة وهو قطعة من النسيج تلتف بها النساء عندما يخرجن، وعرض الإزار ذراعان أو أكثر وطوله ثلاثة أذرع. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م4، ص16؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص32؛ أحمد مطلوب، **معجم الملابس**، ص30.

(2) الشيزري، **نهاية**، ص88؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص156.

(3) الشيزري، **نهاية**، ص88؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص157.

(4) ابن الأثير، **المثل**، ق2، ص394.

(5) العاصمي المكي، **سمط النجوم**، ج4، ص7.

(6) ابن الحاج، **المدخل**، ج2 ، ص176.

(7) ماير، **الملابس المملوكية**، ص124؛ حسن، **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**، ص110.

(8) القبقاب: وهو مصنوع من الخشب ويلبس في القدم ويمتاز بارتفاعه. ابن منظور، **لسان العرب**، م1، ص660. انظر: بيرس المنصوري، **مختار الأخبار**، ص9؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج6، ص337؛ غضب، **بداءة معجمية**، ص51؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص129.

(9) الشيزري، **نهاية**، ص106؛ ابن الإخوة، **معالم**، ص41.

(10) ابن الإخوة، **معالم**، ص42؛ دوزي، **المعجم المفصل**، ص33؛ ماير، **الملابس المملوكية**، ص120.

(11) ابن الإخوة، **معالم**، ص42.

(12) المصدر نفسه، ص42.

وقد وصفت حمامات القاهرة بأنها في غاية الحسن في بنائها من كثرة الرخام الزخرفي ووصفت باعتدال حرارتها وكثرة المياه بها جزافا بلا كيل ولا ميزان، بل إن داخلها يشبع من سكب الماء حتى يتعب ويمل ويستعمل ما قدر عليه ولا يرده عن الإسراف إلا دينه مع خشية الأجرة المدفوعة بقيمتها لمن أراد[1].

مؤسسات الآداب الاجتماعية

ساد العصر الأيوبي أشكالاً من الفساد الاجتماعي التي كانت استمراراً للعصور السابقة، ومنها تعاطي الحشيش والأفيون وكثر وجوده في أسيوط، حيث كان يعتصر من ورق الخشخاش الأسود[2] الذي يؤدي للسكر[3] ولكثرة إنتاجه فقد أصبح في متناول الكثير من الناس لانخفاض أسعاره.

وقد شاع في مصر أماكن للعشق والخلاعة حيث يتم فيها تناول الحشيش، ووصفها ابن حجر في كتابه رفع الإصر بأرض الطبالة[4] وكان لا يدخلها أو يقيم فيها إلا أهل الفساد[5] كما ذكر المقريزي في أمرها أن فيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة، وهي من أخبث بقاع الأرض وتعرف ببيع الحشيشة التي يبتلعها أراذل الناس[6].

ومع قدوم الصوفيين انتشر تعاطي الحشيش حتى عرفت بـ "حشيشة الفقراء" وذلك نسبة إلى فقراء الصوفية[7] الذين تعاطوها بحجة أنها تذهب الهموم وتجلو الأفكار[8] وبسبب انتشارها

---

(1) ابن ظهيرة، **الفضائل**، ص 190.

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، م1، ص193-194؛ البغدادي، **الإفادة**، ص112.

(3) البغدادي، **الإفادة**، ص112.

(4) أرض الطبالة: وهي من أحسن متنزهات القاهرة. انظر: ؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص417؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت852هـ/1448م). **رفع الإصر عن قضاة مصر**، (تحقيق حامد عبد المجيد)، (مراجعة إبراهيم الأبياري)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1961م، ق2، ص299. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حجر، **رفع الإصر**.

(5) ابن حجر، **رفع الإصر**، ق2، ص299.

(6) المقريزي، **المواعظ**، م3، ص417.

(7) المصدر نفسه، م3، ص418.

(8) المصدر نفسه، م3، ص419.

اتخذت السلطة الحاكمة في كثير من الأحيان أوامر بإغلاق حوانيتها[1] إلا أن هذا لم يدم طويلاً لكثرة ما يترتب عليه من خسارة بسبب كثرة ما تجبيه الدولة عليها من ضرائب.

ومن مظاهر الفساد التي استمرت في العصر الأيوبي الانحلال الخلقي، وما تبعه من انتشار الزنا والشذوذ، ولعل ظروف العصر الأيوبي وما تبعه من حروب نتج عنها كثرة سبي الحروب الصليبية[2] وازدهار تجارة الرقيق، حيث كثر التنافس في اقتناء الجواري وذراري الترك[3]. وذكر البغدادي في هذا السياق "وأعجب من جميع ما اقتصصناه أن الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعوون، منغمسون في بحر ضلالاتهم كأنهم هم المستثنون، فمن ذلك اتخاذهم بيع الأحرار متجراً ومكتسباً ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى أن منهم من يزعم أنه افتض خمسين بكراً ومنهم من يقول سبعين"[4] كما ساهمت المجاعات التي حدثت في مصر على انتشار الرذائل.

وكثر التجاهر بالمعاصي وتخصصت أماكن معينة لارتكاب المعاصي ومنها سوق الشماعين الذي كانت الفتيات يجلسن فيه لساعات متأخرة من الليل وكن يعانين الدعارة وعرفن حينذاك بزعيرات الشماعين[5].

وانتشر الشذوذ ونلمح هذا من خلال المصادر الأدبية في العصر الأيوبي التي أشارت لظاهرة التغزل بالمردان[6] وممّا قيل في حب المردان في ذلك العصر[7]:

فارقني أمرد لكنني	لم أره إذ جاءني ألحا
ترهب الورد على خده	إذّ لبس الشعر له مسحا

(1) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص353؛ المقريزي، **المواعظ**، م3، ص75.

(2) سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص70.

(3) البغدادي، **الإفادة**، ص93؛ بيبرس الدوادار، **زبدة الفكرة**، ص2؛ سلام، **الأدب في العصر الأيوبي**، ج1، ص70.

(4) انظر: البغدادي، **الإفادة**، ص93.

(5) المقريزي، **المواعظ**، ج3، ص319-320.

(6) المردان: مفرده أمرد وهو نقاء الخدين من الشعر ونقاء الغصن من الورق، والأمرد الشاب الذي بلغ خروج اللحية. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، م3، ص401.

(7) ابن سناء الملك، **الديوان**، ص150.

ومع محاولات السلطة الحاكمة وتفعيل نظام الحسبة للحفاظ على الآداب إلا أنها لم تحل دون انتشارها.

ومع سوء الأحوال الاقتصادية، انتشر الاستجداء والشحاذة حتى نعتوا من يمارسها بالعامية بالشحات[1] فكانت وسيلة للاحتيال والحصول على الأموال.

أما القتل والفتك فقد احترفه كثيرون في الطرق التجارية[2] كما كثر القتل بأيدي السكارى ويذكر المقريزي (سنة 592هـ/1195م) "كثر وثوب السكارى بمن يلقونه ليلاً وضربهم إياه بالسكاكين فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ولم يؤخذ لأحد بثأر ولا وقع كشف عن مقتول منهم ولا تمكن والي القاهرة من منعهم"[3]. وقد بذلت السلطة الحاكمة جهدها في حال ظفرها بأحد هؤلاء حيث اتخذت إجراءات كالضرب والشنق لمثل هؤلاء[4].

---

(1) الصواب شحاذ بالذال المعجمة وهي مأخوذة من شحذ السكين لأن المسن يأخذ منها بإمرارها عليه سناً سناً؛ فكذلك الشحاذ يأخذ من الناس بالحيلة الشيء بعد الشيء. انظر: ابن شيث، **معالم الكتابة**، ص177.

(2) يشير البغدادي: "وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاشٍ في كل فج، ولا سيما طريقي الفيوم والإسكندرية، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الأجرة على الركاب فإذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم". انظر: البغدادي، **الإفادة**، ص91.

(3) انظر: المقريزي، **السلوك**، ج1، ص248-249.

(4) البغدادي، **الإفادة**، ص91.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس (العهد القديم – العهد الجديد)

المصادر المخطوطة

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت930هـ/1523م). **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**. قسم الأرشفة والمصغرات الفلمية في الجامعة الأردنية (صورة بالميكروفيلم).

التيجاني، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت بعد 711هـ/1311م). **تحفة العروس وبهجة النفوس**، جامعة برنستون، رقم 2058 مجموعة جاريت. مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 232 (صورة بالميكروفيلم).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **لفتة الكبد في تربية الولد للولد**. أوقاف الخزانة العامة–الرباط، رقم 1117. مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 678 (صورة بالميكروفيلم).

ابن الحسن، أبو المحاسن محمد بن أبي الحسن علي بن الحسن، **كتاب الإلمام في آداب الحمام**، صورة من .A.U.B، مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقم 802، (صورة بالميكروفيلم).

الوراق، أبو محمد المظفر بن نصر الله، **الطبيخ وإصلاح الأغذية**. مكتبة بودلين، أكسفورد، قسم الأرشفة والمصغرات الفلمية في الجامعة الأردنية (صورة بالميكروفيلم).

المصادر المطبوعة

الأبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور، (ت854هـ/1450م). **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط1، (عني بتحقيقه إبراهيم صالح)، دار صادر، بيروت، 1999م.

ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **ديوان رسائل ضياء الدين ابن الأثير**، ط1، (حرره وقدم له هلال ناجي)، جامعة الموصل، الموصل، 1402هـ/1982م.

ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **رسائل ضياء الدين ابن الأثير**، (تحرير أنيس المقدسي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1959م.

ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، ط1، (تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1415هـ/1994م.

ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط1، (قدم له وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، 1379هـ/1959م.

ابن الأثير، ضياء الدين الجزري أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت637هـ/1239م). **الوشي المرقوم في حل المنظوم**، (تحقيق جميل سعيد)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1409هـ/1989م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت630هـ/1232م). **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، (تحقيق عبد القادر أحمد طليمات)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت630هـ/1232م). **الكامل في التاريخ**، ط1، (راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.

ابن الإخوة، محمد بن أحمد القرشي، (ت729هـ/1328م)، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، (عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي)، مطبعة دار الفنون، كمبرج، 1937م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف، (ت560هـ/1164م). **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي، (ت748هـ/1347م). **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، (تحقيق سعد محمد حسن)، (مراجعة طه الحاجري).

الإسحاقي المنوفي، محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني بن علي، (ت1060هـ/1650م). **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، المطبعة الميمنية، القاهرة، 1892م.

الأصفهاني، صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي، (ت576هـ/1180م). **معجم السفر**، (تحقيق بهيجة الحسني)، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، بغداد.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، (ت668هـ/1269م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ط1، (ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت930هـ/1523م). **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ط2، (حققه وكتب له المقدمة محمد مصطفى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1402هـ/1982م.

ابن أيبك الصفدي، أبو الصفاء خليل، (ت764هـ/1364م). **الروض الباسم والعرف الناسم**، ط1، (تحقيق محمد عبد المجيد لاشين)، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1425هـ/2005م.

بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى، (ت398هـ/1007م). **مقامات الهمذاني**، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت777هـ/1375م). **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م.

البغدادي، عبد اللطيف، (ت629هـ/1231م). **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ط1، (تحقيق أحمد غسان سبانو)، دار قتيبة، دمشق، 1403هـ/1983م.

البنداري، الفتح بن علي البنداري، (ت643هـ/1245م). **سنا البرق الشامي**، (تحقيق فتحية النبراوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

بنيامين التطيلي، ابن يونه النباري الأندلسي، (ت569هـ/1173م). **رحلة بنيامين التطيلي**، ط1، (ترجمها عن النص العبري وعلق على حواشيها وكتب ملاحقها عزرا حداد)، (دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.

بهاء الدين زهير، (ت656هـ/1258م). **ديوان بهاء الدين زهير**، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1383هـ/1964م.

بيبرس الدوادار المنصوري، ركن الدين، (ت702هـ/1302م). **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، ط1، (تحقيق دونالد س. ريتشاردز)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1419هـ/1998م.

بيبرس الدوادار المنصوري، ركن الدين، (ت702هـ/1302م). **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ**، (المحقق عبد الحميد صالح حمدان)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1413هـ/1993م.

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (ت443هـ/1051م). **الصيدنة**، (تحقيق محمد سعيد ورانا إحسان إلهي)، مؤسسة همدرد الوطنية، كراتشي، 1973م.

ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، (ت646هـ/1248م). **تحفة ابن البيطار في العلاج بالأعشاب والنباتات**، (تحقيق أبي مصعب البدري)، دار الفضيلة، القاهرة.

ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي، (ت646هـ/1248م). **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت874هـ/1469م). **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، (تحقيق ودراسة وتعليق نبيل محمد عبد العزيز أحمد)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت874هـ/1469م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط1، (قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

التنيسي، محمد بن أحمد بن بسام المحتسب، **أنيس الجليس في أخبار تنيس**، ط1، (تحقيق وتقديم جمال الدين الشيال)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1420هـ/2000م.

التيفاشي، أحمد بن يوسف، (ت651هـ/1253م)، **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار**، (تحقيق محمد يوسف حسن ومحمود بسيوني خفاجي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.

الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، (ت1237هـ/1821م). **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ط1، (ضبطه مصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت614هـ/1217). **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1959م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، (ت738هـ/1337م). **تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1419هـ/1998م.

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، (ت540هـ/1145م). **المعرب من الكلام المعجمي على حروف المعجم**، (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر)، طهران، 1966م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **أحكام النساء**، ط1، (تحقيق ودراسة عمرو عبد المنعم سليم)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1417هـ/1997م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ/1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، (حققه وقدم له سهيل زكار)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

ابن الحاج، **المدخل**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي، (ت1067هـ/1656م). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر، (ت779هـ/1377م). **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1976م.

ابن حجاج الإشبيلي، أحمد بن محمد، **المقنع في الفلاحة**، (تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية)، (تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري)، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، 1402هـ/1982م.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت852هـ/1448م). **رفع الإصر عن قضاة مصر**، (تحقيق حامد عبد المجيد)، (مراجعة إبراهيم الأبياري)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1961م.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت367هـ/945م). **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن حيون، القاضي النعمان بن محمد (ت363هـ/973م). **المجالس والمسايرات**، (تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي)، المطبعة الرسمية، تونس، 1978م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت808هـ/1405م). **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681هـ/1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (حققه إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت.

أبو الخير الإشبيلي (القرن 6هـ/12م)، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، ط1، (تحقيق محمد العربي الخطابي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

ابن دانيال، **خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال**، (ت710هـ/1407م). (دراسة وتحقيق إبراهيم حمادة)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1961م.

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ/1406م). **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، (تحقيق لجنة التراث العربي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، (ت809هـ/1406م). **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، ط1، (المحقق محمد كمال الدين عز الدين علي)، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م.

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، ط1، (دراسة وتحقيق سمير طبارة)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1420هـ/1999م.

الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، (ت734هـ/1333م). **كنز الدرر وجامع الغرر**، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1391هـ/1972م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (601 – 610هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (611 – 620هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1418هـ/1997م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (641 – 650هـ)**، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ/1998م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **سير أعلام النبلاء**، ط11، (تحقيق بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م). **العبر في خبر من غبر**، (حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت بعد 666هـ/1257م). **مختار الصحاح**، ط1، (حققه وخرج أحاديثه يحيى خالد توفيق)، (تقديم عبد الوهاب عبد الوهاب فايد)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1418هـ/1998م.

ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، (ت795هـ/1392م). **الذيل على طبقات الحنابلة**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952م.

ساويرس ابن المقفع، **تاريخ البطاركة**، ط1، (إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م.

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي، (ت654هـ/1256م). **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1370هـ/1951م.

ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، (ت773هـ/1371م). **طبقات الشافعية الكبرى**، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1906م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان، (ت902هـ/1496م)، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، (ت685هـ/1286م). **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة**، ط4، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار المعارف، القاهرة.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، (ت685هـ/1286م). **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، (تحقيق حسين نصار)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1970م.

السلمي، أبو عبد الرحمن، (ت 412هـ/1021م). **طبقات الصوفية**، ط2، دار الكتاب النفيس، حلب، 1406هـ/1986م.

ابن سناء الملك، القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت608هـ/1211م). **ديوان ابن سناء الملك**، دار الجيل، بيروت، 1975م.

ابن سناء الملك، القاضي السعيد عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت608هـ/1211م). **ابن سناء الملك حياته وشعره**، (تحقيق محمد إبراهيم نصر)، (مراجعة حسين محمد نصار)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/1967.

السهروردي، شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي، (ت632هـ/1234م). **عوارف المعارف**، ط1، (ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، (ت911هـ/1505م). **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، (تحقيق خليل المنصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

السيوطي، جلال الدين، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، (ت911هـ/1505م). **المستظرف من أخبار الجواري**، ط1، (حققه صلاح الدين المنجد)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، (ت665هـ/1266م). **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على كتاب الروضتين**، ط1، (وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي، (ت665هـ/1266م). **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ط1، (حققه وعلق عليه إبراهيم الزيبق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م.

ابن الشحنة، أبو الفضل محمد الحلبي، (ت890هـ/1485م). **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، (وقف على طبعه وعلق حواشيه يوسف بن إليان سركيس الدمشقي)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.

ابن شداد، بهاء الدين، (ت632هـ/1234م). **سيرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"**، ط1، (تحقيق أحمد إيبش)، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، 2003م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت684هـ/1285م). **تاريخ الملك الظاهر**، (باعتناء أحمد حطيط)، دار النشر فرانزشتاينربفيسبادن، بيروت، 1403هـ/1983م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت548هـ/1153م). **الملل والنحل**، (تحقيق محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت.

ابن شيث القرشي، عبد الرحمن بن علي، **معالم الكتابة ومغانم الإصابة**، (عني بتعليق حواشيه قسطنطين المخلصي)، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م.

الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن أبي عمران بن موسى، **مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية**، (حققه وقدم له وعلق عليه وشرح غوامضه عارف تامر)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ/1983م.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، (ت590هـ/1193م). **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، (نشره السيد الباز العريني)، (إشراف محمد مصطفى زيادة)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1365هـ/1946م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت764هـ/1362م). **الوافي بالوفيات**، ط1، (تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م.

الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر، (ت726هـ/1325م). **تالي كتاب وفيات الأعيان**، (تحقيق جاكلين سوبلة)، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1974م.

ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان، (ت بعد 550هـ/1155م). **الإشارة إلى من نال الوزارة**، (عني بتحقيقه والتعليق عليه عبد الله مخلص)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، القاهرة، 1924م.

الطعمي، محي الدين، **النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر**، ط1، دار الجبل، بيروت، 1412هـ/1992م.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي، (ت953هـ/1546م). **فص الخواتم فيما قيل في الولائم**، ط1، (تحقيق نزار أباظة)، دار الفكر، دمشق، 1403هـ/1983م.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي الدمشقي الصالحي، (ت953هـ/1546م). **نقد الطالب لزغل المناصب**، (تحقيق محمد دهمان وخالد دهمان)، (مراجعة نزار أباظة)، دار الفكر المعاصر، بيروت.

ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن، (ت617هـ/1120م). **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، فرانتس شتاينر، شتوتغارت، 1992م.

ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي، (ت613هـ/1116م). **أخبار الدول المنقطعة**، (مقدمة وتعقيب أندريه فريه)، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

ابن ظافر، جمال الدين علي الأزدي، (ت613هـ/1116م). **بدائع البدائه**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

ابن ظهيرة، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي، (ت891هـ/1486م). **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،** (تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس)، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1969م.

العاصمي المكي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي، (ت1111هـ/1699م). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،** ط1، (تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

العبدري الشيبي، أبو المحاسن محمد بن علي، (ت837هـ/1433م). **تمثال الأمثال،** ط1، (تحقيق أسعد ذبيان)، دار المسيرة، بيروت، 1402هـ/1982م.

ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت660هـ/1261م). **القواعد الكبرى الموسوم بـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام،** ط1، (تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية)، دار القلم، دمشق، 1421هـ/2000م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين، (ت692هـ/1292م). **الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم،** (تحقيق أحمد أحمد بدوي)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت660هـ/1261م). **زبدة الحلب من تاريخ حلب،** ط1، (حققه وقدم له سهيل زكار)، دار الكتاب العربي، دمشق، 1418هـ/1997م.

ابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت660هـ/1261م). **الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب،** (تحقيق سليمى محجوب ودرية الخطيب)، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1406هـ/1986م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت571هـ/1175م). **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها،** (دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

العسكري، أبو هلال، (ت بعد 395هـ/1004م). **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء،** (عني بتحقيقه عزة حسن)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1389هـ/1969م.

علوان الحموي، علي بن عطية بن الحسن بن محمد الهيتي، (ت936هـ/1529م). **نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء والأخيار،** ط1، (تحقيق أحمد فريد المزيدي)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م.

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ/1678م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط1، (دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام**، (عني بتحقيقه شكري فيصل)، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1378هـ/1959م.

عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر**، (نشر أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس).

عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **ديوان عماد الدين الأصبهاني**، (جمعه وحققه وقدم له ناظم رشيد)، جامعة الموصل، الموصل، 1404هـ/1983م.

عماد الدين الأصبهاني، (ت597هـ/1200م). **الفتح القسي**، (تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

ابن عماد، شهاب الدين أحمد الأقفهيسي الشافعي، (ت 808هـ/1405م). **القول التمام في آداب دخول الحمام أحكام دور الاستحمام في الفقه الإسلامي**، ط1، (تحقيق محمد خير رمضان يوسف)، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م.

ابن العمادية الإسكندراني، وجيه الدين منصور بن سليم، (ت673هـ/1274م). **ذيل تكملة الإكمال**، ط1، (تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي)، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1419هـ.

عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان القحطاني اليمني، (ت569هـ/1173م). **ديوان عمارة**، ط1، (تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الإرياني وأحمد عبد الرحمن المعلمي)، مطبعة عكرمة، دمشق، 2000م.

عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان القحطاني اليمني، (ت569هـ/1173م). **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، (تصحيح هرتويغ درنبرغ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

العيني، بدر الدين محمود، (ت855هـ/1451م). **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (648-664هـ)**، (حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1407هـ/1987م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، (ت 505هـ/1111م). **إحياء علوم الدين**، ط1، (ضبط نصه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر)، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.

ابن الفارض، (ت632هـ/1234م). **ديوان ابن الفارض،** (صححه وضبطه وعلق عليه وقدم له إبراهيم السامرائي)، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت807هـ/1404م). **تاريخ ابن الفرات،** (عني بتحرير نصه ونشره حسن محمد الشماع)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1389هـ/1969م.

ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت749هـ/1348م). **التعريف بالمصطلح الشريف،** ط1، (تحقيق سمير الدروبي)، جامعة مؤتة، الكرك، 1992م.

ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت749هـ/1348م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** (تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين)، مركز زايد للتراث والتاريخ، المجمع الثقافي، العين، أبو ظبي، 2001م.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، (ق3هـ/9م). **البلدان،** ط1، (تحقيق يوسف الهادي)، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/1996م.

ابن الفوطي، كمال الدين، أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي، (ت723هـ/1323م). **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،** المكتبة العربية، بغداد.

الفيروز آبادي، مجد الدين، (ت817هـ/1414م). **القاموس المحيط،** دار الحديث، القاهرة.

ابن قاضي شهبة، بدر الدين، (ت851هـ/1447م). **الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي)،** ط1، (تحقيق محمود زايد)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف، (ت646هـ/1248م). **إخبار العلماء بأخبار الحكماء،** (عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي)، مطبعة السعادة، القاهرة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت821هـ/1418م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا،** (شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت751هـ/1350م)، **أحكام أهل الذمة،** ط1، جامعة دمشق، دمشق، 1381هـ/1961م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت751هـ/1350م)، **أخبار النساء،** ط1، (تجقيق عكاشة عبد المنان)، دار اليوسف، بيروت، مكتبة الإمام علي للنشر، الزرقاء، 2001م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت821هـ/1418م). **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، ط2، (حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري)، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م.

ابن الكاتب البغدادي، محمد بن الحسن، **الطبيخ**، ط1، (أعاد نشره فخري البارودي)، دار الكتاب الجديد، دمشق، 1962م.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، (ت764هـ/1362م). **فوات الوفيات**، ط1، (تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م.

ابن كثير، الدمشقي، (ت774هـ/1372م). **البداية والنهاية**، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1977م.

ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى البطائحي، (ت588هـ/1192م). **نصوص من أخبار مصر**، (تحقيق أيمن فؤاد السيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1983م.

المرتضى الزبيدي، محمد، (ت1205هـ/1790م). **تاج العروس**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.

المرتضى الزبيدي، محمد، (ت1205هـ/1790م). **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب**، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1388هـ/1969م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، 1407هـ/1987م.

ابن المعز، تميم بن معد بن إسماعيل، (ت374هـ/984م). **ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي**، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.

المقدسي، البشاري، (ت380هـ/990م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.

المقدسي الحنبلي، محمد بن عبد القوي المرداوي، (ت699هـ/1299م). **منظومة الآداب**، مطابع دار الفكر الإسلامي، دمشق، 1376هـ/1957م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، (تحقيق محمد حلمي محمد أحمد)، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1393هـ/1973م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، ط1، (تحقيق عبد المجيد عابدين)، عالم الكتب، القاهرة، 1961م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **تاريخ الأقباط المعروف "بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي"**، (دراسة وتحقيق عبد المجيد ذياب)، دار الفضيلة، القاهرة.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط1، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **المقفى الكبير**، ط1، (تحقيق محمد اليعلاوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت845هـ/1441م). **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، (حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1423هـ/2002م.

الملطي، عبد الباسط بن خليل بن شاهين، (ت920هـ/1514م). **نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**، ط1، (المحقق محمد كمال الدين عز علي)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1407هـ/1987م.

ابن مماتي، ، الأسعد، (ت606هـ/1209م). **الفاشوش في حكم قراقوش**، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت.

ابن مماتي، الأسعد، (ت606هـ/1209م). **قوانين الدواوين**، ط1، (جمعه وحققه عزيز سوريال عطية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (ت711هـ/1311م). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري، (ت584هـ/1188م). **الاعتبار**، ط1، (تحرير فيليب حتي)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/1999م.

ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري، (ت584هـ/1188م). **لباب الآداب**، ط1، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد، (ت539هـ/1144م). **مجمع الأمثال**، ط1، (تحقيق جان عبد الله توما)، دار صادر، بيروت، 1422هـ/2002م.

ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، (ت677هـ/1278م). **المنتقى من أخبار مصر**، (انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي)، (حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

ناصر خسرو علوي، **سفر نامة**، ط2، (ترجمة يحيى الخشاب)، (تصدير عبد الوهاب عزام)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

ابن نباتة، جمال الدين أبو بكر المصري الفارقي،(ت 768هـ/1366م). **ديوان ابن نباتة**، المطبعة اللبنانية، بيروت، 1304هـ.

النسوي، محمد بن أحمد، (ت639هـ/1241م). **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، (نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.

ابن النظيف، أبو الفضائل محمد بن علي الحموي، (ت637هـ/1239م). **التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، (تحقيق أبو العيد دودو)، (مراجعة عدنان درويش).

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت927هـ/1520م). **الدارس في تاريخ المدارس**، (تحقيق جعفر الحسني)، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، 1988م.

ابن نقطة، معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، (ت629هـ/1231م). **تكملة الإكمال**، ط1، (تحقيق عبد الفيوم عبد رب النبي)، أم القرى، مكة، 1408هـ/1987م.

النويري الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد، (ت بعد 775هـ/1373م). **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، (تحقيق اتيين كومب وعزيز سوريال عطية)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1389هـ/1969م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ/1332م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، (تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م.

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، (ت611هـ/1214م). **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، (عنيت بنشره وتحقيقه جانين سوديل-طومين)، دمشق، 1953م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ/1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، (حققه ووضع حواشيه جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع)، (راجعه وقدم له جمال الدين الشيال وسعيد عبد الفتاح عاشور)، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1377هـ/1957م.

ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت749هـ/1348م). **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ط1، (إشراف وتحقيق أحمد رفعت البداوي)، دار المعرفة، بيروت، 1389هـ/1970م.

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر، (ت861هـ/1456م). **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، (صححه وأعده للطباعة وعلق عليه محمود فاخوري)، دار الشرق العربي، بيروت.

الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز، (ت575هـ/1179م). **منامات الوهراني**، (تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش)، (مراجعة عبد العزيز الأهواني)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968م.

اليافعي المكي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني، (ت768هـ/1366م). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط1، (وضع حواشيه خليل المنصور)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت626هـ/1228م). **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط1، (حققه ووضع نصوصه وأعد حواشيه وقدم له عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ/1999م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت626هـ/1228م). **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ/1979م.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (ت726هـ/1325م). **ذيل مرآة الزمان**، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، 1375هـ/1955م.

المراجـــــــع

المراجع باللغة العربية

أباظة، نزار، (1423هـ/2001م). **معجم شهيرات النساء في سورية**. (ط1). بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر.

أحمد، عبد الفتاح محمد سيد، (1420هـ/2000م). **التصوف بين الغزالي وابن تيميـــة**. (ط1). المنصورة: دار الوفاء.

أحمد، ليلى عبد اللطيف، (1986م). **سياسة محمد علي إزاء العربان في مصر**. (ط1). القاهرة: دار الكتاب الجامعي.

أحمد، نريمان عبد الكريم، (1993م). **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**. القـــاهرة: الهيئـــة المصرية العامة للكتاب.

آرنولد، توماس. و.، (1970م). **الدعوة إلى الإسلام**. (ط3). (ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجداوي). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

آشتور، آ. (1985م). **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوســطى**. (ترجمة عبد الهادي عبلة). (مراجعة أحمد غسان سبانو). دمشق: دار قتيبة.

أشقر، سعيد عبود(1933م). **الطرفة الباهجة في الأمثال والحكم العربية الدارجة**. القدس.

أمين، محمد محمد، (1980م). **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648-923هـــ/1250-1517م دراسة تاريخية وثائقية**. القاهرة: دار النهضة العربية.

أيوب, ابراهيم, (1997م). (ط1). **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**. بيروت: الشركة العالمية للكتاب.

الباشا، حسن، (1409هـ/1989م). **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**. القـــاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع.

البدوي، خليل، (1419هـ/1998م). **موسوعة شهيرات النساء**. (ط1). عمـــان: دار أســـامة للنشر.

البسيوني، أميرة عبد المنعم، **الأسرة المصرية**. القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

البقلي، محمد قنديل، (1983م). **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

بيرم, مصطفى, (1902م). **كنز الجوهر تاريخ الأزهر**. القاهرة.

ترتون، أ.س.، (1967م). **أهل الذمة في الإسلام**. (ط2). (ترجمة حسن حبشي). القاهرة: دار المعارف.

التكريتي، عبد الرحمن، (1984م). **دراسات في المثل العربي المقارن**. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية.

التونجي، محمد، (2001م). **معجم أعلام النساء**. (ط1). بيروت: دار العلم للملايين.

التونجي، محمد، (1997م). **المعجم الفارسي-العربي الموجز**. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.

تيمور، أحمد، **لعب العرب وبعض لعب المولدين**. (قدم له إبراهيم سلامة). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

جب، هاملتون، (1996م). **صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي**. (ط2). (حررها يوسف إيبش). بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.

جبران، نعمان، (2000م). **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**. (ط1). اربد: مؤسسة حمادة.

جروهمان، أدولف، (1994م). **أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية**. (ط2). (اشترك في نقل الكتاب إلى العربية حسن إبراهيم حسن). (راجع الترجمة عبد الحميد حسن). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

الجعيدي، شلبي إبراهيم، (2003م). **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي 567-648هـ**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحارثي، عدنان محمد فايز، (1420هـ/1999م). **عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

حسن، علي إبراهيم، (1981م). **نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

حسنين، عبد النعيم محمد، (1402هـ/1982م). **قاموس الفارسية**. (ط1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الحفني، عبد المنعم، (1400هـ/1980م). **معجم مصطلحات الصوفية.** (ط1). بيروت: دار المسيرة.

حمارنة، سامي خلف، (1406هـ/1986م). **تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين.** عمان: منشورات جامعة اليرموك.

حمزة، عبداللطيف، (1999م). **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول.** (تقديم جابر عصفور). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتّاب.

حمزة، عبداللطيف، (1364هـ/1945م). **حكم قراقوش.** القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

خزنة كاتبي، موفق عادل، (1428هـ/2008م). **رسالة في الختان.** (ط1). عمان: دار المأمون.

الخطيب، **إبراهيم،** (1993م). **دور التعليم في تحرير بيت المقدس إبان العصر الأيوبي.** عمان.

الخطيب، حنيفة، (1986م). **الطب عند العرب.** بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

الخطيب مصطفى، (1416هـ/1996م). **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية.** (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

دوزي، رينهارت، (1997م). **تكملة المعاجم العربية.** (ط1). (ترجمة محمد سليم النعيمي). بغداد: دار الحرية للطباعة.

دوزي، رينهارت، (1391هـ/1971م). **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب.** (ترجمة أكرم فاضل). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

ديماند، م.س.، (1958م). **الفنون الإسلامية.** (ترجمة أحمد محمد عيسى). القاهرة: دار المعارف.

ذاكرة القدس الفترة الصليبية والأيوبية (1099-1250). (ط1). القدس: مركز أبحاث تاريخ أرض إسرائيل وسكانها.

رزق، عاصم محمد، (1417هـ/1997). **خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (567-923هـ/1171-1517م).** (ط1). القاهرة: مكتبة مدبولي.

رمضان، هويدا عبد العظيم، (1994م). **المجتمع في مصر الإسلامية.** (تقديم عبد العظيم رمضان). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زايد، مصطفى محمود أحمد محمود، (1424هـ/2004م). **النثر الفني في عهدي الدولتين الزنكية والأيوبية في مصر والشام**. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الزركلي، خير الدين، (1984م). **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**. (ط6). بيروت: دار العلم للملايين.

زينب بنت علي فواز العاملية اللبنانية، (1420هـ/1999م). **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**. (ط1). (وضع حواشيه وعلق عليه محمد أمين ضناوي). منشورات محمد علي بيضون. بيروت: دار الكتب العلمية.

زينهم، محمد علي حسن، (1999م). **الأزهر الشريف**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السعيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود، (1408هـ/1987م). **المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني**. (ط1). عمان: دار الضياء.

السكري، عبد السلام، (1988م). **ختان الذكر وخفاض الأنثى من منظور إسلامي**. (ط1). القاهرة: دار المنار.

سلام، محمد زغلول، (1997م). **الأدب في العصر الأيوبي**. الإسكندرية: منشأة المعارف.

السيد، فؤاد صالح، (1996م). **معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم**. (ط1). بيروت: الشركة العالمية للكتّاب.

السندوبي، حسن/ (1367هـ/1948م). **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأول إلى عصر فاروق الأول**. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

شبارو، عصام محمد، (1994م). **السلاطين في المشرق معالم دورهم السياسي والحضاري السلاجقة الأيوبيون**. بيروت: دار النهضة العربية.

شتا، إبراهيم الدسوقي، (1992م). **المعجم الفارسي الكبير**. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الشربيني، يوسف، **هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف**. (إعداد محمد قنديل البقلي). القاهرة: دار النهضة العربية.

الشرقاوي، حسن، (1987م). **معجم ألفاظ الصوفية**. (ط1). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.

الشناوي، عبد العزيز محمد، (1983م). **الأزهر جامعا وجامعة**. (ط1). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الشيال، جمال الدين، (1958م). **مجموعة الوثائق الفاطمية**. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

صبرة، عفاف سيد محمد، (1992م). المدارس في العصر الأيوبي. في: عبد العظيم رمضان (محرر)، **تاريخ المدارس في مصر الإسلامية أبحاث ندوة "المدارس في مصر الإسلامية" التي أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وعقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية من 22-25 أبريل 1991م** (ص137-200). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عاشور، سعيد، **المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية**. سوسة: دار المعارف للطباعة والنشر.

عباس، حسن، **أسامة بن منقذ حياته وشعره.** (تقديم محمد مصطفى هدارة). الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الرازق، مصطفى، (1930م). **البهاء زهير**. القاهرة: دار الكتب المصرية.

عبد المجيد، علي حسن علي، (1415هـ/1994م). **المنتقى النفيس من تلبيس إبليس** لابن الجوزي، (ت 597هـ/1200م). (ط2). الدمام: دار ابن الجوزي.

عبد المنعم، صبحي، (1994م). **تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين 31هـ-648هـ**. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

عزة، عزت، (2003م). **الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية**. (ط2). القاهرة: مركز الحضارة العربية.

العسلي، كامل جميل، (1414هـ/1994م). **مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة 1918م**. عمان: منشورات الجامعة الأردنية.

العسلي، كامل جميل، (1982م). **من آثارنا في بيت المقدس**، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

العسلي، كامل جميل، (1989م). **وثائق مقدسية تاريخية**. عمان: الجامعة الأردنية.

عطا الله، سامية، (1987م). **الأمثال الشعبية المصرية**. (ط2). القاهرة: مكتبة مدبولي.

علي، محمد كرد، (1403هـ/1983م). **خطط الشام**. (ط2). دمشق: مكتبة النوري.

العمري، ياسين بن خير الله، (1386هـ/1966م). **مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**. (تحقيق رجاء محمود السامرائي). بغداد: دار الجمهورية.

عنان، محمد عبد الله، (1942م). **تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي**. (ط1). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

عوض الله، الأمين، (1399هـ/1979م). **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**. جدة: دار المجمع العلمي.

عيسى، أحمد، (1357هـ/1939م). **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**. دمشق: المطبعة الهاشمية.

عيسى، عبد القادر، (1404هـ/1981م). **حقائق عن التصوف**. (ط4). عمان: المطبعة الوطنية.

الغزي، كامل البالي الحلبي، (1419هـ/1999م). **نهر الذهب في تاريخ حلب**. (ط2). (قدم له وصححه وعلق عليه شوقي شعث ومحمود فاخوري). حلب: دار القلم العربي.

غضب، شاكر هادي، (1976م). **بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والأزياء**. ملحق "**مجلة التراث الشعبي**". 7 (4).

غنيم، إسمت، **الدولة الأيوبية والصليبيون**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

غنيم، عبد العزيز، (1403هـ/1983م). **دراسات في تاريخ الأزهر**. القاهرة: دار الوفاء للطباعة.

غوانمة، يوسف (1990م). **الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية**.

فولكف، أولج، (1986م). **القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة**. (ترجمة أحمد صليحة). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قاسم، عبد الحكيم عبد الغني محمد، (1989م). **المذاهب الصوفية ومدارسها**. القاهرة: مكتبة مدبولي.

قاسم، قاسم عبده، (1977م). **أهل الذمة في مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية**. (ط1). القاهرة: دار المعارف.

القاسمي، جمال الدين والعظم، خليل، (1960م). **قاموس الصناعات الشامية**.

كحالة، عمر رضا، (1404هـ/1984م). **الزواج**. (ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

كحالة، عمر رضا، (1394هـ/1974م). **مباحث اجتماعية في عالمي العرب والإسلام**. دمشق: مطبعة الحجاز.

كحالة، عمر رضا، (1398هـ/1978م). **المرأة في عالمي العرب والإسلام**. (ط1). دمشق: مؤسسة الرسالة.

كلوت، أ.ب.، (2001م). **لمحة عامة إلى مصر**. (ط3). (ترجمة وتحرير محمد مسعود). القاهرة: دار الموقف العربي.

لابدوس، إيرا، (1987م). **مدن إسلامية في عهد المماليك**. (نقله إلى العربية علي ماضي). بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

لوبون غوستاف، (1375هـ/1956م). **حضارة العرب**. (ط3). (نقله إلى العربية عادل زعيتر). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

ماير، ل. أ.، (1972م). **الملابس المملوكية**. (ترجمة صالح الشيتي). (مراجعة عبد الرحمن فهمي محمد). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مبارك، علي، (1425هـ/2004م). **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة**. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.

مرجية، بشارة، (2001م). **شخصية المرأة في الأدب العربي القديم** مع تحقيق كتاب **العنوان في مكايد النسوان**، تأليف علي بن عمر البتنوني. (ط1). عمان: دار الكرمل.

مصيقر، عبد الرحمن عبيد، (1423هـ/2003م). **قاموس الأغذية والأكلات الشعبية في الوطن العربي**. (ط1). دبي: دار القلم للنشر والتوزيع.

مطلوب، أحمد، (1995م). **معجم الملابس في لسان العرب**. (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.

معلوف، أمين، (1993م). **الحروب الصليبية كما رآها العرب**. (ط2). (نقله إلى العربية عفيف دمشقية). بيروت: دار الفارابي.

موسى، علي حسن، (1418هـ/1997م). **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية**. (ط1). بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر.

نعيسة، يوسف جميل، (1994م). **مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين 1186-1256هـ**. (ط2). دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

النقاش، زكي، **العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية**، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1958م.

نوادر المخطوطات، (1411هـ/1991م). (تحقيق عبد السلام هارون). (ط1). بيروت: دار الجيل.

النوايسة، مصلح عبد الحميد، (1419هـ/1998م). **نساء في ذاكـرة التـاريخ**. الزرقـاء: دار العكش للنشر والتوزيع.

هايد، ف.، (1994م). **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسـطى**. (عربـه عـن الترجمة الفرنسي أحمد رضا محمد رضا). (مراجعة وتقديم عز الدين فودة). القـاهرة: الهيئـة المصرية العامة للكتاب.

الوائلي، عبد الحكيم، (2001م). **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتـى نهايـة القـرن العشرين**. (ط1). عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

المراجع باللغات الأخرى:

Gabrieli, Fransesco, (1969). **Arab Historians of the Crusades**. London, Melbourne and Henely: Routledge and Kegan Paul.

Goitein, S.D., (1978). **A Mediterranean Society**. Berkeley, Los Angeles and London: University of California Press.

Stanley Lane-Poole, M.A., (1964). **Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem**. Beirut: Khayats.

יהושע פראוור . חאגי בן- שמאי، (1991) ספר ירושלים: התקופה הצלבנית، הוצאת יד יצחק בן צבי. ירושלים. תשנ"א، המרכז לחקר תולדות ארץ- ישראל ויישובה.

الرسائل الجامعية غير المنشورة

جمالية، نهاوند محمد عبد الرحمن، (2008م). **التربية والتعليم عند الفاطميين في مصر**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

حجازي، فايزة عبد الرحمن، (1992م). **أهل الذمة في بلاد الـشام فـي العـصرين الأيـوبي والمملوكي**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

حميدي، تمام عثمان حسني، (2008م). **دور المرأة المسلمة في الحياة العامة في فترة الغـزو الفرنجي (من أوائل القرن السادس الهجري إلى أواسط القـرن الـسابع الهجـري)**. رسـالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الرواشدة، آمنة محمود سليمان، (1997م). **حيوات المرأة في الدولة المملوكية في مصر والشام (648-923هـ/1250-1517م) دراسة سياسية اجتماعية فكرية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الروسان، محمد سليمان، (1989م). **تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الزربا، فريال بدوي، (1980م). **الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الزعبي، فايزة أحمد محمود، (2003م). **مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام (من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك) "دراسة تاريخية"**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

زعرور، إبراهيم، (1990م). **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، سورية.

الصائغ، ذكرى عزيز محمد صالح، (1988م). **عصر الملك الكامل الايوبي**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.

الطواهية، فوزي خالد علي، (2008م). **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر الأيوبي (567-648هـ/1171-1250م)**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الطواهية، فوزي خالد علي، (2003م). **الزراعة في مصر في العصر الفاطمي (358-567هـ/969-1172م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

فليفل، محمد الحاج محمود خليل، (1998م). **مدينة دمشق في العصر الأيوبي (570-656هـ/1174-1258م)**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

القضاة، سناء، (2007م). **المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

لبنية، بوران طاهر، (2004م). **الخانقاوات والزوايا الدمشقية زمن سلاطين المماليك (658-922هـ/1259-1516م)**. رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

هياجنة، سهيل علي ذيب، (2002م). **البيمارستانات في العصرين الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام (570-922هـ/1174-1517م)**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الدوريات

إسكندر، توفيق، (1957م). نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط. **المجلة التاريخية المصرية**، 6، 37-46.

الأطرقجي، رمزية، (1399هـ/1979م). الأزهر في ظل الفاطميين دراسة في تراثه الفني والثقافي. **مجلة كلية الآداب جامعة بغداد**، 25, 469-506.

الحلوة، حسن علي حسن، (1963م). ملاحظات في تحقيق النص علىعقد زواج من القرن الخامس الهجري. **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، 25 (2)، 39-54.

رحمة الله، مليحة، (1967م). الملابس في العراق خلال العصور العباسية. **المجلة التاريخية المصرية**، 13، 185-221.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، (1980م). الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية. **مجلة عالم الفكر**، 11 (1)، 85-126.

عبد الحميد، سعد زغلول، (1954م). ملاحظات عن مصر. **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، 8، 91-118.

عبد الرسول، سليمة، (1981م). ملابس العمل لذوي المهن والحرف. **مجلة سومر**، 37 (1-2)، 341-250.

العبيدي، صلاح حسين، (1973م). ملابس الندامى في العصر العباسي. **مجلة سومر**، 29 (1-2)، 221-227.

العلي، زكية عمر، (1974م). حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقي. **مجلة سومر**، 30 (1-2)، 281-294.

غانم، حامد زيان، (1969م). بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر زمن صلاح الدين الأيوبي. **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، 31 (1-2)، 65-75.

النبراوي، رأفت محمد، (1407هـ/1987م). درهم أيوبي يسجل مصاهرة ملكية. **مجلة العصور**، 2 (1)، 95-98.

نداء، طه، (1963م). الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي. **مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية**، 17، 1-44.

THE SOCIAL LIFE IN EGYPT DURING THE AYYUBID PERIOD (567-648H/1171-1250A.D.)

By
Rasha Khalil Ahmad Ali

Superviser
Dr. Muhammad Khuraisat, Prof.

ABSTRACT

The topic of this study is the social life in Ayyubid period. This study consists of introduction and three chapters.

The first chapter discussed the subject of the social classes in the Ayyubid period. So it discussed the special class which includes sultans and princes who were mainly Ayyubid replaced the Fatimid Caliphs, religion scholars who were mainly Sunnite replaced Shiite Ismailite scholars, and traders. Then it discussed the general class which includes peasants, manufacturers, slaves, nomads, and soldiers. Then it discussed non-Moslems.

The second chapter discussed the aspects of social life in the Ayyubid period. So it discussed the feasts and celebrations which were changed because of the doctrine change from Shiite Ismailite doctrine to the Sunnite doctrine, then it discussed marriage, food, drink, clothes, family, habits and traditions which were continuations to what were in the Fatimid period because of the conservative nature of these matters.

The third chapter discussed the social foundations. So it discussed the schools which were established to support the Sunnite doctrine, and mysticism which was supported because it was one of supporting the Sunnite doctrine fields. It also discussed the Azhar's role in social life. So it discussed the Azhar in Fatimid period, the Azhar in Ayyubid period, the educational role of Azhar's scholars, the role of Azhar's scholars in guiding the rulers, the role of Azhar's scholars in Crusades wars, the religious role of Azhar's scholars, Azhar and mysticism, the social role of Azhar's scholars, and the role of Azhar's scholars in economic conditions. The study noticed that the Azhar's role was retreated in Ayyubid period. It also discussed hospitals, baths and social morals foundations.